

(٩٤٥)

التقديم والتأخير

وأحواله

من مصنفات البلاغة والأدب

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"باب من

التقديم والتأخير

قال الهذلي:

ولكن فتى لم تخش منه فجيعة ... حديثا ولا فيما مضى أنت وامق

تقديره: ولكن فتى وأنت وامق، لم تخش منه فجيعة؛ حديثا، ولا فيما مضى، فحذف الضمير العائد إلى الموصوف من اسم الفاعل، كما يحذف من الصلة، والحذف من الفعل أكثر.

وقال الفرزدق:

وما أحد في غيرهم بطريقهم ... من الناس إلا فيهم بمقيم

تقديره: وما أحد من الناس في غيرهم بطريقهم إلا فيهم.

وقال النابغة:

يثرن الثرى حتى يباشرون برده ... إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

المعنى: يثرن الثرى حتى يباشرون برده بالكلاكل، إذا الشمس مجت ريقها.." (١)

"[وقوله تعالى]: (وكانوا فيه من الزاهدين).

لم يجعلوا بالعصا متعلقا بالجزاء، ولكن جعلوه تبيينا للجلد، فكذلك ما تأوله أبو الحسن.

فأما ما قدره من التقديم والتأخير، فكقوله: (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون)

التقدير: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم.

وقد تؤولت على أن يكون التقدير: (والذين يظاهرون من نسآئهم ثم يعودون لما قالوا) أي ثم يعودون للقول، والقول في المعنى هو المقول فيه، مثل ضرب الأمير، ونسج اليمن، وقاله الخلق، وقال: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) فالخلق هو." (٢)

"المخلوق؛ ألا ترى أن الذي يعاد، هو الأجسام، وأنه مثل قوله: (كما بدأكم تعودون)، ومثل ذلك: العائد في هبته، أي في موهوبه، ألا ترى أن العود لا يكون إلى الهبة، التي هي العقد الموجب للتمليك، إذا انضم إليه القبض، فإذا كان كذلك، كان المراد الموهوب، فكذلك قوله عز وجل: (ثم يعودون لما قالوا).

فإن قلت: فكيف وقعت اللام موقع إلى في قوله: عدت إلى كذا؟

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/٩٨

(٢) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/١٠٢

فإن ذلك لايمتنع؛ ألا ترى أنه قد جاء: (قل الله يهدي للحق)، (وهديناهم إلى صراط مستقيم) و (بأن ربك أوحى لها)، (وأوحينآ إليه).

وقال: (ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة).

قيل: إن التقدير: ليقولن يا ليتني كنت معهم كأن لم يكن بينكم وبينه مودة.

وهذه الجمل التي يقع فيها التقديم والتأخير، على ضربين: منها ما هو تقديم جملة على جملة، كنحو ما ذكرنا، ومنها ما هو اعتراض.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي:

هذا كتاب أذكر فيه، إن شاء الله، ما يجوز للشاعر عند الضرورة، من الزيادة والنقصان، والاتساع في سائر المعاني، من التقديم والتأخير، والقلب والإبدال، وما يتصل بذلك من الحجج عليه، وتبيين ما يمر من معانيه، فأرده إلى أصوله، وأقيسه على نظائره، وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله، ولا يستغني عن معرفته؛ ليكون له حجة لما يقع في شعره، مما يضطر إليه من استقامة قافية، أو وزن بيت، أو إصلاح إعراب.

وذلك أن كثيرا ممن يطلب الأدب، وأخذ نفسه بدراسة الكتب، إذا مر به بيت لشاعر من أهل عصره، أو لطالب من نظرائه، فيه تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان، أو تغيير حركة عما حفظ، من الأصول المؤلفة." (٢)

"قالوا: جعل لم يخلق بعد، ولم يصور فؤادا، وهذا من الإفراط.

والأخذ على الشعراء كثيرا لم طلب مثل هذا، وإنما قصدنا إلى ضرب من عيوب الشعر، أردنا أن نقدمه أمام ما نحن ذاكروه، مما يجوز للشاعر في شعره من غامض العربية

ومستنكرها في المنثور؛ ليكون فيما أخبرنا حجة لهذا وأمثاله؛ إذ كانت عيوبه أكثر من أن يتضمنها كتاب، أو يحيط بها خطاب، من الفساد في المعاني، والخطأ في اللغة، واللحن في دقائق العربية؛ وفساد التشبيه،

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/١٠٣

(٢) ما يجوز للشاعر في الضرورة، القيرواني، القزاز ص/٩٩

والتقديم والتأخير، ووضع الشيء غير موضعه، واختلاف القوافي، وما يجوز فيها من الإكفاء والإقواء، وغير ذلك.

فالإكفاء: هو اختلاف إعراب الأبيات؛ كقول النابغة:." (١)

"تقديره عند أبي العباس، على حذف الفاء، وأجاز سيبويه أن يكون التقدير:

وإني ناظر متى أشرف على التقديم والتأخير. وهذا عند أبي العباس ضعيف؛ لأن الجواب في موضعه، فلا ينوى به تقديم.

ومثله:

يا أقرع بن حابس يا أقرع

إنك إن يصرع أخوك تصرع

فهذا أيضا على حذف الفاء، وسيبويه يقدره تقدير الذي قبله، أي إنك تصرع إن يصرع أخوك.." (٢)

"٩٨ – ومما يجوز له: وضع الكلام غير موضعه، كما قال الشاعر:

صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

أي: وقلما يدوم وصال على طول الصدود.

ويجوز له أيضا من **التقديم والتأخير مالا** يكون مثله في الكلام؛ وذلك مثل قول الأول:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد: وما مثله حي يقاربه إلا مملك، أبو أم ذلك المملك أبوه، فدل بهذا على أنه خاله؛ ونصب مملكا، لأنه استثناء مقدم.." (٣)

"يذكروه متضمنا، فأوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام علمه، وينبغي له معرفته وفهمه. ثم شفعت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة، وصغت الكلام فيهما أحسن الصياغة، فأوضحت ما أشكل من طريقتهما، وبينت أقوال العلماء في حقيقتهما، مع ما أضفته إلى ذلك من زيادات مناسبة، واحترازات واجبة. ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان، وشفيت القول فيهما بحسب الإمكان، وسميته بكتاب: (الجامع الكبير، في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور). وجعلت مدار الكتاب على قطبين: (القطب

---

(١) ما يجوز للشاعر في الضرورة، القيرواني، القزاز ص/١٤٦

(٢) ما يجوز للشاعر في الضرورة، القيرواني، القزاز ص/٢٥٠

(٣) ما يجوز للشاعر في الضرورة، القيرواني، القزاز ص/٣٠٩

الأول) في الأشياء العامة. (القطب الثاني) في الأشياء الخاصة.
وينقسم القطب الأول إلى فنين: الفن الأول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به، وهو أربعة أبواب:
(الباب الأول) في آلات التأليف (الباب الثاني) في أدواته
(الباب الثالث) في الطريق إلى صناعة النثر والنظم (الباب الرابع) في الحقيقة والمجاز.
الفن الثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني، وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم، وهو ثلاثة أبواب:
(الباب الأول) في الألفاظ المفردة والمركبة وهو قسمان (الباب الثاني) في الكلام على المعاني. (الباب الثالث) في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم.
(القطب الثاني) وفيه فنان: (الفن الأول) في الفصاحة والبلاغة. (الفن الثاني) في ذكر أصناف البيان وانقساماتها، وهو بابان: (الباب الأول) في الصناعة المعنوية. (الباب الثاني) في الصناعة اللفظية.
وينقسم الباب الأول إلى تسعة وعشرين نوعا: (الأول) في الاستعارة. (الثاني) في التشبيه. (الثالث) في شجاعة العربية، وهو أربعة أقسام. (الرابع) في الإيجاز وهو قسمان. (الخامس) في الإطناب. (السادس) في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل. (السابع) في الكناية والتعريض (الثامن) في استعمال العام في النفي، والخاص في الإثبات. (التاسع) في التفسير بعد الإبهام. (العاشر) في التعقيب المصدري. (الحادي عشر) في التقديم والتأخير. (الثاني عشر) في عطف المظهر على ضميره. (الثالث عشر) في التخلص." (١)

"في طلعة البدر شيء من ملاحتها ... وللقضيب نصيب من تثنيها

ونظائر هذا أكثر من أن تحصى، فاعرفه. ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه أصل من بابه.

النوع الثالث من الباب الأول

في شجاعة العربية

وهو نوع من علم البيان تتكاثر لطائفه، وتتوفر محاسنه، لأن معظم البلاغة مندرجة في أثنائه، ومنطوية تحت ضروبه، إلا أني لم أجد شيئا منه عند أرباب هذه الصناعة، ولا وجدته في كتاب مصنف في هذا الفن، سوى أني رأيت أبا الفتح عثمان بن جنى قد ذكر، في كتابه الموسوم بالخصائص، شيئا من التقديم والتأخير، والحمل على المعنى لا غير، وقد ذكرنا نحن في هذا النوع أشياء عجيبة، ونكتا طريفة، عثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم، واعلم أن هذا النوع

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٤

ينقسم ستة أقسام:

القسم الأول في الالتفات

(الالتفات) الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، يفعل ذلك على عادة العرب في افتنانهم في الكلام، وفيه فوائد كثيرة، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه، من أجراته على أسلوب واحد، وليس يفعل ذلك اتساعا فقط بل لأمر أعلى، ومهم من الغرض أعنى، فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم." (١)

"موقع الجماعة، كقول الشاعر:

(ترى جوانبها بالشحم مفتونا)

والحمل على المعنى واسع في هذه اللغة. وأعلم أن العرب إذا حملت على المعنى، لم تكد تراجع اللفظ، كقولك: (شكرت من أحسنوا إلي على فعله) ويقال: (شابت مفارقه) وإنما هو مفرق واحد. ومما يؤكد عندك أن العرب إذا حملت على المعنى لم تراجع اللفظ، قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال: أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) ثم قال: (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها) الآية فإن ذلك محمول على المعنى، كأنه قال: أرأيت الذي حاج إبراهيم في ربه، أو كالذي مر على قرية فجاء بالثاني على أن الأول قد سبق كذلك، وأمثال هذا كثيرة.

وأما حمل الجماعة على الواحدة، فكقوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله، وهو محسن، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحمل أول الكلام على لفظ الواحد، وآخره على لفظ الجمع.

واعلم أن العرب تعتبر تارة اللفظ، وتارة المعنى، يقولون: (ثلاثة أشخص) فيثبتون التاء وإن عنوا مؤنثا، ويقولون: (ثلاث أنفس) وإن عنوا رجالا، لأجل اللفظ. ويقولون: (ثلاث شخوص) إذا عنو مؤنثا، (وثلاثة أنفس) إذا عنوا مذكرا للمعنى فاعرف ذلك وقس عليه.

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٩٨

القسم الخامس من النوع الثالث

في التقديم والتأخير

وذلك مما يتعلق بعلم النحو، فإن لنا تقديما وتأخيرا في الكلام، ولا يتعلق بالنحو، وليس." (١)

"هذا بابه، وسيأتي ذكره. اعلم إن **التقديم والتأخير مما** نحن يصدد ذكره هاهنا على ضربين؛ أحدهما يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص، والآخر يكون التأخير هو الأولى والأبلغ؛ إما الفائدة تقتضي ذلك، وإما خوفا من فساد المعنى واختلاله. وسيرد كل ضرب من هذه الضروب، مشروحا مبينا. وإما الضرب الأول وهو ما كان التقديم فيه هو الأولى والأبلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل، وتقديم المبتدأ عل الخير، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل.

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، وإنما تعمد إلى ذلك قصدا للاختصاص، ألا ترى قولك (زيدا ضربت) تخصيصا له بالضرب، إذ يحتمل أن يكون الضرب لغيره؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت كأن تقول (ضربت خالدا أو بكرا أو غيرهما) وإذا أخرته، لزم الاختصاص للمفعول. وقد ورد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. فإنه إنما قدم المفعول، الذي هو الرزق، على الفعل الذي هو ينفقون؛ لأن الإنسان قد ينفق ما ليس له. فلو قدم الفعل هاهنا على المفعول، لسبق إلى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له، ومع تأخيره يزول هذا الوهم، ويرتفع ذلك اللبس.

ومن هذا النحو، قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن قوله: (إياك نعبد) تخصيص له بالعبادة، دون غيره، وكذا قوله: (إياك نستعين) وهذا بخلاف ما لو قال (نعبدك ونستعينك) فإنه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره كما أشرنا

إليه، في (زيدا ضربت) و (ضربت زيدا) فأعرف ذلك.

وأما تقدير خبر المبتدأ عليه، فإنه لا يعمد إليه أيضا إلا لضرب من الاختصاص، كقولك: (زيد قائم) و (قائم زيد) فقولك (قائم زيد) قد أثبت له القيام لا محالة، وقولك: (زيد." (٢)

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٠٨

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٠٩

"والقباب) صفة للملوك أيضا وموضعها التأخير، فقدمها، وهو يريد بها موضعها، كقولك (مررت برجل، يكلمها، مار بهند) أي (مار بهند يكلمها) فقدم الصفة
الثانية، وهو معتقد تأخيرها. وقد استعمل الفرزدق هذا الضرب كثيرا، كأنه كان يقصد ذلك في شعره ويتعمده، لأن مثل هذا لا يجيء إلا متكلفا مقصودا، وإلا فإذا ترك المؤلف نفسه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال، من غير أن يكلفا التعقيد في الكلام، فإنها لا تأتي بمثل هذه الأسباب القبيحة، التي هي عيب في التأليف فاحش، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المذكور، لأن المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح، والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه، وصار غير مفهوم ولا فرق بينه – عند ذلك – وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما. فاعرف ذلك.
واعلم أن من **التقديم والتأخير بابا** عجيبا المأخذ، كثير الفائدة، وافر اللطائف، وهو باب الاستفهام، فإن حاجة المؤلف الكلام إليه ماسة. ولنورد في كتابنا هذا منه ما يروقك، أيها المتأمل، ويذهب بك في الاستحسان كل مذهب، فنقول: اعلم أنك إذا بدأت في الاستفهام بالفعل فقلت (أفعلت كذا وكذا) كان الشك في الفعل، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير. وإذا قلت: (أأنت فعلت) فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده. وهذا المعنى قائم في الهمزة، إذ هي كانت للتقرير، فإذا قلت (أأنت فعلت ذاك) كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، قال الله تعالى (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) حكاية عن قوم نمرود، لأنهم لم يقولوا ذلك لإبراهيم – عليه السلام – وغرضهم أن يقر لهم أن كسر الأصنام كان ووجد، لأن ذلك معلوم عندهم، وقد شاهدوه رأي العين، والاستفهام إنما يكون عن شيء لا يعلم وإنما غرضهم الإقرار بأن ذلك حدث منه، لأنه قال – صلوات الله عليه – في الجواب لهم (بل فعله كبيرهم هذا) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب (فعلت أو لم أفعل) فالهمزة مما ذكرناه تقرير لفعل قد كان وإنكار له، لم
كان، وتوبيخ لفاعله عليه، ولهذا مذهب آخر." (١)
"الشقاشق.
ونحو هذا (المصدر) إذا جاء عقيب الكلام كان الشاهد بصحته، والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان. ألا ترى إلى قوله: صنع الله وصبغة الله، ووعد الله، وفطرة الله. . . بعدما وسمها

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١١٤

بإضافتها إليه، بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: (الذي أتقن كل شيء).
وأما الثاني، وهو ضد الأول، وذلك ما يراد به تصغير الشأن، فكقولك إذا أخرت ذكر إنسان يريد ذمه: (قد ركب هواه، واستمر على غيه، وتمادى في جهله، وسحب ذيل عجبه. . .) وما أشبه ذلك. ثم تقول: (صنع الشيطان: الذي يخلب النفوس، ويسلب الألباب. . .) وأمثال هذا كثيرة فاعرفها.

النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في **التقديم والتأخير مما** لا يتعلق بعلم النحو

كتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الحال والظرف، أو غير ذلك، فإن هذا قد أفردنا له بابا، وجعلناه مقصورا عليه، ومر ذكره في باب (شجاعة العربية).
وأما هذا الباب فانه يتعلق بتقديم الأشياء بعضها على بعض في الذكر؛ لاختصاص
أحدها بما يوجب له التقدم على الآخر، وذلك مما لا يحصره حد، ولا يأتي عليه شرح. وقد أشرنا نحن إلى نبذة منه، إذا تأملها الناظر في كتابنا هذا، يستدل بها على غيرها.
فمن ذلك تقديم السبب على المسبب؛ كقوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين. . .) فإنه." (١)
"الكلام، فنقول:
اعلم أنه متى كان الشيئان أحدهما كثير والآخر أقل منه، وكان الأقل أفضل من الأكثر فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت، لأن في كل واحد منهما ما يوجب له التقدم، فاعرف ذلك وقس عليه نظائره وأمثاله.
ومن هذا النحو قوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله يشاء إن الله على كل شيء قدير).
فإنه إنما قدم الماشي على بطنه لأنه أدل على القدرة من الماشي على رجلين؛ إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي، ثم ذكر الماشي على رجلين بعده، وقدمه على الماشي على أربع؛ لأنه أدل على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشي في الأربع، وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب فاعرف، ذلك.
ومن هذا النوع في **التقديم والتأخير أنه** إذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر، وكان معنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت؛ لأنك إذا قدمت الأفضل فهو في موضع التقديم، وإن قدمت المفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه،

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٧٦

وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضا وارد في موضعه فمن هذا الأسلوب قوله تعال: (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) إلى قوله: (عليم قدير) فأنه إنما قدم الإناث أولا على الذكور، مع تقدمهم عليهن، ثم رجع فقدم الذكور وأخر الإناث بعد ما نكرهن وعرف الذكور؛ لأنه ذكر البلاء

في آخر الآية، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئه، وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛." (١)

"لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه الإنسان، وكان ذكر الاناث، اللتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختار أهم، فالأهم واجب التقديم، ولبلاء الجنس الثاني (الذي) كانت العرب تعده بلاء، ذكر البلاء، ولما أخر الذكور وهم أحق بالتقديم ثم تدارك ذلك بتعريفه إياهم؛ لأن التعريف تنويه بالذكر، (كان) كأنه قال (ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم) ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهن، ولكن لمقتضى آخر) فقال: (أو يزوجهم) ذكرانا وإناثا، وهذه دقائق لطيفة، فلما يتنبه لها أو يعثر على رموزها.

ومن هذا الباب قوله تعالى: (وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ولا. . .) إلى قوله (. . . وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) فإنه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء، ومن حقها التأخير؛ لأنه إنما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم، ووصل ذلك بقوله: (لا يعزب عنه) لاءم بين. . . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه.

النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده

وهذا إنما يعمد إليه لفائدة؛ وهي إما تعظيم حال المعطوف عليه، والتفخيم من شأنه، وإما ضد ذلك ونقيضه، مثال التعظيم قولك. . . (ولما تلاقينا وبنو تميم، أقبلوا إلينا يوفضون وابتدروا نحونا يركضون. وجاءوا كأنهم في تكاثفهم ليل،

وفي سرعتهم سيل. فرأينا منهم." (٢)

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٧٨

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٧٩

"إلى القبول لقوله، وأبعث على الاستماع منه. ولو قال: (فإنهم عدو لكم) لم يكن بتلك المثابة، فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه إلى ذكر الله عز وجل، وأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه، وتعديد نعمه (عليه) من لدن خلقته وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له، والاستكانة لعظمته، ثم خرج من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه فدعى بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوابين، لأن الطالب (إلى) مولاه، والراغب إليه إذا قدم قبل سؤاله وضراعته الاعتراف بالنعمة والإقرار بالإحسان كان ذلك أسرع للإجابة، وأنجح لحصول الطلبة، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث، ويوم القيامة ومجازاة الله لمن آمن به واتقاه بالجنة، ولمن ضل عن عبادته بالنار، فجمع الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته، ثم سأل المشركين عما كانوا يعبون من الأصنام سؤال مونج لهم، مستهزئ بهم، وذكر ما يدفعون إليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العود ليؤمنوا.

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعاني فيتخلص من كل واحد منها إلى الآخر بلطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد، فخرج من ذكر الأصنام وتعريقه لأبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعري عن صفات الإلهية حيث لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع، إلى ذكر الله تعالى، فوصفه بصفات الإلهية، فعظم شأنه وعدد نعمه، ليعلم بذلك

أن العبادة لا تصح إلا له. ثم خرج من هذا إلى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه إلى ذكر يوم القيامة، وثواب الله وعقابه، فتدير هذه التخلصات اللطيفة، هذا إلى غيره من تضمن هذا الكلام لأنواع من صناعة التأليف، وهي الإيجاز والكناية **والتقديم والتأخير وإنابة** الفعل الماضي عن الفعل المضارع.

فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا إليه في بابه الذي سبق ذكره إلا أن من جملته قوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين) فإنه جمع الترغيب في طاعته." (١)

"والترهيب من معصيته مع عظمهما، وفخامة شأنهما في هذه الكلمات اليسيرة. وأما الكناية فقوله تعالى (وبرزت الجحيم للغاوين) فالغاوون هاهنا كناية عن أبيه وقومه، ويدل على ذلك قوله (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله) لأن كلامه في الأول كان معهم في عبادتهم الأصنام.

وأما **التقديم والتأخير فإن** ذكر إبراهيم النعمة وتعديد الإحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة. وأما إنابة الفعل الماضي عن المضارع فقوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٨٤

تعبدون) بعد قوله (ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)، وفي ذلك من الفائدة ما أشرنا إليه في بابه، وقد سبق ذكره، فاعرفه.

ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزمكدم:

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة ... وبرد أغانيه وطول قرونه

سريت ونومي فيه نوم مشرد ... كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه ... أبو جابر في خبطه وجنونه

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... سنا وجهة قرواش وضوء جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء، وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر، وكان البرقعيدي مغنيا

وسليمان بن فهد وزيرا، وأبو جابر صاحبا، فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه فأنشد هذه الأبيات. وقد قال بعض أرباب هذه الصناعات إن هذا الشاعر لو تحدى بهذه الأبيات لأعجز." (١)

"فسمى الظبي (تولبا) والتولب: ولد الحمار. هذا ما ذكره قدامة، وهو خطأ؛ لأنه لو كان ما ذهب إليه صحيحا، لكان أصل المعاظلة، في وضع اللغة دخول الشيء فيما ليس من جنسه. وليس أصلها في وضع اللغة كذلك، بل هو التداخل والتراكيب.

وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تداخل في معانيه ولا تراكب، وإنما هو استعارة فاحشة فقط، فوجب حينئذ أن لا تسمى معاظلة) لأن حقيقة المعاظلة ليست موجودة فيه.

وأما جماعة الأصحاب من علماء البيان، فانهم خالفوا قدامة فيما ذهب إليه، والحق في أيديهم، لاتباعهم في ذلك حقيقة هذا الاسم، الذي وضع له في أصل اللغة.

وقد مثله الغانمي بقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

وهذا مثال حسن لوقوعه على ما مثل به، ألا ترى إلى تداخل معاني هذا البيت بتقديم ما كان يجب تأخيره، وتأخير ما كان يجب تقديمه؟ لأن الأصل في معنى هذا البيت. (وما مثله في الناس حي يقاربه، إلا مملكا، أبو أمه أبوه).

واعلم أم هذا الذي أشرنا إليه من المعاضلة بابه التقديم والتأخير، وقد سبق ذكره في كتابنا هذا. إلا أن

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/١٨٥

المعاظلة، قد جعل لها أهل هذه الصناعة؛ بابا مفردا في كتبهم، فلم نر مخالفتهم في هذا القدر، لكنا بينا حقيقتها في بابها وأشرنا إليها بأوضح إشارة وألحظها ليعرف موضعها من التأليف.." (١)

"قال: الرواية التي في ايدي الشّاميين، ينصبون طيبا، ويجب أن يكون نصبه بإضمار فعل، كأنه قال: تزيد طيبا، أو: تطيب طيبا، كلا تقول: فلان سيرا، أي:

يسير سيرا.

والبغداديّون ينشدون: طيب بالرّفع، وإنما فرّوا من النّصب، لأنه ليس ثمّ فعل يحمل عليه. والرّفع على أن طيب خبر مبتدأ، وهذا كلام النّحاة من البصريين.

وأقول: أن الشّعر موضع ضرورة، يقع فيه التقديم والتأخير، وهو على أصله في الكلام، فيكون تقدير هذا البيت: مغاني الشّعب في المغاني طيبا، أي: استقرّت طيبا، بمنزلة الرّبيع من الزّمان طيبا، ويكون مثل قولهم: زيد في الدار قائما (وأجيز في قائما التقديم في الشعر). وإذا جاز أن يؤخّر الفاعل ويقدّم المفعول في قولهم: ضرب غلامه زيد، وفي قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه)، والفاعل كالجزء من الفعل، ولهذا إذا كان مضمرا مرفوعا لم يعطف عليه حتى يؤكّد، فلم لا يجوز التقديم (والتأخير) في مثل هذا البيت؟

وقوله: (الوافر)

ولكنّ الفتى العربيّ فيها ... غريب الوجه واليد واللّسان." (٢)

"المنكب، وهو مجتمع ما بين العضد والكتف. والواو لا توجب أن يكون ذلك في وقت واحد حتى تستغرق الكف الفودين والمنكب معا؛ وذلك انك تقول: ضربت زيدا وعمرا فتعلم وقوع الضرب بهما، ولا تعلم كيف وقع في **التقديم والتأخير والجمع** والتفريق.

وقوله: الخفيف

جاعِلٌ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إنْ ... لم يكُنْ دونَها من العَارِ واقي

قال: هذا معنى لطيف، والغرض فيه، إن هذا الذمر لا يلبس درعا؛ لأن العرب تفضل الذي يشهد الحرب حاسرا، على الذي يشهدها دارعا. كقوله: الطويل

وأكثرُ مِنَّا ناشئاً يطلب العُلا ... يجالِدُ قِرْناً دَارِعاً وهو حَاسِرُ

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢٣١

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢/٢٢٨

وأقول: إن المعنى الذي ذكره ليس بشيء! وإنما هو في قولهم: المنية ولا الدنية والنار ولا العار يقول: يجعل الدرع التي يتقي بها المنية، المنية نفسها، فيلبسها إذا لم يجد درعا سواها يقيه العار.." (١)

"قال: أراد بالمضارع هاهنا المستقبل دون الحال.

وأقول: إن قوله: فعلا مضارعا معناه انك إذا أردت أن تفعل فعلا في الحال الراهنة أو المتأخرة، أي: فعلا على الفور أو التراخي مضى بجودك وباسك، أو بسعادتك، قبل القواطع من الزمان، فكنى **بالتقديم والتأخير عن** المضارعة إذ هي للحال والاستقبال، أي: إذا نويت أن تفعل، وكنت مترددا فيه بين أن تفعله في الزمن القريب من زمنك أو البعيد، مضى: أي: فعل قبل أن يقال لم يفعل لما ذكرته.

وقوله: الوافر

فكانُوا الأُسْدَ ليسَ لها مَصَالٌ ... عَلى طَيْرٍ وليسَ لها مَطَارُ

قال: لابن جني كلام في تفسير هذا البيت قليل المنفعة! والصواب إن الضمير في كانوا يعود على رجال سيف الدولة، جعلهم اسودا وجعل البادية المنهزمة طيرا، وصولة الأسد لا تدرك طيران الطائر، أي: انهم هربوا مسرعين كالطير فلا لوم على جيش سيف الدولة إذ لم يلحقهم لأنهم كالأسد وأولئك كالطير.

وأقول: إن الضمير في فكانوا يرجع إلى ذكر الأعادي قبل؛ يقول: أنهم كانوا كالأسد في الشجاعة إلا أنهم لم يكن، في وقت لحاق سيف الدولة بهم، لهم مصال.." (٢)

"قال: إنها تصير إلى الأرض لشدة الضرب فتوري النار، ثم يُخمدها ما ينصب من الدماء عليها.

وأقول: لم يُرد بمضاربها ضربها وإنما أراد حدودها، فالنار تنقدح منها لعتقها وجودتها وحسن جوهرها، لا بالضرب والإيراء بالبلوغ إلى الأرض؛ لأنها لا توري النار إلا وقد سبقت الدماء، ومستحيل الإيراء مع صب الدماء، فينبغي أن يكون انقداح النار منها قبل الضرب بها وصب ماء الرقاب عليها. وإذا كانت السيوف قد شُبهت كلها بالنار فالأولى أن تُشبه حدودها بالنار، أو تُجعل النار تنقدح منها.

وقوله: المنسرح

قد أجمْعَتْ هَذه الخَليقةُ لي ... أنَّكَ يا ابْنَ النَّبيِّ أوْحَدُهَا

قال: أجمعت الخليقة موافقة لي، أنك أوحدها. ويجوز أن يكون على التقديم والتأخير؛ أي: أوحدها إحساناً إليَّ وأفضالاً عليَّ، ولا يكون في هذا كبير مدح. ويجوز أن يكون: أجمعت فقالت لي؛ لأن القول يُضمر

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢٩/٣

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٦٠/٤

كثيرا.

وأقول: هذه الوجوه كلها تخيلات على تقرير قوله: لي، وهي أينما قُررت قلقة مضطربة، ولو إنه قال:

قَدْ أجْمَعتْ سَادةُ الأنام معي ... .

أو:

. . . . الكرام. . . . .

لهجر التكلف وأمن التعسف.." (١)

"ولا يحفظ شيء من ذلك في الكلام، إلا ما جاء في حديث خرجه مسلم في قتلى بدر، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم. . . الحديث، فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسول الله، كيف يسمعوا، وأنى يجيبوا، وقد جيفوا) فحذف النون من (يسمعون) و (يجيبون).

ومنه: حذف النون الخفيفة الداخلة على الفعل المضارع للتأكيد، من غير أن يلقاها ساكن، نحو قوله، أنشده أبو زيد في نوادره:

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسوط قونس الفرس

قال ابن خروف: إنما جاز ذلك على التقديم والتأخير، فتوهم اتصال النون من (اضربن) بالساكن بعده.

والصحيح أنه حذفها تخفيفا، لما كان حذفها لا يخل بالمعنى، وكانت الفتحة التي في الحرف قبلها دليلة عليها.

ويدلك على صحة ذلك قول الشاعر، أنشده الجاحظ في البيان له:

خلافا لقولي من فيالة رأيه ... كما قيل قبل اليوم خالف تذكرا." (٢)

"فصل التقديم والتأخير

وهي منحصرة في: تقديم حركة، وتقديم حرف، وتقديم بعض الكلام على بعض.

فأما تقديم الحركة لأجل الضرورة فقليل. والذي جاء من ذلك نقل حركة الضمير في نحو: (ضربه) إلى الحرف المتحرك قبله في حال الوقف، نحو قوله، أنشده الجوهري:

ما زال شيبان ... شديدا هبصه

حتى أتاه قرنه ... فوقصه

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٤/٥

(٢) ضرائر الشعر، ابن عصْفُور ص/١١١

يريد: فوقصه، فنقل حركة الهاء إلى الصاد.

وذكر ابن دأب أن أعشى همدان قال:." (١)

"ومنه: تقديم المجرور على حرف الجر. وهو من القلة بحيث لا يلتفت إليه، نحو قوله:

أتجزع أن نفس أتاها حمامها ... فهلا التي عن بين جنبيك تدفع

يريد: فهلا عن التي بين جنبيك تدفع.

ومنه ما يكثر فيه التقديم والتأخير وإخراج الكلام عن وضعه حتى لا يفهم منه المعنى المراد إلا بعد تدبر كثير. وذلك قبيح جدا لا ينبغي لأحد أن يرتكبه (نحو) قول الفرزدق:

فليست خراسان التي كان خالد ... بها أسد إذ كان سيفا أميرها

وذلك أنه يمدح خالد بن الوليد ويذم أسدا، وكانا واليين بخراسان، وكان خالد وليها قبل أسد. وتقدير البيت: فليست خراسان (بالبلدة) التي كان خالد بها سيفا إذ كان أسد (أميرها) وقوله:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه." (٢)

"فإنه ينبغي أن يحملا على أن الكلام تم في البيت الأول عند قوله: (واستجهلت)، ويكون قوله: (حلماؤها سفهاؤها) مبتدأ (وخبرا)، على حد قولهم: زيد زهير، أي: حلماؤها مثل سفهاؤها في الاستجهال، وتم في البيت الثاني عند قوله: (قد كفرت)، أي: لبست الدروع. ويكون أيضا قوله: (آباؤها أبناؤها) مبتدأ وخبر، على حد قولك: زهير، أي آباؤها مثل أبنائها في التكفير، لأنهما إذا حملا على ما ذكرته سلما من التقديم والتأخير.." (٣)

"وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ مُغبرةٌ يجوزُ فيه الوجهان، لأن مهمَه هذا مجرور برب، والواو هذه واو رب.

وَقَلَبوا لِنُكْتَةٍ: وقلبوا هذا ما يُسمى بالقلب عندهم، لِنُكْتَةٍ، يعني: لفائدةٍ، من خلاف المقتضى القلب، ما المراد بالقلب؟ قلبُ أحدِ الجزأين المبتدأ والخبر، لأنه يتحدَّثُ في الأصل عن المبتدأ والخبر أو الفاعل، من خلافِ المقتضى القلبُ، وهو أن يجعلَ أحدَ جزئي الكلام مكان الآخر، لكن ليسَ مطلقاً، والآخر مكان الأول، يعني: يُجعَلُ كلٌّ منهما متّصِفاً بصفة الآخر وحكمه، يعني: ليس المراد أنه يتقدَّم ويتأخَّر في اللفظ فقط لا، أن يُجعَل متصفاً بما اتصفَ به الأول، فالتبديل والتقديم والتأخير ليس في اللفظ فقط، بل

---

(١) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/١٨٧

(٢) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/٢١٣

(٣) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/٢١٥

حتى في الصفة والحكم.

زيدٌ أخوك، ما إعرابه؟ مُبتدأ وخبر، زيدٌ أخوك، أنتَ تعرف زيد، وحَكمتَ عليه بأنه أخٌ لك، زيدٌ: مبتدأ محكوم عليه، وأخوك خَبر، لو أردنا أن نقلِبَ ونقول: أخوك زيدٌ، هنا أَبدلت موضعا بموضع وأبدلت بين الجزأين ومع الحكم، لكن بشرط أن يُعرَب أخوك مبتدأ وكانَ هناك خبر، وزيدٌ يعرب خبرا وكان مبتدأً، ولا شك أن المبتدأ محكومٌ عليه، فجُعِلَ أخوك محكوماً عليه بعد أن كان محكوماً به، وفَرقٌ بين النوعين، حينئذٍ يُسمى هذا قلباً.

لكن متى؟ إذا نُطِقَ بالجملة الأولى، ثم أرادَ أن يقلب عليه فيُقدِّم ويُؤخِّر أحد الجزأين عن الآخر وقاصداً أن أحدهما مُتصفٌ بما اتصفَ به في الجملة السابقة، لذلك قال هنا: هو أن يَجعلَ أحد جزئي الكلام مكان الآخر، والآخر مكان الأول، أن يُجعَلَ متصفاً كلٌّ منهما بصفة الآخر وحكمه، لا مجرد الوضع موضعه مع بقاء كلٍّ منهما على حكمِهِ الأصلي.

في الدار زيدٌ، أصله: زيدٌ في الدار، لما قدَّمتَ وأخَّرتَ صدقَ عليه أنك جعلتَ أحدَ الجزأين مكان الآخر، لكن هل المراد التقديم اللفظي فقط، أم مع الحكم؟ لا، في الدار زيدٌ، في الدار ما يمكن أن يكونَ مبتدأ، بخلاف المثال الذي ذكرناه.

في الدار زيدٌ، أصلُها: زيدٌ في الدار، قدَّمت وأخَّرت، إذن: قلبت .. حصلَ القلب، القلبُ هنا للموضع مع الحكم أو الموضع فقط؟ الموضع فقط، ولا يكونُ القلبُ الذي معنا الذي هو نَوعٌ من أنواع البيان إلا إذا كان في الموضعِ والحكم معاً، كالمثال الذي ذكرناه: زيدٌ أخوك .. أخوك زيدٌ، إذا أردتَ أن تقلِبَ اللفظ مع الحكم، فحينئذٍ يُسمّى قلباً.

وهذا مختلَفٌ فيه هل هو جائز أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

يُقبَل مُطلقاً " لأنه يُورِث الكلام ملاحةً " قاله السكاكي.

لا يُقبَلُ مطلقاً؛ لأنه عكس المطلوب ونقيض المطلوب.

التفصيل: إن تضمَّنَ معنىً لطيفاً جازَ، وإلا فلا، وهذا هو المرجَّحُ، وهو الذي ذهبَ إليه الناظم، لذلك قال: لِنُكْتَةٍ، دليلٌ على أنه إذا لم يكن لنكتةٍ لا يصحّ، فإذا لم يكن لنكتة .. لفائدة، القلب نقول: هذا لا يُعَدُّ نوعاً من أنواع البيان .. لا يُعَدّ نوعاً من أنواع البلاغة.." (١)

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١٩

"والمقصود من هذا الباب بيان أحوالها .. بيان أحوال هذه المتعلقات، مِن حذفٍ وذكرٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ ونحو ذلك، وحكمُ أحوالِ معمولات ما يعمَلُ عمل الفعل كاسم الفاعل كذلك، يعني: ليسَ الأمر مختصّاً بالفعل، لأنه قال: متعلِّقات الفعل، ومعلومٌ أن الفعل قد يعملُ عمَلَهُ اسم الفاعل ونحوه، فحينئذٍ ليسَ الحكم خاصّاً بالفعل بل يتعدّى فيشمل متعلِقات ما يعمل عمل الفعل، ولذلك يقدَّر الباب الرابع في أحوال متعلِقات الفعل، أو ما يعمل عمله.

الفعلُ أو بقية العواملِ في اسمها المنصوبِ كاسمِ الفاعلِ

يعني: الحكم ليسَ خاصّاً في هذا الباب بالفعلِ ومتعلَّقات الفعل بل يشملُ متعلّقات ما يعملُ عمل الفعل.

إذن: ما يعملُ عملَ الفعل كاسم الفاعل هو كذلك، وإنما اقتصرَ في الترجمة على الفعل لأصالتهِ في العمل، معلومٌ أن الأصل في العمل هو الفعل، فحينئذٍ كلُّ ما يتعلق بالفعل ومتعلقات الفعل، وأحوال متعلقات الفعل يصدُقُ الحكم على الفرع كذلك، هذا هو الأصل، أن ما صدَقَ على الأصل يصدُقُ على الفرع، هذا هو الأصل، ولا يُخرَجُ عنه إلا بدليل.

في أحوال متعلِّقات: إذن عرفنا التقدير هنا .. في أحوال متعلّقات، متعلِّقات قلنا: المفاعيل والحال والتمييز ونحو ذلك، هذه لها أحوال من التقديم والتأخير، والحذف والذكر، فحينئذٍ نقولُ: هذه أحوالٌ تجري وتصدُقُ على متعلّقات الفعل، كما أنها أحوالُ تصدُقُ على المسند فيما سبقَ، وعلى المسند إليه فيما سبق، فالأمر سيّان، ولذلك أكثر ما يكون في هذا الباب قد يُعلَم فيما سبقَ من البابين السابقين؛ لأن الأغراض واحدة في الأصل، وما يصدُقُ هناك يصدُقُ هنا.

ولذلك قيل: ذكرُ الفاعلِ هنا ليس بلائق؛ لأن الفاعل مسندٌ إليه، وإن كان ذكره المصنفُ هنا تبعاً للأصل، لأن الأليق أن يُذكَرَ في باب المسند إليه، لأن الفاعل مسند إليه وليس متعلقات الفعل، ليس من متعلقات الفعل في اصطلاحِ البيانيين والنحاة، وإنما المتعلّقات تصدُقُ بالفضلات، هذا الغالب عندهم من المنصوبات والمجرورات، فأمّا المرفوعات فالأصلُ فيها أنها من قَبيل العُمد.

إذن: اقتصرَ في الترجمة على الفعلِ لأصالته في العمل، فالأصلُ في العمل هو للأفعال.

متعلِّقات الفعل المرادُ بها جميع أحوالها، لأن وضعَ هذا الباب لها إلا أنه اقتصرَ فيه على ذكرِ البعض، لأنه ما ذكرَ إلا المفعول به فقط، قال:

والفعلُ مَعْ مفعولهِ كَالفِعْلِ مَعْ فاعِلِهِ ..

ثم ذكَرَ أن الغرضَ من ذكرِ المفعول به مع الفعل هو الغرض من ذكر الفاعل مع الفعل، ثم ذكر نوعي الفعل المتعدي الذي ذُكِرَ معه المفعول به والذي لم يُذكر وقسَّم على ما سيأتي بيانه.." (١)

"لم يذكر الحال، ولم يذكر المفعول المطلق، ولم يذكر المفعول لأجله، ولا الظرف المكاني ولا الزماني، لماذا؟ قالوا: لأنه يُعلَم حالُها مما ذُكِرَ، يعني: ذَكَر بعضَ أحوال متعلِّقات الفعل للاستغناء عن ذكر الباقي منها، إما بما ذُكِرَ هنا أو بما سَبَقَ في غير هذا الباب لظهور جريانه فيه، إذن ذكر البعض وهو المفعول به، ولم يذكر البقية .. بقية المعمولات، لماذا؟ لأنه يمكن أن تُجرى الأحكام السابقة في بابِ المسند والمسند إليه، على هذه المعمولات، وحينئذٍ نقولُ: هذا بابُ المعاني في الغالب أنه متشابه في الأحكام والأغراض والمقاصد؛ لأن مبناهُ على الذوقِ في غالب ما يُذكَر، ثَم قواعد مطردة لا بدّ من اعتمادها، ولكن ثَم أمور كثير ليست بقليلة مبناها على الذوق الذي يحكمُ به الناظر في هذه الأمثلة.

ولم يَستوعب الناظم كأصله جميع المتعلِّقات، وإنما ذكَرَ منها الفاعل والمفعول فقط، وذِكرُ الفاعل في باب المسند إليه أليقُ؛ لأنه مُسندٌ إليه، هذا أولى من أن يُذكَرَ في هذا الموضع، والمراد بالأحوال هنا هي الذكر والحذفُ والتقديم والتأخير، الذكر: أن يُذْكَرَ المفعول به، الحذف: أن يُحذَف، التقديم: يتقدَّمُ على عامله، التأخير: يتأخَّرُ في موضعه، لكن هذه قد تتأتّى في المفعول به، لكنه لما ذَكَرَ الفاعل وكأنه أطلقَ عليه أنه مُتعلِّق بالفعل حينئذٍ لا يتأتى فيه الحذف ولا التقديم على مذهب البصريين، فالحذفُ والتقديمُ إنما يتأتيان مع المفعول وغيره، وقد يكون في غيره أيضاً بعض التفصيل، لكن ذِكرُ المفعولِ هنا قد يتأتى فيه الأربعة الأحوال.

أما الفاعل وهو مُسندٌ إليه ركن، إذن لا يجوزُ حذفه .. لا يجوزُ حذفُهُ إلا على مذهب الكوفيين، والصواب أنه لا يجوز حذفُهُ؛ لأنه عُمدة، ولو دُلَّ عليه، إلا ما سُمِعَ من لغة العرب كحذفِ فاعل المصدر ونحوه فهذا يُسمع ولا يقاس عليه، يعني: يُحفَظ ولا يُقاس عليه.

كذلك لا يصحُّ تقديم الفاعل على عامله، كما تقول: زيداً ضربتُ جائز، يجوز أن يتقدَّم المفعول على العامل:

وَقَدْ يُجَاءُ بِخِلافِ الأَصْلِ وَقَدْ يَجِي المَفْعُولُ قَبْلَ الفِعْلِ

ولكن هل يجوز تقديم الفاعل على عامله على مذهب البصريين وهو الأصحّ أنه لا يجوزُ إلا على مذهب الكوفيين، وبعض البيانيين يُعمّم مثل الأحكام، ولذلك نُسِبَ للسكاكي أنه مثَّلَ لحذف الفاعل، ومثل لتقديم

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٢٢

الفاعل، هذا مَبنيٌ على ماذا؟ مَبنيٌ على أنه يميل إلى آراء الكوفيين بكثرة، فحينئذٍ إذا نظرتَ في كتب البيانيين وقد مثَّلَ لحذف الفاعل وطردَ الحكم ولم يستثنِ تعلم أنه قد جرى في هذه المسألة على مذهب الكوفيين، كذلك إذا جوَّزَ التقديم .. تقديم الفاعل على العامل نقول: هذا قد جرى على مذهب الكوفيين.

إذن: الأحوال أربعة: الذكرُ والحذفُ والتقديمُ والتأخيرُ، هذه تتأتّى في المفعول به ولا تتأتّى كلها في الفاعل، وإنما يتأتّى فيه الذكر والتأخير فقط، والتأخيرُ الأصل أنه لا يعلَّل، وإنما يُقال: لأصالته، إذن: والأحوالُ هنا هي الذكرُ والحذفُ والتقديم والتأخير، والتقديم والحذف لا يتأتيان في الفاعل؛ لأنه لا يُحذَف ولا يتقدَّمُ إلا على مذهب الكوفيين.." (١)

"وفَصْلِ، يعني: رعاية الفاصلة، ((ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)) [الحاقة:٣١] قيل: هذا المراد به قُدِّمَ المفعول به لا لإفادةِ القصر، ولا للاهتمام، ولا للتبرّك، وإنما لكون الفاصلةِ منتهية بقوله: صلّوه، يعني: بالهاء، وحملَهُ صاحب الكشاف على التخصيص، إلى الجحيم لا إلى غيرها صلُّوه، ويحتمل هذا وذاك.

وجاءَ للتخصِيصِ قبلَ الفِعْلِ ... تَهَمُّمٍ تبرُّكٍ وفَصْلِ

إذن: أفادنا في هذا البيت بأنَّ الأصل في المفعول به التأخير عن الفعل، فإذا قُدِّمَ فقد قُدِّمَ ما حقّه التأخير فلا بد أن يكون لنكتة وفائدة، مِن هذه النكت القصر، وهذا هو الشهير والمشهور، ثم التهمُّم هذا من الأغراض، والتبرك ورعاية الفاصلة وغير ذلك.

واحكم لمعلولاتِهِ بما ذُكِرْ: واحكم يا طالب العلم، لمعلولاتِهِ: معمولات الفعل، أي: لبقيّتها فيما سوى المفعول به، لأنه ذَكَرَ المفعول به ولم يذكر غيره، لكن كلّ الأحكام المتعلقة بالمفعول به يمكن أن تتأتّى في سائرِ المعمولات، لأنه كما سبقَ الفعل قد يكون له مفعول به، ومفعول معه، وله، وظرف مكان، وظرف زمان، وحال، وتمييز، وكل ما يمكن أن يتعلَّقَ بالفعل، فهو يُعتبَر من المعمولات.

هل هذه الأغراض من الذكر، والحذف، والتقديم والتأخير، خاصّةٌ بالمفعول به فقط دون ما سواه؟ لا، الحكم عامّ لكلِّ المعمولات التي يمكن أن تتعلَّقَ بالفعل، من ذكرٍ وحذفٍ، وتقديمٍ وتأخير.

واحكم لمعلولاتِهِ، يعني: حكم بقيةِ معمولاتِ الفعل كالمفعول، واحكم لمعلولاتِهِ: لمعمولات الفعل بما حكمتَ به للمفعول به، بما ذُكِرْ: بجميعِ الأحوال المذكورة مِن الذكر والحذف والتقديم والتأخير، راكباً جاءَ زيدٌ، هذا حصلَ التخصيص بالتقديم، فحينئذٍ ما هو الذي قُدِّمَ هنا، المفعول به؟ نقول: الحال، جاءَ

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/٣

زيدٌ راكباً، هذا رُتبتُها فقُدِّمت، فحينئذٍ نقول: أفادت التخصيص.
يومَ الجمعة ضربتُ زيداً؟ الظرف نعم، في داره ضربتُ زيداً، قُدِّم الجار والمجرور، ونحو ذلك وقِس عليها.
واحكمْ لمعلُولاتِهِ بما ذُكِرْ ... والسّرُّ في الترتيبِ فيها مُشْتَهِرْ

إذا اجتمعت هذه المعمولات لها ترتيبٌ خاصّ عند البيانيين؛ يختلفون في الترتيب، لكن ثَم ترتيبٌ مشهورٌ عندهم.
والسُّر في الترتيبِ، السر يعني: النكتة البديعة، والفائدة الخفية، في الترتيبِ: العهد الحضوري (أل) هنا، فيها، أي: في هذه المعمولات عندَ الاجتماعِ مُشْتَهِرْ، يعني: مَعلومٌ في كتبِ النحو، ويذكرُهُ البيانيون تبعاً.
نقول: المفاعيل وما في معناها من الفضلات وإن اشتركت في كونها فَضلة، لكنها مُترتِّبةٌ فيما بينها عندَ اجتماعها، فإذا اجتمعت المفاعيل كلُّها .. إذا اجتمعت فالأصحُّ هنا خلطٌ عند المحشي وغيره، فالأصحُّ أنه يُقدَّم المفعول المطلق، ثم المفعول به بلا واسطة، يعني: واسطة حرف، مررتُ بزيدٍ، زيدٍ هذا في المعنى مفعولٌ به، لأنه وقَعَ به المرور، فحينئذٍ ما كان متعدّياً إليه من المفاعيل المفعول به بحرف .. بواسطة هذا يُؤخَّر عمّا وُصِلَ إليه بدون واسطة.." (١)
"قصر موصوفٍ على صفةٍ وعكسه: قصرُ صفةٍ على موصوفٍ.
يكون، أي: هذا القصر الاصطلاحي في الموصوف، أي: يكون مِن قصرِ الموصوف على الصفة، ما تفسيرُهُ؟ قالوا: بأن يُجعَل الموصوف مختصّاً بالصفة لا يتعدّاها إلى غيرها، أن يُجعَلَ الموصوف مختصّاً بالصفة لا يتعدّاها إلى غيرها، إنما العالم زيدٌ: هذا قصرُ موصوفٍ على صفة، إنما زيدٌ العالم، قصرتَ زيدا على صفة العلم، ولا يتصفُ بغير هذه الصفة، لا يتعدّاها، ولذلك الحقيقي مُتعذِّر:
وهو عزيزٍ لا يكاد يوجد ..
إنما زيدٌ العالم، أو إنما زيدٌ عالمٌ بدون (أل). "إنما زيدٌ عالمٌ" هنا قصرتَ وخصصتَ زيد بصفة العلم، هل له صفةٌ أخرى؟ لا، ليس له صفة أخرى، ليس له صفة العلم، لا حياء ولا بصر ولا سمع، هذه كلّها خارجة، فلذلك قيل:
وهو عزيزٌ لا يكاد يوجد ..
بأن يُجعَلَ الموصوف مختصّاً بالصفة لا يتعدّاها إلى غيرها، لكن يجوزُ أن تكون تلك الصفة لموصوفٍ

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٢٣

آخر، لا إشكالَ في هذا، إنما زيدٌ عالمٌ: قصرتَ الموصوف زيد على صفةٍ لا يتعدّاها، طيب! العلم هل يتصفُ به غير زيد؟ يمكن .. يجوزُ أن يتصفَ به غير زيدٍ، وإنما الحديث عن الموصوف، قصرتَ الموصوف على صفةٍ واحدة ولا يتعدّاها إلى غيرها، أما هذه الصفة كونها موجودة في غير الموصوف أو لا هذه مسألة أخرى، تُبحث من خارجٍ، هذا يُسمى: قصر موصوفٍ على صفةٍ.

والأصافِ: هذا النوع الثاني: أن يكون قصرَ صفةٍ أو الصفات على موصوفٍ واحدٍ، بحيث لا تتعدّى تلك الصفة أو الصفات ذلك الموصوف إلى غيره، لكن يجوزُ أن يكون لذلك الموصوف صِفاتٌ أُخَر: إنما العالم زيدٌ، هذا قصرُ صفةٍ أو موصوف؟ قصر صفةٍ على موصوف، كيف عرفتَ أنه قصرُ صفةٍ على موصوف؟ إن قدّمتَ الصفة فهو من قصرِ صفةٍ على موصوف، وإن قدَّمتَ الموصوف فهو من قصر موصوف على صفة، إنما زيدٌ عالمٌ: قدّمتَ الموصوفَ، فهو من النوعِ الأول: قصرُ موصوفٍ على صفةٍ، إنما العالم: قدّمتَ الصفة، زيدٌ: أخَّرتَ الموصوفَ، فحينئذٍ يكون من قصر الصفة على الموصوف، الذي يتقدَّمُ هو الذي تحكمُ به على غيره.

إن أردتَ: إنما زيدٌ العالم، وأردتَ قصر الموصوف على الصفة في هذا التركيب لا يجوزُ التقديم والتأخير، يجب تأخير الخبر هنا، إنما زيدٌ العالم، هنا مقصودُك ماذا؟ قصرُ الموصوفِ على الصفة، هذا لا يتأتّى إلا بأن يكونَ المقدَّم هو المبتدأ، والمؤخَّر هو الخبر، حينئذٍ لا يجوز **التقديم والتأخير وقلب** المسندين في هذا التركيب، لماذا؟ لأنك لو قدّمتَ وأخرت لالتبسا .. لالتبس النوع الأول بالنوع الثاني، وأنتَ مرادك قصر الموصوف على الصفة.." (١)

"عناصر الدرس

* تنبيه على بيت في فصل: في أداة التشبيه، وغايته، وأقسامه.
* فصل في: "تركيب المجاز"، والأولى في الترجمة.
* أقسام المجاز المركب.
* فصل في: "تغيير الإعراب".
* كيف سُمي تغيير الإعراب مجازًا؟
* العدول من إعراب إلى إعراب لوجود أحد سببين.
* الصحيح أن وصف المجاز يكون للكلمة وليس للإعراب.

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٢٣

* ليس كل حذف يكون مجازًا، ولا كل مجاز يكون بحذف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أنبِّه على البيت السابق في قوله:

(فصلٌ: في أَدَاة التَّشبيه وغايته وأقسامه)

البيت الرابع:

تزيينٍ او تشويهٍ اهتِمامِ ... تنويهٍ استطرافٍ أو إيهامِ

قلتُ: بإسكان (اهتِمامِ) و (إيهامِ) لكنَّه بالتَّحريك (تزيينٍ أَو تشويهٍ اهتِمامْ) هكذا قلت فيما سبق والآن أُصحح:

تزيينٍ او تشويهٍ اهتِمامِ ... تنويهٍ –بالخفض وهو أولى– استطرافٍ أو إيهامِ

وقفنا عند قول المصنف رحمه الله تعالى:

(فَصْلٌ: فِي تَرْكِيبِ الْمَجَازْ)

لَمَّا تَمَّ الكلام على المجاز المفرد، عرفنا أنَّ المجاز على نوعين: مفرد ومُرَكَّب، وشَرَع فيما يَتعلَّق بالمجاز المفرد وقسَّمه إلى: مرسل واستعارة، وحينئذٍ شَرَع بالكلام على المجاز المركَّب فقال:

(فَصْلٌ: فِي الْمَجَازْ الْمُرَكَّبْ)

كما هو في (حلية الُّلب المصون) ولو قال: في تركيب المجاز كذلك لا بأس، فحينئذٍ تَّركيب يكون مصدراً من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في المجاز المُرَكَّب، حينئذٍ يكون من باب إضافة الصِّفة إلى الموصوف على التَّقديم والتَّأخير، والأحسن أن يُحْفَظ على أنَّه:

(فَصْلٌ: فِي المَجاز المُرَكَّبْ)

لأنَّه هو الأصل في (التَّلْخِيصْ) وكذلك في (عقود الجمان) عَنْوَنُوا بالمجاز المُرَكَّبْ، وإطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول هذا واردٌ كما هو الشأن في الفصل السَّابق:

(فَصْلٌ: فِي تَحْسِين الاسْتِعَارة)

تَحْسِينْ: هذا مصدر حَسَّنَ .. يُحَسِّنُ .. تَحْسِيناً، وحينئذٍ إذا قلنا: (مُحَسِّنُ استِعارةٍ) حينئذٍ يكون من باب

إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وعلى ما ذكره المحشِّي وله وجهٌ كما ذكرنا أن الأولى (مُحَسِّنُ) حينئذٍ يكون من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، وكلٌّ منهما مُسْتَعْمَلٌ في لغة العرب، يُطْلَق المصدر ويُراد به اسم الفاعل، ويُطْلَق المصدر ويُراد به اسم المفعول.

حينئذٍ: (فَصْلٌ: فِي تَرْكِيبِ الْمَجَازْ) أي: المجاز المُرَكَّب، والتَّعبير بقولنا: (فَصْلٌ: فِي المجاز المُرَكَّبْ) أولى. وخصَّصَه النَّاظم هنا تبعاً للأصل الذي هو (التَّلخيص) .. خصَّصَه بالمجاز المُرَكَّب والمقصود به .. الترجَمة: الاستعارة التَّمثيليَّة، حينئذٍ قد يُفْهَم من الكلام أنَّ المجاز المركَّب لا يكون إلا استعارةً تمثيليَّة وليس الأمر كذلك، بل المجاز المركَّب قد يكون استعارة وقد يكون غير استعارةٍ.

حينئذٍ يُفْهَم من كلام المصنِّف هنا -كغيره-: أنَّ المجاز المركَّب لا يكون إلا استعارةً، حينئذٍ قد يكون المجاز المركَّب لا استعارةً، على كلام المصنِّف لا يكون كذلك، وإنَّما هو خاصٌّ بالاستعارة، إذاً: خَصَّصَه النَّاظم هنا تبعاً للأصل: بالمجاز المركَّب، المقصود بالترجمة .. بالاستعارة التَّمثيليَّة وسيأتي وجهه.." (١)

"وعليه لا يقبل اعتراض ابن عقيل رحمه الله تعالى في شرح الألفية على قول ابن مالك: وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الفَائِدَهْ .. قال: هذا دخل فيه الفاعل، نقول: لا، الجزء المتم الفائدة مع المبتدأ لا مع الفعل، لماذا؟ هو قال: يرد على الناظم، نقول: لا، لا يرد، لماذا؟ لأنه لم يعرف الخبر مستقلاً، وإنما عرفه تحت ترجمة الابتداء، حينئذٍ قال: مبتدأ زيدٌ وعاذر خبر، ثم وصل إلى الخبر فبينه قال: وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الفَائِدَهْ، حينئذٍ اعتراضه عليه في غير محله، لأن كل قيدٍ يذكره الكاتب أو المصنف تحت عنوان الترجمة حينئذٍ تكون الترجمة معتبراً قيداً أو شرطاً أو نحو ذلك فلا اعتراض، وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الفَائِدَهْ مع المبتدأ، فلو قال: يرد عليه أن الفاعل يتم الفائدة .. جزءٌ يتم الفائدة مع الفعل، زيدٌ يصدق عليه الحد، جزءٌ متم الفائدة تمت الفائدة، لكن هل هو مبتدأ؟ ليس بمبتدأ: ضُرِبَ زيدٌ .. زيدٌ: هذا جزءٌ تمت به الفائدة، لكن ليس خبراً، لماذا؟ لكونه نائب الفاعل، تمت الفائدة مع فعلٍ مغير الصيغة، حينئذٍ نقول: هذا القيد معتبرٌ من الترجمة.

على كلٍ هنا قال: عِلْمٌ به، يعني: علم البديع، فهذا خبر لمبتدأ محذوف لدلالة الترجمة عليه، عِلْمٌ بِهِ: العلم هنا يُفسَّر بمعنى القواعد، أو يُفسَّر بمعنى الإدراك، هذا أو ذاك، ولا إشكال كما ذكرنا مراراً أن لفظ العلم إذا ورد في الحدود حينئذٍ قد يُفسَّر بالمسائل وهذا شهير، وقد يُفسَّر بالقواعد، وقد يُفسَّر بالإدراك، والإدراك والقواعد نتيجة واحدة.

عِلْمٌ بِهِ، أي: بهذا العلم، جار ومجرور متعلق بقوله: تُعْرَفُ، يعني: علمٌ تعرف به وجوه تحسين الكلام،

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١/٤٠

وأنَّث تعرف نظراً إلى وُجُوهٌ: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ)) [القيامة:٢٢] ما قال: ناضر، وإنما قال: ناضرةٌ، إذاً هي مؤنث جمع، كل جمعٍ مؤنث كما قال الزمخشري، حينئذٍ نقول وُجُوهٌ: هذا مؤنث، أعاد الضمير عليه تعرف: تعرف هي.

ما حكم التأنيث واجب أم جائز؟ واجب، إذا لم نلاحظ **التقديم والتأخير نقول**: واجب، لماذا؟ لأن الضمير إذا عاد على مجازي التأنيث وجب التأنيث، يعني: إذا عاد الضمير على مؤنثٍ مطلقاً سواءً كان حقيقي التأنيث أو مجازي التأنيث، تقول: الشمس طلعت أو طلع؟ طلعت، واجب أم جائز؟ واجب.

طلع الشمس أم طلعت الشمس؟ يجوز الوجهان، إذاً: إذا تأخر مجازي التأنيث حينئذٍ جاز الوجهان، والتأنيث أرجح، وإذا تقدم مجازي التأنيث حينئذٍ لا بد من الإضمار:

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرْ فَهْوَ وَإِلاَّ فَضَمِيرٌ اسْتَتَرْ

حينئذٍ الفاعل لا بد أن يكون أو تعرف هي نائب الفاعل، فنائب الفاعل ضمير هنا لا يمكن إظهاره حينئذٍ يعود إلى مجازي التأنيث فوجب التأنيث، لأن ما كان من حكمٍ في إثبات الفعل مع الفاعل كذلك يُسلك به في الفعل مع نائب الفاعل، فالحكم واحد.." (١)

"عناصر الدرس

* قوله: "والعكس والتسهيم والمشاكلة ... تزاوجٌ رجوعٌ أو مقابله".
* تعريف كل نوع منها: لغةً، واصطلاحًا، ومثال كل منها.
* قوله: "تورية تُدعى بإيهام لما ... أُريد معناه البعيد منهما".
* تعريف التورية: لغةً، واصطلاحًا، وأقسامها، ومثال كل منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

وقفنا عند قول الناظم رحمه الله تعالى:

والعكسُ والتسهيمُ والمشاكلةْ تزاوُجٌ رجوعٌ او مقابلةْ

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٤٢

توريةٌ تُدعى بإيهامٍ لِما أُريدَ معناهُ البعيدُ مِنْهُما

ورُشِّحَتْ بما يلائمُ القريبْ وجُرِّدَتْ بِفَقْدِهِ فَكُنْ مُنيبْ

جمعٌ وتفريقٌ وتقسيمٌ ومَعْ كليهما أوْ واحِدٍ جمعٌ يَقَعْ

سبق الحديث عن قوله:

وَعُدَّ مِنْ ألقابِهِ المطابقةْ تشابُهُ الأطرافِ والموافَقَةْ

ذكر في البيت الأول ثلاثة ألقاب من ألقاب الضرب الأول المعنوي، وَعُدَّ مِنْ ألقابِهِ، أي: أنواعه، المطابقةْ: هذا الأول، تشابُهُ الأطرافِ: هذا الثاني، والموافَقَةْ: هذا الثالث، والعكسُ، أي: وعُدَّ من ألقابه العكس، والعكس هذا معطوف على قوله: المطابقةْ، لأنه بالواو، إذا كان بالواو حينئذٍ يكون المعطوف عليه هو الأول.

والعكسُ، أي: عُدَّ من ألقابه العكس، من ألقاب الضرب الأول وهو المعنوي: العكس، أي: ومن ألقاب الضرب المعنوي العكس، وسماه في الإيضاح العكس والتبديل، يعني: أضاف إليه كلمة: تبديل، والعكس المراد به التبديل هو عينه، وإن كان العكس قد يُراد به المعنى الاصطلاحي عند المناطقة، لكن ليس هذا هو المراد هنا، إنما المراد به التبديل أو المخالفة، فالعكس المراد به التبديل.

حينئذٍ يكون على هذا قوله: التبديل، في الإيضاح المراد به عطف تفسير، يعني: فسر العكس ما المراد به؟ تبديل الكلمة بكلمة أخرى، يعني: تقديم وتأخير، هذا المراد بالعكس.

إذاً: سماه في الإيضاح: العكس والتبديل، والإيضاح كما ذكرنا مراراً يعتبر شرحاً للتلخيص، وهذا النظم هو نظمٌ للتلخيص، حينئذٍ يكون أولُ شارحٍ هو المصنف نفسه رحمه الله تعالى، ولذلك من أجمل ما كتبه هو الإيضاح.

وهو، أي: العكس والتبديل: أن يُقدم في الكلام جزءٌ ثُم يؤخر .. يُقدم جزءٌ ثُم يعكس، فيقدم ما أخر على ما قدم، وهو أنواع، يعني: التقديم والتأخير، أو إن شئت قل: التبديل، أو إن شئت قل: العكس، أنواع:

الأول: أن يقع بين أحد طرفي جملةٍ وما أضيف إليه، أحد طرفي الجملة .. معلوم أن الجملة لها طرفان: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به، أو إن شئت قل: مبتدأ وخبر، أن يبدل أحد طرفي الجملة وما أضيف إليه، كأن يكون مثلاً المبتدأ مضافاً ومضافاً إليه، فيبدل في الجملة التي تليه، مثل ماذا؟ كما قال بعضهم: عادات السادات سادات العادات!

عادات السادات: هذا مبتدأ، مضاف ومضاف إليه، أخبر عنه بماذا؟ سادات العادات، ماذا صنع؟ جعل

المضاف مضافاً إليه، الذي هو العادات، عادات السادات، عادات: مضاف، والسادات: مضاف إليه، قال: سادات العادات، جعل المضاف إليه مضافاً، والمضاف مضافاً إليه، الذي هو: عادات، وجعل المضاف إليه الذي هو: السادات، مضافاً، هذا صار فيه تقديم وتأخير، إذاً: قدم وأخر، هذا المراد بالعكس.." (١)

"والثاني، أي: الذي هو الجلي والظاهر أقسام، لأنه لا يخلو إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه، من غير تغيير لفظه، المصنف هنا أجمل فقال: تَضَمُّنُ المَعنى جَميعاَ مُسْجَلا: مسجلا يعني: مطلقاً، من أسجل الشيء: أرسله، وهذا الإطلاق يراد به أن يشمل هذا التعريف أقسام النوع الثاني، لأن التقسيم من حيث هو يُقال: لا يخلو الشاعر الثاني إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه من غير تغيير، يعني: سرقة تامة، يأخذ البيت كما هو المعنى واللفظ لا يغير فيه شيئاً البتة لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، هذه سرقة تامة كاملة واضحة بينة.

إما أن يأخذ المعنى جميعه مع لفظه الدال عليه من غير تغيير لفظه، وكيفية ترتيبه وتأليفه الواقع بين مفرداته، أو أخذ بعضه فقط مع تغييره، يعني: أخذ بعض البيت، وإذا أخذ بعض البيت معناه أخذ بعض المعنى، وبعض اللفظ مع تغييره، يعني: غير في الكلمة تبديلاً أو بالمرادف أو بالتقديم والتأخير، أو أخذ المعنى فقط دون اللفظ.

إذاً ثلاثة أقسام:

المعنى كله مع لفظه كله بدون تغيير.

بعض المعنى ويلزم بعض اللفظ مع التغيير.

أخذ المعنى فقط، والتركيب اللفظ من عنده.

هذه ثلاثة أقسام، بقي قسمٌ رابع أغفلوه لم يذكروه في هذا الموضع، وهو أخذ اللفظ دون المعنى، يعني: يأخذ اللفظ كما هو لكن يجعل في ضمنه معنىً آخر: بأن يكون اللفظ مشتركاً فيقصد به الثاني معنىً لم يقصده به الأول، لكن هذا أغفلوه كما قال المرشدي في شرح العقود.

إذاً: الحاصل أن يؤخذ المعنى كله، إما بلفظه كله، أو بعضه، أو وحده، هذه ثلاثة أقسام، ويشملها قوله: تَضَمُّنُ المَعنى جَميعً، قال: مُسْجَلا مطلقاً، يعني: أخذ المعنى مع لفظه كله، أو بعضه، أو المعنى وحده، وكلها داخلة في قوله: مُسْجَلا، أي: مطلقاً، فدخلت الأنواع الثلاثة في حد السرقة التي هي الظاهرة.

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١/٤٣

فإن أخذ المعنى كله .. الآن نُفصِّل لكل واحد له اسم، لو قالوا تضمن وسكتوا أراحونا، لكن جعلوا لكل نوعٍ من هذه الأنواع الثلاثة جعلوا اسماً يختص به: فإن أخذ المعنى كله، يعني: جميع المعنى بجميع لفظه: فهذا محض السرقة .. سرقة محضة لا جدال فيه، ويسمى: بالانتحال، وهو أردؤها، ولذلك قال: أَرْدَؤهُ انْتِحالُ ما قَدْ نُقِلا بِحاله، أعلى الدرجات ذماً في السرقة: أن يأخذ المعنى كله بلفظه، دون أن يبدل ودون أن يغير، أَرْدَؤهُ يُقال: ردؤ رداءةً: وضُع وفسد، فهو رديء.

أَرْدَؤهُ انْتِحالُ يعني: ما يسمى بالانتحال، وهو مذموم، وهذا معنى قوله: أَرْدَؤهُ، أي: أكثره رداءةً، انْتِحالُ: بصيغة الافتعال، من النِحلة، يُقال: انتحل فلان الشِّعْر من غيره إذا أضاف شِعْر الغير إلى نفسه وادعاه لها، إذاً: واضح المعنى، الانتحال: انتحل شِعْر غيره وادعاه لنفسه، المعنى كله ومع لفظه دون أن يغير في المعنى ولا في اللفظ، هذا يسمى بالانتحال.." (١)

"والخِتامِ: هذا الثاني، أي: انتهاء الكلام، لأنه آخر ما يفيد السامع ويرسم في الذهن، فإن كان حسناً تلقاه السمع واستلذه، وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير، نعم .. العبرة بالخواتيم، حينئذٍ لا بد أن يأتي بالبيت الأخير بما يشمل معنىً حسناً، لو كان في الكلام السابق تقصير لوفَّى الثاني الأخير بما حصل التقصير في السابق، ولذلك قال: فإن كان حسناً تلقاه السمع واستلذه، وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير، ومتى كان بخلاف ذلك كان على العكس، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق.

بِمَطْلَعٍ حَسَنْ: الباء سببية، أي: بسبب إيراد مطلع حسن، يعني: التأنق في البدء إنما يكون بالحسن في الطلوع، مطلع: هذا اسم مفعل يعني: إما مصدر ميمي، أو مصدر مكاني، يعني: يكون المصدر مصدراً للطلوع الحسن. الباء سببية، أي: بسبب إيراد مطلعٍ حسن، والمراد بحسن هنا: حسناً زائداً على غيره، بما ليس بمطلعٍ، ومثله يُقال فيما بعده.

إذاً: بِمَطْلَعٍ حَسَن، تأنقٌ في البدء بماذا يكون؟ بالمطلع الحسن، يعني: هذا تفسيرٌ للبدء، وحُسْنُ القالِ، يعني: القال الحسن، عطفٌ على مطلع، من عطف السبب على المسبب، بالنظر لوصفه، وحُسْنُ القالِ: بأن يكون اللفظ في غاية البعد عن التنافر والثقل، هذا أمرٌ عام، سواءً كان في الافتتاح أو في الأثناء أو في الختام، إذ لا تتحقق البلاغة والفصاحة إلا بمثل ذلك.

وحُسْنُ القالِ وسَبَكٍ، وهو حسن النظم، بأن يكون في غاية البعد عن التعقيد **والتقديم والتأخير الملبسين**، وأن تكون الألفاظ متقاربةً في الجزالة والمتانة، والرقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبةً لألفاظها من غير

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٤٨

أن يكتسى اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على العكس، بل يصاغان بتلاؤم وتناسب، ويعول فيه على صحة المعنى، بأن يسلمه من التناقض والامتناع والابتذال، ومخالفة العرف ونحو ذلك، يعني: يحقق ما مضى .. يحقق كل ما سبق من المعاني السابقة في علم المعاني والبيان، وما ذُكِر من البديع.
وسَبكٌ اوْ براعَةُ استهلالِ: من الابتداء الحسن نوع أخص منه، وهو أحسنه وهو الأهم هنا في الأنواع الثلاثة: وهو أن يقدم في أول كلامه إشارةً إلى ما سيق الكلام لأجله، يعني: يشير في كلامه أنه يريد كذا في هذه المنظومة وهذه الخطبة أو نحوها، كقوله:
بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
إذاً: أول كلمة هذه براعة استهلال، لأنه أراد أن يُبشر، ولما قال: بشرى، عرفنا أن ما بعده مما يُبشر به، وأصل البراعة: التفوق، وأصل الاستهلال: رفع المولود صوته عند الولادة، استهل صارخاً، رفع المولود صوته عند الولاة المشعر بحياته، فسمي كل ما أشعر بشيءٍ في الابتداء، براعة استهلالٍ، والإضافة فيه على معنى اللام أو في.
إذاً: المطلع الحسن، وحسن القال، والسبك، وبراعة الاستهلال كلها مما يتعلق بالبدء.." (١)
"هم يعبرون بالحال ولا يعبرون بالمقام، هذا فيه تفصيل لبعض أهل البيان، الحال والمقام .. هكذا قال المرشدي: الحال والمقام متقاربا المفهوم، يعني: مفهوم الحال لفظ الحال .. الآن إذا جئنا نعبّر، هل نقول: طباقه لمقتضى الحال، أو طباقه لمقتضى المقام؟ نقول: الأولى لمقتضى الحال، والأصل هذا عبَّرَ بصاحب التخليص عبر بهذا، وعبر به السيوطي أيضاً في عقوده:
بلاغة الكلام أن يطابقا ... لمقتضى الحال ..
هنا عدلَ إلى لفظ المقام، هل ثَم فرقٌ بين الحال والمقام؟ نقول: الحال والمقام متقاربا المفهوم، وإذا كان الشيء قريباً من الشيء لا يلزم أن يكون منه، أليس كذلك؟ إذا قيل: الشيء قريباً من الشيء لا يلزم أن يكون منه، وبهذا بعضهم يعبر، يقول: الأشاعرة أقربُ الفرق إلى أهل السنة، هذا لا يلزم أن يكون من أهل السنة، أقرب الفرق والطوائف، يعني طوائف أهل البدع، أقرب الطوائف إلى أهل السنة والجماعة، لا يلزم أن يكونوا من أهل السنة.
فإذا كان الشيء قريباً من الشيء لا يلزم أن يكون منه، وعليه لا تكون فرقة الأشاعرة من أهل السنة مطلقاً حتى في السبعة الأسماء:

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٤٩

له الحياةُ والكلامُ والبصر سمعٌ إرادةٌ وعلم واقتدر

بقدرةٍ .. إلى آخره ...

لأن إثبات هذه عند أهل السنة، إثباتها بالسمع، وهم يثبتونها بالعقل، أيضاً إثبات الكلام عندهم هو الكلام النفسي، وعند أهل السنة حسّيٌّ، صفة صوت ولفظ وحرف، الحال والمقام متقاربا المفهوم والتغاير بينهما اعتباري، هذا في بعض أجزائه، فإن الأمر الداعي الذي يدعو كإنكار الحكم من المخاطب، فإن الأمر الداعي يُسمّى مقاماً متى؟ باعتبار توهّم كونه محلاً لورود الكلام فيه على خُصوصيةً ما، يعني: نُسمي حالة الإنكار مقاماً، لماذا؟ لتوهّم أن هذا الحال قد حلّ فيه الكلام، لوجود هذه الخصوصية، وهو كونُهُ منكِراً فيقتضي حينئذٍ أن يكون الكلام مؤكَّداً.

يُسمى مقاماً باعتبار توهّم كونه محلاً لورود الكلام فيه على خصوصيةٍ ما، وأيضاً يُسمى حالاً باعتبار آخر: وهو توهم كونه زماناً له، إذن: باعتبار المحلية سُمي مقاماً، وبنظر آخر وهو الزمن سُمي حالاً، هذا على رأي التفتازاني: أن الحال الأصل فيه أنه الزمن، واعتُرِض عليه بأن الحال ليس هو مطلق الزمن، وإنما هو ما يقابل الماضي والمستقبل، ولذلك ذهبَ بعضهم أن الحال هنا بمعنى الوصف، حال الإنكار، أي: وصف الإنكار، وعليه لا يمنع أن يكون لفظُ الزمن محدودا؛ لأن استعمال أو حذف الزمن من المصادر هذا شائع في لغة العرب:

جئت طلوعَ الشمس، يعني: وقتَ طلوع الشمس، وهذه المقتضيات كلها **التقديم والتأخير والإنكار** كلها مصادر، فحينئذٍ لا مانعَ أن يقال: زمن الإنكار أو زمن حال الإنكار على حسب لفظ الزمن. فلو قال التفتازاني فرضَهُ المرشدي: بكونه يتبدلُّ في الكلام يوهمُ أنه من أوصافه المتغيرة فيُسمى حالاً لم يبعد، وأحسن من هذا أن يقال: التغاير بين الحال والمقام أن المقام يُعتبر فيه إضافته إلى المقتضى، عندنا مقتضِي ومقتضَى، مقتَضِي هو حال الإنكار أو الإنكار نحذف كلمة حال، المقتضِي هو الإنكار، والمقتضَى التأكيد.." (١)

"إذن: نقول: يختلفُ مقتضى الحال بحسب اختلاف مقامات الكلام، قد يَقتضي الكلام أن يكون منكَّراً، قد يقتضي الحال أن يكون الكلام منكَّراً، جزأيه أو أحدهما، أو معرّفاً ومقام التعريف يُباين مقام التنكير، كذلك التقديم والتأخير: مقام التقديم يُبايِن مقام التأخير، وكذلك مقام الحذف يُباين مقام الذكر، ومقام الوصل يُباين مقام الفصل، ومقام الإيجاز يُباين مقام المساواة في الإطناب، مقام خطاب الغبي يُباين

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٦

مقام خطاب الذكي، هذه كلّها تسمى مقتضيات، الذي يقتضيها هو الحال؛ الأمر الداعي إلى التكلم على وجهٍ مخصوص.

إذن: حدّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضَى الحال، مع فصاحته، هذا الركن الثاني في حدّ البلاغة، وأسقطه الناظم هنا، قيل: لضيق النظم، ولكن هذا الصواب أنه لا يُعتبر عذراً، لماذا؟ لأن ضيق النظم إذا أدّى إلى خللٍ في التعريف تقول: هذا غير مغتفَر، هذا هو حد البلاغة.

وذكرنا أن الناظم ـ‍حصرَ الكتاب في ثلاثة فنون، لماذا؟ تبعاً للأصل، والأصل حصر البلاغة في ثلاثة فنون، لماذا؟ نقول: مرجع البلاغة أمران: لا تحصل البلاغة إلا بوجودهما: الاحتراز عن الخطأ في تأديةِ المعنى المراد، هذا مرجِع البلاغة، وهذا الذي عبّر عنه بالجزء الأول مطابقة الكلام لمقتضَى الحال.

الثاني: تمييز الفصيح عمّا سواه، هذا الذي عَنونَ بالتعريف مع فصاحته، لا تُوجد البلاغة إلا بوجود هذين الأمرين، فإن انتفى أحدهما انتفت البلاغة؛ لأنه قد يُؤدّى المعنى، أو قد يُؤدّى الكلام مُطابقاً لمقتضى الحال، لكن يكون الكلام غير فصيح، فتنتفي البلاغة، أو يكون الكلام فصيحاً غير مطابق لمقتضى الحال فتنتفي البلاغة.

تمييز الفصيح عمّا سواه هذا أيضاً يُعرف في فن البلاغة، لكن بالإحالة، يعني: لا يُذكر في نفس الفن، وإنما بالإحالة إلى فن آخر؛ لأن فصاحة المفرد كما ذُكر خلُوصه من الغرابة والتنافر واختلاف القياس .. القواعد الصرفية، نقول: الغرابة هذه من أين تعرف؟ من متنِ علم اللغة، لأن الغرابة معناها: أن تكون وحشية غير مألوفة الاستعمال، فينظر الناظم مَن أراد أن يكتسب البلاغة، ينظر ويقرأ في هذه الكتب، كتب المفردات كاللسان والقاموس ونحوه، حينئذٍ بالممارسة يعرف الكلمات المأنوسة الاستعمال، فإذا مرّ به كلمة غريبة وحشية حكمَ عليها بأنها غريبة منافية للفصاحة.

إذن: المرجع هنا في معرفة الغريب من غيره علم متن اللغة، إذن: علم متن اللغة من علوم البلاغة، لكنه لا يُذكر في كتب البلاغة، وإنما يُذكر بالإحالة، يعني: إذا أردت أن تعرف الغريب من غيره فعليك بالعناية بكتب مفردات اللغة، إذن: كتب مفردات اللغة داخلة في حد البلاغة.

تنافرٍ: هذا يُدرك بالحس السليم والطبع المستقيم، يعني: الذوق الذي يكتسبه المكتسِب إن كان مُكتسباً أو يكون بالأمر الفطري إن كان من أهل البلاغة الأوائل، نقول: الذوق هو الذي يميّز أن هذه الكلمة متنافرة الحروف أو لا، وأن بين هذه الكلمات تنافراً أم لا، الذوق الذي مرجعه الحسّ.." (١)

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٧

"سعيدُ كرزٍ .. جاء سعيدُ كرزٍ، أي: جاء المسمّى بهذا الاسم من باب إضافة المسمى إلى الاسم، هنا علم المعاني من باب إضافة المسمى إلى الاسم، قواعد وأصول تسمى المعاني؛ لأننا فسّرنا العلم بماذا؟ بالقواعد والأصول التي سيأتي ذكرها في علم المعاني، هي نفسها علم المعاني، إذن: المسمى القواعد والأصول، كما تقول: مُطلَق الأمر للوجوب .. مُطلَق النهي للتحريم قواعد، تُسمى ماذا؟ أصول الفقه، هي نفسُها أصول الفقه، المعاني هي نفسها القواعد والأصول، إذن: مِن باب إضافة المسمى إلى الاسم.

الفنُّ الأول علم المعاني: قدمَ علم المعاني على علم البيان، أليس كذلك، ما العلة وما الحكمة؟ قالوا: علمُ المعاني بالنسبة لعلم البيان كالمفرد للمركّب، لماذا؟ قالوا: لأنّ علم المعاني فائدته ماذا؟ رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، هذه الغاية والثمرة والفائدة، رعايةُ مطابقةِ الكلام لمقتضى الحال، علم البيان: مراعاة مطابقته لمقتضى الحال مع شيء آخر؛ مع زيادة، وهذه الزيادة هي المبثوثُ عنها أصالةً في فن البيان، وهي إيرادُ المعنى الواحد بطرق مختلفة، الأصل في علم البيان هو هذا، لكن هذا لا يكون إلا بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فحينئذٍ يكون علم المعاني داخلاً في علم البيان.

والأول مفرد والثاني مركَّب، مفرد يعني: شيء واحد، والمركب يعني: شيئان، والمفرد مقدَّمٌ على المركب طبعاً، فقدم المعاني على البيان وضعاً ليوافق الوضعُ الطبعَ:

علمٌ به لمقتضَى الحال يُرَى ... لفظٌ مطابقاً ..

هكذا حدَّه: علمٌ يُرى به، به: هذا جار ومجرور متعلق بقوله: يُرى، لمقتضى الحال: هذا متعلق بقوله: مطابقاً، لفظٌ: هذا بالرفع نائب فاعل ليُرى، مطابقاً: منصوبٌ على أنه حال؟ مفعول ثاني ليرى، يُرى هنا بمعنى: يعلم، رأى العلمية:

انصب بفعل القلب جزئي ابتداء ... أعني رأى ..

((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً)) [المعارج: ٦ – ٧] الأولى بمعنى الظن، والثاني بمعنى اليقين علم، ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً)) [المعارج:٦] هذا ظنٌّ، ((وَنَرَاهُ قَرِيباً)) [المعارج:٧] نصبت مفعولين في الموضعين، حين تأتي بمعنى اليقين، وتأتي بمعنى الظن، أليس كذلك؟ هنا بمعنى: العلم، يُرى، لفظاً مطابقاً، يُرى مُغيَّر الصيغة، لفظٌ: هذا المفعول الأول، كان لفظاً فصارَ لفظٌ، لماذا؟ لأن الفاعل حُذفَ من الأول فأُقيمَ المفعول الأول مقامه، وبقي الثاني على أصله:

وما سِوَى النائبِ مما عُلِّقا بالرافع النصب له محقّقاً

إذا بُني الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين بُني لما لم يسم فاعله، أُقيم الأول أو الثاني، ما أُقيم مقام الفاعل

أخذَ أحكامه رفع، ويبقى المنصوب على أصله:

وما سِوىَ النَائبِ مما عُلّقَا بالرافع النصب له محقّقاً

يعني: على أصله، إذن: يُرى لفظٌ مطابقاً، لفظٌ: هذا نائب فاعل على تقدير مضاف، حذف مضاف، يعني: أحوال لفظ؛ لأن البحث هنا ليس عن نفس اللفظ، وإنما عن أحواله من **التقديم والتأخير والحذف** والذكر إلى آخره، والتعريف والتنكير إلى آخره.." (١)

"مطابقاً، قلنا: تعلّقَ به قوله: لمقتضى الحال، فإذا أردنا أن نُعيد صياغة الحدّ، نقول: عِلمٌ يُعلمُ به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال، علم قلنا: يحتمل أن يراد به أحدُ الأمور الثلاثة السابقة، إما المسائل، وإما الإدراك، وإما الملكة، كلٌ جائز، لكن الإدراك هنا تفسيرُهُ فيه إشكال لفظي، لا من جهة الإطلاق؛ لأنه قال: علمٌ يُعلم به، إدراك يُدرَك به، كيف يصير هذا الكلام؟ صار فيه تكرار بل بعضهم يقول: ... إذا جُعل العلم هنا: إدراك وإدراك، إذا فسّرنا العلم بالإدراك، ويعلم الثانية بأنها إدراك، إدراكُ إدراكٍ؟! هذا فيه خلل من جهة التركيب.

فحينئذٍ يُحمل علمٌ هنا، لهذا التعريف لخصوصه فقط، يحمل هذا العلم هنا بمعنى المسائل أو الملكة، ملكةٌ يُقتَدر بها على تأدية المعنى المقصود، يعني: مطابقة أحوال اللفظ للمقام، علمٌ يُعلم به، أي: بهذا العلم، أحوال اللفظ، العلم: هذا جنس، يُعلَمُ به أحوال اللفظ، أحوال جمع حال، والمراد بها هنا الأحوال؟ ما يَعتري اللفظ من الصفات، إذن: أحوال اللفظ، هذا احترزَ به عما يُعرف به نفس اللفظ، أو اللفظ نفسه، وهو علم مفردات اللغة.

وكذلك خرجَ به: ما يُعلم به غير أحوال اللفظ، كعلم الحساب، فعلم الحساب هذا لا يُعلم به أحوال اللفظ، وإنما يُعلم به أحوال العدد، كونه زوجاً؛ يقبل القسمة أو لا يقبل، فرداً أو لا، نقول: أحوال اللفظ أخرجَ ما يُعلم به غير أحوال اللفظ، وأحوالُ اللفظ أخرج ما يُعلمُ به نفس اللفظ.

كذلك خرجَ به: علم البيان؛ لأن البيان لا يُعلمُ به أحوال اللفظ، وإنما يُعلم به كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة.

وخرجَ به أيضاً: علم البديع؛ لأن علم البديع لا يُعلم به أحوال اللفظ، وإنما يُعلمُ به المحسِّنات البديعية اللفظية أو المعنوية، البديعية التي تعتبرُ بعدَ رعاية مطابقة الكلام.

مما التي بها يُطابِق مقتضى الحال، يعني: من حيث إن اللفظَ يُطابِق بها، لا من حيث ذاتها، (مما) قال

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٧

هنا: التي بها يطابق مقتضى الحال، أحوال اللفظ: هذه يُبحَث عنها من جهات متعددة، كما ذكرنا بالمحترزات، التي بها يُطابق مقتضى الحال، هذا بيّن لنا أن المراد بهذه الأحوال التي يقتضيها الحال، من جهة **التقديم والتأخير والتعريف** والتقديم والوصل والفصل إلى آخره، والتي تُبحَثُ في علم المعاني، هذا هو علم المعاني: أنه علمٌ يُعلمُ به أحوال اللفظ التي بها يُطابِق مقتضى الحال، ويُبيّنُ هذا الحد ويفسِّره دراسة علم المعاني نفسه بأبوابه الثمانية؛ لأن تصوّر الحد وخاصةً لمن لم يعلم العلم، هذا فيه نوع قصور، يعني: لا يمكن أن نتصوره، لذلك يقولون: يُقدَّم الحدُّ ليحصل له تصورٌ ما.

لو قلنا: مبادي كل فنٍ عشرة: الحدّ، كيف يعرف الحدّ؛ حدّ الفن، ثم يستحضر جميعَ الفن الذي يدخُل في هذه الحد؟ هذا فرعٌ عن إدراك العلم نفسِه، ولا يحصل بنفس الحد، وإنما الحدُّ يحصل به تصورٌ ما، يعني: وإن قلَّ، فقط أن تعرف أن علم المعاني قواعد وأصول يُعرف بها أحوال اللفظ التي يقتضيها الحال، وستأتي باباً بابا:

عِلْمٌ به لمقتضى الحالِ يُرى ... لفظٌ مطابقاً ...

يعني: التي بها يُطابق مقتضى الحال، أي: من حيث إن اللفظ يطابق بها لا من حيث ذاتها.." (١)

"(رأَوْا) أي: جعلوا أبواب علم المعاني على هذا العدد، ودليله التَّتَبُّع والاستقراء، ولكن هذا هو المشهور كما ذكرت، وإلا فيه بعض النَّظَر، وإن كان الأولى من جهة **التقديم والتأخير أن** يُؤخَّرَ باب القصر على الإنشاء، لأنَّ القصر يدخل الخبر ويدخل الإنشاء.

والله أعلم، وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وَعَلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين ... !!!." (٢)

"رابعًا: أن المسائل المذكورة في النظم إنما هي من مُسلمات الفن يعني: ثَمَّ اصطلاحات وأحكام في كل الفنون منها ما هو متفق عليه، وإذا كان متفقًا عليه لا يستقل به فرض عن فرض آخر، فالفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، والفاعل يتأخر عن عامله، هذه أقوال ليست مخصوصة لزيد من النحاة دون غيره، فإذا نظمت لا يقال بأنه وافق غيره في هذا، بل هذا يُسَمَّى من المسائل المشاعة التي لا يَخْتَصُ بها أحد عن أحد، ولذلك إذا ذكر النحوي بأن الفاعل مرفوع لا يقول: كما قال سيبويه ونص عليه ابن هشام. لأن هذا مُسَلَّم عند الجميع، وإنما تذكر النسبة فيما إذا استنبطه العالم يعني: لم يسبق له عالم بأن نظر في هذه

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٧

(٢) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٧

المسألة من هذه الجهة فاستنبط مسألة ما أو حكمًا ما، هذا الذي يُنْسَب إلى أصحابه، وليس كما شاع الآن في التصنيف أن كل كلمة يأتي يقول: انظر كذا وانظر كذا. إنما هم مقلدون لغيرهم ويسمونه توثيق المعلومات، ليس كل معلومة توثق، وإنما يوثق الذي يختص به عالم عن غيره، وأما ما شاع في الفنون فلا يقال بأنه لا بد من توثيقه.

إذًا هذه المسائل المذكورة في هذا النظم – وهي مائة بيت – اشتملت على مشهورات المسائل وهي من المسلمات عند أهل الفن، نقول: لم ينفرد بها صاحب ((التلخيص))، وإنما وافقه في الترتيب والتقديم والتأخير، ومثل هذه المسائل مشاعة في الفن لا يختص بها كتاب دون كتاب، فكون المصنف هنا ابن الشِّحْنَة ذكرها كونه ذكرها هنا فلمناسبة نظمه لهذا الْعِلْم لأنه أراد أن يكون النظم في فن البلاغة، إذ هو مائة بيت يعني هو مختصر جدًا وأراد ثلاثة فنون وليست بالقليلة ولذلك يعد من يتكلم في تصنيف الفنون يَعُدّ علم المعاني علمًا مستقلاً بذاته، له كتبه ومصنفاته، وعلم البيان كذلك مستقلاً بذات له مؤلفاته، كذلك علم البديع، ولذلك بعضهم يؤلف في المعاني دون البيان والبديع، أو يؤلف في البيان دون المعاني والبديع، أو في البديع دون المعاني والبيان، لأن كل علم يُعتبر مستقلاً عن غيره.

هذا النظم وجيز جدًا، ولذلك لم يذكر فيه الخلاف ولم يذكر فيه شيئًا من الترجيح، بل حتى الأمثلة لم يذكر إلا الشيء اليسير جدًا الذي لا يكاد يُذكر، وإنما هو سُلَّم للمبتدئ ليصل به إلى المطولات وليضبط بعض المصطلحات المشهورات عند أرباب هذا الفن.

فمقصودي أن المسائل التي شاعت في كل فن هذه كاسمها مشاعة ليست خاصة بكتاب دون كتاب.

خامسًا: منظومة ((مائة المعاني)) أو ((الجوهر المكنون)) – وهذا محط الفائدة هنا – هل هذا أو ذاك؟ [أيُّ أو $ ٢٢,٠١ هل للتخيير] أيَّ النظميين يحفظ الطالب ((مائة المعاني)) أو ((الجوهر المكنون))؟ نقول: ((الجوهر المكنون)).

هذا النظم كما ذكرنا عدد أبياته مائة بيت يعني: إذا أخرجنا المقدمة حينئذٍ صار كم؟." (١)

"هذه ((عقود الجمان)) يعتبر القمة في فن البيان، فمن استطاع أن يهضمه مع شرحه للسيوطي رحمه الله تعالى أو المرشدي فحينئذٍ لن يكونَ بليغًا ولم يشم رائحة البلاغة إذا حفظ ((عقود الجمان)) لماذا؟ لأنه قد وقف على المصطلحات لأن البلاغة كما سيأتي مَلَكَةٌ، إذًا هيئة راسخة في النفس يقتدر بها على إنشاء كلام بليغ أو كلام فصيح، حينئذٍ هذه الملكة لا تكون بحفظ المصطلحات وإنما تكون بممارسة

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١/٦

هذا الفن، يعني: يكون لصيقًا. لما اختاره، إن اختار القرآن فأنعم وأكرم يقف مع الجمل ويتفقه فيها وما قاله أرباب المعاني من الحذف والإيجاز، وعود الضمير، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل، وعطف الجمل، يقف لم كذا ولم .. إلى آخره، حينئذٍ إذا طَبَّقَ ومارس الفن بهذه الصورة حينئذٍ يكون بليغًا لأنه سينطبع في نفسه ما قد طَبَّقَ عليه حينئذٍ يستطيع أن ينشئ الكلام البليغ، وأما مجرد حفظ هذه المصطلحات فلا يسمن ولا يغني من جوع، وإنما هو عبث وتضيع أوقات كما هو الشأن في علم النحو، لو حفظ ألفية ابن مالك ولم يحسن الإعراب هل هو نحوي؟

ما شم رائحة النحو، ولذلك العلم يجمع بين أمرين: بين العلم الذي هو الحفظ والفهم، وأما الفهم دون الحفظ كما نقرر مرارًا لا علم إلا بحفظ لا بد أن يكون معه شيء من المحفوظ وإن قل، يعني: هو الذي يبقى معه، وأما المفهومات هذه تزول وتذهب، إذًا لا علم إلا بحفظ، وكذلك العكس أما أنه يعتمد على المحفوظات ويحفظ وَيحفظ ثم لا يهتم بممارسة الفنون فهذا يعتبر مُضيعًا لوقته ولو سَبَّحَ وشغل وقته بالطاعات لكان أولى له.

نعم لأن هذا الذي يصدق على أنه نسخة مكررة لو حفظ الزاد ولم يفقه معانيه نسخة مكررة، لو حفظ الألفية ألفية ابن مالك ولم يضبط الإعراب نسخة مكررة، عبث لماذا؟

لأنه لم يكن نحويًا، هو أراد من هذ الفن أن يكون نحويًا بأن يكون ممارسًا لفن النحو، بأن تكون عنده ملكة في الإعراب والتعبير والكلام الصحيح موافق لسَنَنِ وقواعد اللغة العربية، وإذا كان يحفظ ولا يعرب ويحفظ ولا يحسن أن يطبق لا يميز بين الحال والتمييز، ولا يميز بين الفاعل والمفعول، وَالمفعول المطلق .. إلى آخره وأنواعه نقول: هذا يعتبر عبثًا.

إذًا نقول: الأصل في تَعَلُّم والسُّلَّم في تَعَلُّم فن البلاغة لأن هذا الفن الآن في خبر كان يعني: غير موجود، علوم اللغة في الجملة غير موجودة، وعلوم الآلة في الجملة غير موجودة، وإن وجد نسخ من علم النحو وهذا على جهة القلة في بعض البقاع دون بعض، والآجرومية ولا يتجاوزوها إلا أن يشاء الله.

وأما علم الصرف والبيان فهذا في خبر كان يعني ذهب أهله، وذهب أصحابه، وذهب من يَتَعَلَّمَهُ ويُعَلِّمَهُ، لأن الطلاب عندهم موازنة يعني يأخذون العلوم ما اشتهوا، مثل الطعام الذي يكون مفروشًا على السفرة يريد أن يتخير من العلوم ما يحبه هو، ويألفه الطبع عنده، وما يسهل عليه، وما صَعُبَ عليه هذا تركه، يعني: مثل الذي يقول: هذا لا أطعمه وهذا أحبه، هذا أشتهيه من المأكولات وهذا لا ليس الأمر إليه.." (١)

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١/٩

"الضعيف، يقال: فهمٌ سقيم أي ضعيف، ولم يكن تأليف الكلام ضعيفًا بين كلماته، وذلك بألا يجري على المطرد من قواعد العربية عند الجمهور، يعني تأليف الكلام ترتيب الكلام قد يجري على السنن المشهور عند النحاة في قواعدهم، وقواعد النحاة – وخاصة البصريين – إنما يقعدون على ما اشتهر في لسان العرب، ولا ينظروا إلى القليل والنادر، ولا يقعدون .. ، وهذا من من أهم الفوارق بين مدرسة الكوفيين والبصريين، الكوفيون أدنى ما يمكن أن يتمسك به ويكون منقولاً جعلوه مستثنى مطرد أو جعلوه قاعدة، أما البصريون فلا، وإنما يجعلون القاعدة هو الشائع ثم ما ورد من البيت والبيتين والثلاثة، بل وأحيانًا العشر يجعلونه شاذًّا أو نادرًا أو .. أو .. إلى آخره، ولا يجعلون ناقضًا للقاعدة، حينئذ ما جاء على وفق المشهور في لسان العرب نقول: هذا فصيح، وما جاء مخالف نقول ضعف تأليفه، يعني تركيبه بعض على بعض نقول: هذا لم يأت على سنن العرب، حينئذ ينتفي عنه وصف الفصاحة، بالمثال يأتيك، أي لا يجري على المطرد من القواعد العربية عند الجمهور من النحاة بأن يكون التأليف مخالفًا للقياس الصحيح من الأقيسة النحوية المشهورة عند جمهور النحاة، كإلحاق علامة التثنية بالفعل إذا أُسند الفعل إلى فاعل ظاهر. قاما الزيدان عند الجمهور النحاة هذا شاذٌّ يحفظ ولا يقاس عليه، ((أَكَلُونِي الْبَرَاغِيث)) هذه لغة ضعيفة، فإذا جاء يتكلم وتكلم قال: قاما الزيدان وقصد بالألف [أنها فاعل] (١) أنها حرف ليست فاعل، لو كان فاعلاً صح لا إشكال فيه، قصد بأن هذه الألف حرفًا، تدل على أن الفاعل مثنى كما أن التاء من قامت هند حرف تدل على أن الفاعل مؤنث، قامت هند: هند فاعل وهو مؤنث، ما الذي دلنا؟ التاء قاما الزيدان، الزيدان مثنى، ما الذي دلنا؟ بلفظه والألف، فالألف هنا دالة على التثنية كما أن التاء من قامت دالة على التأنيث، نقول: هذا سُمِعَ من كلام العرب، وهو لغة ((أَكَلُونِي الْبَرَاغِيث)) أبا الحارث يسمونها، لكنه ضعيف، ولذلك نقول: لا يُخَرَّج القرآن عليها البتة وإن جوزها البعض فيها خلاف لكن هذا المشهور عند النحاة وهو الصحيح أن القرآن لا يُخَرَّج على لغة ((أَكَلُونِي الْبَرَاغِيث)) البتة، ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ... [الأنبياء: ٣] قالوا: هذه هيئته ظاهره على هذه اللغة، لكن لا بد من القول بالتقديم والتأخير، فإذا تكلم متكلم بهذه اللغة نقول: لم يجر على المطرد من لسان العرب، حينئذ نقول: هذا الكلام ليس فصيحًا.

---

(١) سبق صوبه الشيخ بعدها.." (١)

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٢

"وبالنسبة تعرف السبب ما الذي سَبَّبَ سوء الفهم وعدم الفهم أو خفاء قصد المتكلم بكلام اللفظ، ما الذي سَبَّبَ عدم فهم مقصود المتكلم من كلام أو خفاؤه هو المعنى، فحينئذ يكون إلى ٤٥,٤٢# أحدهما ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه، ما يدري السامع! يسمع كلام فيه تقديم وتأخير .. إلى آخره، ما يدري كيف يصل إلى المعنى، قدم المبتدأ ويؤخر عن الخبر، ويقدم المستثنى على المستثنى كلام ركيك، لا يفهم منه خرج زيد بدر مسجد درس رَكِّب كلمات متقاطعة [ها ها] هذا يُسمى ماذا؟ سببه اللفظ بسبب التقديم والتأخير، ولا يدري السامع كيف يُتَوصل منه إلى معناه بألا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وإن كان ثابتًا في الكلام جاريًا على القوانين، يعني: ذكر الفعل والفاعل وذكر المنصوب مع صفته لكنه قدم وأخر وحذف وأضمر فالتبس الكلام، كقول الفرزدق – كونوا معي – يمدح إبراهيم بنِ هشام أو بنَ هشام خال هشام بن عبد الملك بن مروان،
وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

هذا الكلام ركيك جدًا وهو للفرزدق:
وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

اكتبوها حتى تفهموها، لا بد من لوح وإلا ما يفهم
وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

إذا عرفت الإعراب تعرف المعركة أين حصلت، مثله هذا مبتدأ، حيٌّ هذا خبر، في الناس إلا مُمَلَّكًا إلا أداة استثناء مُمَلَّكًا هذا مُستثنى، أين المستثنى منه؟ حَيٌّ مؤخر، ولذلك نصبه تعين النصب وإلا كان يجوز فيه البدل، أبو أمه هذا مبتدأ ثانٍ، أَبُوهُ هذا خبر، حَيٌّ يُقَارِبُهُ موصوف وصفته، إذًا ماذا حصل هنا؟ قَدَّم المستثنى على المستثنى منه، وثانيًا فصل بين أبو أمه وأبوه المبتدأ والخبر بحي وهو أجنبي، وفصل بين الموصوف وهو حي وصفته وهو يُقَارِبُهُ بالخبر وهو أبوه، إذا فصل بين الموصوف والصفة بالخبر، وفصل بين المبتدأ والخبر بأجنبي وهو حَيٌّ، فركَّ المعنى، فالمعنى: وما مثلُ الممدوح وما مثلُهُ الضمير يعود إلى الممدوح وهو إبراهيم بن هشام، في الناس حَيٌّ يُقَارِبُهُ إلا مُمَلَّكًا هذا واضح، وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مُمَلَّكًا أبو أمه أبوه، أبو أمه أبوه يعني أبو الممدوح فهو ابن أخته، وهو ابن أخته، أي لا يماثله في الناس حي إلا ابن

أخته كان حقه أن يقول كما قال في ... ((الإيضاح)): وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مُمَلَّكًا أو أبو أمه أبوه فإنه مدح إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال: وما مثله [يعني إبراهيمُ الممدوح أو] (١) يعني إبراهيمَ الممدوح، في الناس حي يقاربه أي أحد يشبهه في الفضائل إلا مُمَلَّكًا يعني هشامًا، أبو أمه أي أبو أم هشام أبوه أي أبو الممدوح لأنه [خالَه] (٢)

(١) سبق استدركه الشيخ مباشرة.

(٢) سبق استدركه الشيخ مباشرة.." (١)

"(وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُهُ سَقِيمَا) يعني: ضعيفًا، وذلك فيما إذا كان مخالفًا لما كان عليه السنن العربية، وهي القواعد التي وضعها النحاة كإلحاق الفعل علامة تدل على أن الفاعل الظاهر مثنى أو مجموعًا أو نحو ذلك.

الثالث (وَهْوَ مِنَ التَعْقِيدِ أَيْضًا خالِي) يعني التعقيد يعني كون الكلام معقدًا وعرفنا أن له سببين:

السبب الأول: ما يرجع إلى اللفظ كالتقديم والتأخير، والحذف دون قرينة، ونحو ذلك.

والسبب الثاني: ما يرجع إلى المعنى بأن يستعمل لفظًا يكون الانتقال فيه من الظاهر إلى المعنى المراد فيه بُعْد لا جمود كما ذكرنا في المثال السابق. هذا ما يتعلق بما مضى.

ثم انتقل الناظم رحمه الله تعالى مبينًا الكلمة الأخرى وهي البلاغة فقال: (وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ فَهْوَ الْبَلِيغُ). (وَإِنْ يَكُنْ) أي: الكلام الفصيح. (مُطَابِقًا لِلْحَال فَهْوَ الْبَلِيغُ) إذًا البلاغة تقابل الفصاحة وبينهما قدر مشترك، وذهب بعض البيانيين إلى أن البلاغة والفصاحة بمعنى واحد يعني: مترادفان. هما يجتمعان ويفترقان، ولذلك لا يكون الكلام بلغيًا إلا إذا كان فصيحًا، والعكس ليس كذلك قد يكون فصيحًا ولا يكون بليغًا، ولكن لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحًا - كما سيأتي -.

نقول: ثم شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان ما يتعلق باللفظة الأخرى وهي البلاغة، والبَلاغَة وزن فَعَالَة، فَصَاحَة بَلاغَة، من بَلُغَ يعني فَعُلَ، لأن فَعُل يأتي مصدر القياس منه على فَعَالَةٍ، وهي تُنْبِئ في اللغة عن الوصول والانتهاء يعني: إذا بلغ الشيء ولذلك نقول: بلوغ، يعني: وصل إلى الحدّ الذي يكون مكلفًا من جهة الشرع، ولذلك نقول: بلغت الثمرة. يعني: وصلت الحد الذي تكون صالحة للقطف ونحوها، إذ هي مأخوذةٌ من بَلُغَ بالضم إذا انتهى، حينئذٍ إذا وُصِفَ الكلام يقول: لا بد أن يكون فيه من المعنى اللغوي

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٢

بمعنى أنه بلغ النهاية في الحسن، يقال: كلامٌ بَلِيغٌ وخطيب بليغٌ. الكلام في البلاغة الآن عرفنا الفصاحة يوصف بها ثلاثة أشياء: كلمة فصيحة، كلام فصيح، متكلم فصيح. ثلاثة أشياء.

أما البلاغة فتشترك مع الفصاحة في الكلام والمتكلم، يقال: كلام بليغ، ومتكلم بليغ وليس عندنا كلمة بليغة إذا أريد بالكلمة اللفظة الواحدة، وأما إذا أريد بالكلمة التي هي الجمل المفيدة حينئذٍ صارت وصفًا للكلام، ألقى زيد من الناس كلمة بليغة، يقال: كلمة، لم يقل: يقول زيد، ووصفناها بالبلاغة، وإنما الكلمة المراد بها المعنى اللغوي وهي إطلاقها على الجمل المفيدة وعلى الجملة المفيدة، فحينئذٍ صح لكن لا بالاعتبار الذي يريده البيانيون إذًا يقال: كلام بليغ وخطيب بليغ، ولم يسمع كلمة بليغة إذا أريد بالكلمة اللفظة الواحدة، فبلاغة الكلام أشار إليها الناظم بقوله: (وَإِنْ يَكُنْ). أي: الكلام الفصيح (مُطَابِقًا) اسم فاعل من طَابَقَ يُطَابِقُ فهو مُطَابِق يعني: مُوَافِق. قولهم: طابق النَّعْلُ النَّعْلَ إذا توافق، كما سميت دلالة المطابقة لتطابقها يعني: مع المعنى، طابق اللفظ المعنى والمعنى اللفظ بحيث لم ينقص المعنى عن مدلول اللفظ ولم يزد اللفظ عن مدلول المعنى - كما مر معنا -.." (١)

"هذه العلوم لا بد لها أن تكون معتبرة في علم البلاغة، بمعنى أنه لا بد أن يكون نحويًا صرفيًا، وأن يكون على علم بمتن اللغة يعني: المفردات، ماذا تستعمل العرب هذه الكلمة في أي معنى، هل هذه الكلمة مأنوسة مألوفة أم لا؟ هل هي شاذّة أم لا؟ حينئذٍ لا بد من الوقوف على متن اللغة.

إذًا تيميز الكلام الفصيح عن غيره يعني: معرفة أن هذا الكلام فصيح وذاك غير فصيح يعرف من غير الفنون الثلاثة، كون الكلام فصيحًا أو ليس فصيح مرده ليس إلى علم المعاني، ولا إلى علم البيان، ولا إلى علم البديع، لذلك من أين نعرف كيف يأخذون الفصاحة قيدًا في البلاغة ثم لا يذكرونها في هذه الفنون؟

نقول: لأن البلاغة مجموعة علوم أو مجموع علوم، يعني: ليست خاصة بهذه الفنون الثلاثة، بل هي مجموعة من علوم متعددة، وذلك لأنه شرط في فصاحة الكلام سلامته مما سبق، فمنه ما يَتَبَيَّنُ في علم متن اللغة، فمنه أي: ما يُمَيِّزُ

الفصيح من غيره ما يتبين بعلم متن اللغة، فهو العلم الذي يعرف به معاني المفردات إذ به يعرف الناظر أن في تَكْأَكَأْتُم مثلاً غرابة، لأنها ليست من الكلمات المأنوسة، وكذلك مُسَرَّجًا يعرف أن فيها غرابة، بخلاف اجتمعتم سراج، فليس فيها غرابة لأنه بمطالعة هذه الكتب حينئذٍ يقف على المفردات المأنوسة من غيرها، أو التصريف وهذا يعرف به سلامته من مخالفة القياس، أو النحو يعرف به السلامة من ضعف التأليف، أو

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٢

التعقيد اللفظي، أو يدرك بالحس يعني: القوة السامعة والذي يدرك بالحس هو التنافر، سواء كان بين الحروف في الكلمة الواحدة أو بين الكلمات، وما يُحْتَرَز به عن الأول الذي هو الخطأ في تأدية المعنى المراد هو علم المعاني.

إذًا قلنا: مرجع البلاغة إلى أمرين:

الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهذا الذي يدرس في علم المعاني.

الثاني: التمييز تيميز الفصيح عن غيره، هذا بمجموعة علوم يعني لسان العرب نحوًا وصرفًا ومتنًا، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي، هو علم ... البيان، التعقيد المعنوي هذا مثلنا له بماذا؟

..

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا

هذا تعقيد معنوي؟! لفظي هذا، لأنه **بالتقديم والتأخير وَتَسْكُبُ** عَيْنَايَ الدُّمُوعَ، لا، ليس مُسَرَّجًا، مسرجًا في اللفظ واحد فقط، مُسَرَّجًا.

لتجمدا. قلنا: الجمود استعمله في عدم البكاء مطلقًا، وإنما هو خاص في عدم البكاء عند إرادة البكاء، فالإنسان قد لا يريد البكاء فلا تسمه عينه جامدة، وإنما تُسَمَّى عينه إذا أراد البكاء.

إذًا التعقيد المعنوي يُحْتَرَزُ عنه بعلم المعاني، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام هذا توابع البلاغة بعد رعاية تطبيقها على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع.

إذًا المقصود من هذا الحديث أن البلاغة ليست موقوفة على العلوم الثلاثة، وإنما هي موقوفة على النحو والصرف والحس ومتن اللغة، وكذلك العلوم الثلاثة لأن مرجع البلاغة إلى الأمرين المذكرين.

وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا ... يَقُولُهُ وَالْكذْبُ أَنْ ذَا يُعْدَمَا." (١)

"هي التي ستدرس في الأبواب الثمانية، تعرض على اللفظ، إما مفردًا، وإما جملةً، كالقصر والحصر، فحينئذٍ إذا كان مفردًا فقد يعتريه من الأحوال أن يُحذف، فالحذف وصفٌ له، حالٌ له، أمرٌ عارضٌ له، كذلك كونه نكرةً أو معرفةً، نقول: الوصف بالنكرة أمرٌ عارضٌ للفظ، ووصله بالتعريف أمرٌ عارضٌ للفظ، إذًا (ذُو أَحْوَالِ) أي: أمورٍ عارضة تَعْرِضُ للفظ من تقديمٍ وتأخيرٍ وتعريفٍ وتنكيرٍ وحذفٍ وذكرٍ مما سيأتي ذكره في هذا الفن.

(يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ) (يَأْتِي) أي: ذلك اللفظ العربي (بِهَا) هذا جارٌ مجرور متعلق بقوله: (مُطَابِقًا).

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٣

(يَأْتِي) حال كونه أي: اللفظ العربي (مُطَابِقًا) بتلك الأحوال للحالين، (بِهَا) أي: بتلك الأحوال متعلقٌ بقوله: (مُطَابِقًا). حال كونه (مُطَابِقًا لِلْحَالِ)، حالٌ من فاعل يأتي، أي: لمقتضى الحال، إن اقتضى الحال الحذف حُذِفَ، إن اقتضى الحال – وعرفنا الحال الأمر الداعي للتكلم على وجهٍ مخصوص – إن اقتضى الحال أن يكون اللفظ العربي مضمرًا أُضْمِرَ، إن كان اسم إشارة فحينئذٍ فذلك، وإذا كان موصولاً فهو كذلك، إذًا هذه الأحوال العارضة تكون مطابقةً للحال، واحترز به عن الأحوال التي ليست بهذه الصفة يعني: قوله (يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ). يعني: مقتضى الحال، وهذا بيانٌ لأحوال اللفظ، واحترز به عن الأحوال التي ليست بهذه الصفة، فخرجت سائر العلوم لأن غير علم المعاني من العلوم لا يُبْحَث فيها عن أحوال اللفظ، النحو لا يبحث فيه عن هذا الموضع، وكذلك الصرف، وكذلك العروض مثلاً، أو متن اللغة، كلها لا يبحث فيها عن أحوال اللفظ من حيث الحذف والذكر، ومن حيث التقديم والتأخير.

من حيث إن اللفظ يطابق مقتضى الحال بل من حيثية غيرها، فخرج الصرف والنحو والبيان – علم البيان – والبديع والعروض.

(عِرْفانُهَا) أي: معرفة تلك الأحوال (عِرْفانُهَا) الضمير يعود إلى تلك الأحوال، والعرفان هنا مصدر كذلك مثل المعرفة، أو اسم مصدر عَرَفَهُ يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً وعِرْفَانًا بالكسر (عِرْفانُهَا) أي: معرفة تلك الأحوال أي: إدراك كل فردٍ فردٍ من جزئياتها (عِلْمٌ هُوَ المَعَانِي)، يعني: معرفة كل موضعٍ من هذه المواضع التي يُعنون لها بالأمور العارضة للفظ، يعني: متى يُحْذَف المسند إليه؟ له أحوال، متى يذكر المسند إليه؟ له أحوال، متى يقدم؟ متى يؤخر؟ معرفة هذه الأحوال جزئياتها الوقوف عليها فردًا فَردًا يُسَمَّى علم المعاني، ولذلك قال: (عِرْفانُهَا). أي: معرفة تلك الأحوال أي: إدراك كل فردٍ فَردٍ من جزئيات الأحوال المذكورة بمعنى أي فردٍ يوجد منها أمكننا أن نعرفه بذلك العلم المشار إليه بقوله: (عِلْمٌ هُوَ المَعَانِي) (عِلْمٌ) أي: مَلَكَة يقتدر بها على إدراك جزئياتٍ لا أنها تحصل جملة واحدة، وإنما تحصل تباعًا (هُوَ المَعَانِي).

إذًا علم المعاني ما هو؟

علمٌ يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابِق مقتضى الحال.

إذًا عندنا مطابقة مقتضى حال وعندنا لفظٌ عربي وله أحوال، معرفة هذه الأحوال وكونها مطابقةٌ لمقتضى الحال هو علم المعاني، وإذا عرفت أبوابه على جهة التفصيل يتضح لك المراد.." (١)

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٨

"الثالث: التقديم والتأخير. متى يقدّم ومتى يؤخر؟ كما هو معلوم من شأن المسند إليه إذا كان مبتدأً أنه قد يتقدم له أحوال واعتبارات، ومتى يتأخر؟ والأصل فيه التقديم، وأما المسند إليه إذا كان فاعلاً فالأصل أنه لا يتقدم على مذهب البصريين – وهو الصحيح – وإنما يتقدم على مذهب الكوفيين، إذًا الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، هذه ست كلها متقابلة. وما يتعلق بتوابع المسند إليه كذلك يُذْكَرُ في هذا الباب، أو ما يتعلق به يعني بذاته كما إذا كان وصفًا يتعلق باسم المرفوع أو يتعلق به جار ومجرور، أو ظرف أو نحو ذلك.

إذًا هذا ما يتعلق بقوله: (أَحْوَالُ المُسْنَدِ إِلَيْهِ). يعني الأمور العارضة، والمراد بالأمور العارضة هذه الستة التي مذكورة من حيث ذاتها، وأما من حيث التوابع فوصله كونه يُنْعَت، كونه يُبْدَل مِنْهُ، كونه يعطف عليه فيما سيأتي في موضعه، وفيه بحسب ذلك أبحاث: الأول في حذفه أرتب النظم لكم لأجل الاستفادة منه الأول.

البحث الأول: في حذفه وحذف المسند إيه إذا كان مبتدأ أو فاعلاً في بعض المواضع لأحد أمور بمعني أن الاعتبار المناسب يكون حذفه عند وجود واحد من هذه الأمور، يعني يحذف، هل حذفه يكون عشوائيًّا؟ أم يكون لنكتة وفائدة لغوية؟

لا شك أنه الثاني بمعنى أنه لا يحذف المسند إليه إلا إذا كان هناك فائدة، ما هي هذه الفائدة؟ هي التي يتكلم عنها أهل المعاني هنا، ما هي هذه الفائدة من حذف المسند إليه؟ يتكلم النحاة بأن المسند إليه إذا كان معلومًا يجوز حذفه

وحذف ما يعلم جائز كما تقول: زيد .. إلى آخره

أما لماذا يحذف؟

الجواب: يكون هنا عند أهل البيان. إذًا حذفه لأحد أمورٍ، بمعنى أن الاعتبار المناسب للمقام يكون حذفه عند وجود واحد من هذه الأمور، فإن حذف لا لواحد منها كان حذفًا على غير الوجه المناسب، يعني لا يكون بليغًا لم يطابق مقتضى الحال، لأنه حذف في غير موضع الحذف الذي يكون بليغًا عند أهل البيان، ثم الحذف حذف المسند إليه يفتقر إلى أمرين، يعني لا بدمن أمرين، ليس كل مسند إليه يجوز حذفه لا بد من اعتبارين:

الأول: العلم بالمحذوف. العلم بالمحذوف لأن القاعدة العامة في باب النحو أن ما لا يعلم لا يجوز حذفه، وما يعلم يجوز حذفه، وحذف ما يعلم جائز، هذا قاعدة عامة ذكرها ابن مالك رحمه الله تعالى في باب

المبتدأ لكنها عامة في المبتدأ وغيره وحذف ما يعلم جائز. إذًا الأمر الأول الذي يفتقر إليه الحذف العلم بالمحذوف بأن يكون السامع عارفًا بالمسند إليه المحذوف لوجود القرائن، لا يُحذف إلا إذا كان ثَمَّ قرينة كجواب السؤال مثلاً أين زيد؟ في الدار، في الدار يجيب هكذا، في الدار جار ومجرور إيش إعرابه؟ خبر، متعلق بمحذوف خبر، خبر لأي شيء لمبتدأ، أين المبتدأ؟ محذوف، لماذا حُذف؟ للعلم به. هل هناك قرينة؟ نعم، كونه واقع في جواب السؤال.

وَحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا ... تَقُولُ زَيْدٌ بَعْدَ مَنْ عِنْدَكُما

من عندك؟ زيد، أو عندي زيد ونحو ذلك، وهذا مقرر في النحو، يعني باب المبتدأ.

والثاني: الداعي الموجب لرجحان الحذف على الذِّكر. وهذا الذي يبحثه البيانيّون في هذا الموضع.." (١)

"(مُتَعَلَّقَاتِ) جمع متعلِق، قيل: يجوز فيه الكسر والفتح متعلِّقات متعلَّقات لأنها جمع لمتعلِّق أو متعلَّق فيجوز فيها الوجهان، والأولى الكسر، جوزوا الوجهين لكن الأولى أن يقال بالكسر، بل لو قيل بأنه يتعين لكان أولى أيضًا لماذا؟ لأن المعمول متعلِّق والعامل متعلَّق به، إذًا فرق بين العامل والمعمول والمراد هنا المعمولات المتعلِّقات المراد به المعمولات ليس المراد به العوامل، والعامل متعلَّق به، فإذا قلت: قَامَ زَيْدٌ. قَامَ متعلَّق به ما الذي تعلق بـ قَامَ؟ زَيْدٌ، فزيد متعلِق، إذًا قيل جمع متعلِّق بكسر اللام وفتحها لكن نقول: الأولى الكسر؛ لأن المعمول متعلِّق والفعل متعلَّق، والمراد بالمتعلِّقات المعمولات التي تتعلق بالفعل، أي ترتبط أو يرتبط معناها به كالمفاعيل وشبه المفاعيل من حال وتمييز كلها مرتبطة بالفعل، يعني: بعاملها، فإذا قلت: ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرْبًا شَدِيدًا أَمَامَ الأَمِيرِ عِنْدَ بَيْتِهِ كل هذه متعلِّقات تعلَّقت بماذا؟ بـ ضَرَبَ لأنها معمولات له، إذًا كلها متعلِّقات وضرب هذا متعلَّق به.

هذه لها أحوال من حيث الذكر، ومن حيث الحذف، ومن حيث التقديم والتأخير، ثم أغراض الحذف لِمَ حُذِفَ المفعول به وقد يجب حذفه، وقد يجب ذكره. إذًا لها أحوال، ما هي هذه الأحوال؟ تبحث في هذا المحل.

(أَحْوَالُ مُتَعَلَّقَاتِ الْفِعْلِ) نص على الفعل وليس التنصيص تخصيص له دون غيره، بل الفعل وما يعمل عمله، كاسم الفاعل ونحوه، واختصر في الترجمة على الفعل لأصالته في العمل، وهذا دائمًا يذكرون الأصل ويتركون الفرع، وأعلم أنه أراد هنا من الأحوال، الأَحوال يعني: الصفات. أراد بعض الأحوال لا كل الأحوال لماذا؟

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٥

لأن متعلِّقات الفعل قد يجري فيها كثير من الأحوال المذكورة في المسند إليه والمسند، يعني: بعض الأشياء مشتركة بين ما مضى وبين ما يأتي لأن الـمفعول به قد يُنَكَّر وقد يُعَرّف، قد يُعَرّف بضمير أو يُعَرّف باسم إشارة، أو .. أَو .. كل ما قيل هناك من الأغراض في التعريف أو التنكير يقال في المفعول. إذًا بعضها قد مر معنا.

واعلم أنه أراد من الأحوال بعضها لا كلها؛ لأن متعلقات الفعل قد يجري فيها كثير من الأحوال المذكورة في باب المسند والمسند إليه كالتعريف والتنكير وما أشبه ذلك من ما مر، ولكن لما اختص بعضها بنوع غموضٍ ومزيد دقة وُضِعَ هذا الباب لذلك البعض، كحذف المفعول، هناك لم يذكر، هناك المسند والمسند إليه، فحذف المفعول وتقديمه على الفعل وتقديم بعض المعمولات على بعض ما هي الأغراض؟ ما مرت هذه، لم تمر معنا في المسند ولا المسند إليه وإنما عنون لها بهذا الباب لهذه المسائل.

ثُمَّ مَعَ المَفْعُولِ حَالُ الفِعْلِ ... كَحَالِهِ مَعْ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ

تَلَبُّسٍ لاَ كَوْنُ ذَاكَ قَدْ جَرَى ... ." (١)

"وعشرين، قرأها عليه تلامذته وهم أبو العالية الانطاكي والسدري وعافية بن شبيب – وكلهم بصريون – وأنهم استقرأوا الشعر، فأخذوا من كل شاعر خيار شعره وضموه إلى المفضليات حتى بلغت ذلك العدد، وسألوه عما فيها من معاني الشعر وغريبه فكثرت جداً (احتى بلغت مائة وعشرين) (١) وهي في العدد النهائي لها قد بلغت ١٢٨ قصيدة – تزيد وتنقص، وتتحمل التقديم والتأخير، وأن أصحها رواية ابن الأعرابي عن أستاذه المفضل (٢) ، وأنها حسب ما أوردها ابن الأنباري تنقص قصيدتين (٣) ، وفيها مختارات لسبعة وستين شاعراً منهم ٤٧ جاهليون وأربعة عشر من المخضرمين، وستة من الإسلاميين (٤) .

٥ – كتاب الأمثال (٥) ، وهو ما سأتحدث عنه في الفقرة التالية.

٢ – كتاب الأمثال

لا مماراة في أن المفضل كتب كتاباً في الأمثال (٦) ، بذلك تشهد النقول التي جاءت من بعد عن ذلك الكتاب مثل كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام والدرة الفاخرة لحمزة والزاهر لابن الأنباري وجمهرة الأمثال للعسكري والوسيط للواحدي وشرح الأمثال لأبي عبيد البكري ومجمع الأمثال للميداني والمستقصي في الأمثال للزخشري (٧) . وهذه النقول تشير – رغم ما قد يعتري من حذف أو تصرف – إلى مصدر معتمد يحمل اسم

---

(١) شرح مائة المعاني والبيان، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٥

(١) ذيل أمالي القالي: ١٣١.

(٢) الفهرست: ٧٥ ونزهة الألباء: ٣٥ وانباه الرواة ٣: ٣٠٢.

(٣) هي كذلك في طبعة ليال، ولكنه أضاف إليها أربع قصائد أخرى.

(٤) بروكلمان (الترجمة العربية) ١: ٧٣ وفيه معلومات عن طبعات المفضليات ومخطوطاتها، وأقول لقد قام بنشر شرح التبريزي للمفضليات الدكتور فخر الدين قبارة في أربعة مجلدات، ١٩٦٨.

(٥) الفهرست: ٧٥ ونزهة الألباء: ٣٥ وياقوت ١٩: ١٦٧.

(٦) ذكر الكتاب مقترناً باسمه في الفهرست: ٨٥ ونزهة الالباء: ٣٥ ومعجم الأدباء ١٩: ١٦٧ وانباه الرواة ٣: ٣٠٢.

(٧) من المنقول التـي وصلتنا عنه أيضاً ما أورده ابن قتيبة في الشعر والشعراء وعيون الأخبار؛ وقد تكلفت حواشي التحقيق بإظهار هذه العلاقة بين كتاب المفضل والمصادر التي نقلت عنه.." (١)

"خرجت خارجية من نسق العادة. فالسّبب الذي به عرفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدار من المعرفة، دون ما توهّمتم وفوق ما مع الهدهد. ومتى سألتمونا عن الحجّة فالسبيل واحدة. ونحن نقرّ بأنّ من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاء كاملين، من غير تجارب وتمرين وترتيب. فمسألتكم عما ألهم الهدهد، هي المسألة عمّا ألهم الطفل في الجنة.

فإن قال قائل: فإنّ ذلك القول كلّه، الذي كان من الهدهد، إنما كان على الإلهام والتّسخير، ولم يكن ذلك عن معرفة منه، فلم قال: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

[١] ؟ قلنا: فإنّه قد يتوعّد الرّجل ابنه- وهو بعد لم يجر عليه الأحكام- بالضّرب الوجيع، إن هو لم يأت السّوق، أو يحفظ سورة كذا وكذا؛ فلا يعنّفه أحد على ذلك الوعيد. ويكذب فيضربه على الكذب، ويضرب صبيا فيضربه لأنه ضربه.

وهو في ذلك قد حسن خطّه، وجاد حسابه، وشدا من النّحو والعروض والفرائض شدوا حسنا، ونفع أهله، وتعلم أعمالا، وتكلّم بكلام، وأجاب في الفتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللّطافة والغموض. وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض والولاية والعداوة.

فإن قال: فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه: إن أنت لم تأت السّوق ذبحتك؛ وهو جادّ؟ قلنا: لا يجوز ذلك.

---

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/٣٢

وإنّما جاز ذلك في الهدهد لأنّ سليمان- ومن هو دون سليمان من جميع العالم- له أن يذبح الهدهد والحمام والدّيك، والعناق والجدي.

والذّبح سبيل من سبل مناياهم. فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلّا بقدر التّقديم والتأخير، وإلّا بقدر صرف ما بين أن يموت حتف أنفه، أو يموت بالذّبح. ولعلّ صرف ما بينهما لا يكون إلّا بمقدار ألم عشرين درّة [٢] . ولعلّ نتف جناحه يفي بذلك الضرب. وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهد بعينه حقّ ما دلّت عليه الآية، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد، ولم نكن كمن ينكر قدرة الله على أن يركّب عصفورا من العصافير ضربا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير. ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل.

على أنّا لو تأوّلنا الذّبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم إسماعيل عليهما السلام- وإنما كان ذلك ذبحا في المعنى لغيره- أو على معنى قول القائل: أمّا أنا

---

[١] ٢١/النمل: ٢٧.

[٢] الدّرّة: درة السلطان التي يضرب بها. (اللسان: درر) .." (١)

"١٥٧٩-[بعض الأمثال في المعز والضأن]

ويقال: «فلان ماعز من الرّجال» [١] ، و «فلان أمعز من فلان» . والعتاق معز الخيل، والبراذين ضأنها.

وإذا وصفوا الرّجل بالضعف والموق [٢] قالوا: «ما هو إلا نعجة من النعاج» .

ويقولون في التقديم والتأخير: «ما له سبد ولا لبد» [٣] .

وقال الشاعر [٤] : [من الكامل]

نشبي وما جمّعت من صفد ... وحويت من سبد ومن لبد

همم تقاذفت الهموم بها ... فنزعن من بلد إلى بلد

يا روح من حسمت قناعته ... سبب المطامع من غد وغد [٥]

من لم يكن لله متّهما ... لم يمس محتاجا إلى أحد

وهذا شعر رويته على وجه الدهر.

وزعم لي حسين بن الضّحّاك أنه له. وما كان ليدّعي ما ليس له.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٠٢/٤

وقال لي سعدان المكفوف: لا يكون: «فنزعن من بلد إلى بلد» بل كان ينبغي أن يقول: «فنازعن» [٦] .

١٥٨٠-[فضل الماعز]

وقال: والماعزة قد تولّد في السنة مرتين، إلا ما ألقي منها في الدّياس [٧] . ولها في الدّياس نفع موقعه كبير. وربما باعوا عندنا بطن الماعز [٨] بثمن شاة من الضأن.

---

[١] رجل ماعز: إذا كان حازما مانعا ما وراءه شهما.

[٢] الموق: الحمق.

[٣] مجمع الأمثال ٢٧٠/٢، والمستقصى ٣٣١/٢، والفاخر ٢١، وجمهرة الأمثال ٢٦٧/٢، وأمثال ابن سلام ٣٨٨.

[٤] الأبيات لحسين بن الضحاك في ديوانه ٤٧- ٤٨، والبيت الأخير لأبي نواس في ديوانه ١٦١ «طبعة محمود فريد» .

[٥] الرّوح: الاستراحة والفرح والسرور. حسمت: قطعت.

[٦] نازعن: غالبن وجاذبن. نزعن: انتقلن.

[٧] الدّياس: الدوس، وهو شدة وطء الشيء بالأقدام، وداس الناس الحب وأداسوه: درسوه.

[٨] أراد ما في بطنها من الحمل، وهو منهي عنه.." (١)

"لم يبلغ درايته، ولم يحط به علمه، ثم ينسيه جهله الطّعن الذي تقدّم منه فيها، ويحمله نوكه على استعمال معانيها وألفاظها، في كتبه إلى إخوانه وأعوانه الذين شهدوه في أوان طعنه عليها، وحين ثلبه لها.

[٧- بعض الكتاب يسرقون كتب الجاحظ أو قسما منها]

وقد عرفت حقيقة ما قال يحيى بن خالد بالتّجربة والابتلاء. وإنّي ربّما ألّفت الكتاب المحكم المتقن في الدّين والفقه، والرسائل والسّيرة، والخطب والخراج والأحكام، وسائر فنون الحكمة، وأنسبه إلى نفسي، فيتواطأ على الطّعن فيه جماعة من أهل العلم، بالحسد المركّب فيهم، وهم يعرفون براعته ونصاعته. وأكثر ما يكون هذا منهم إذا كان الكتاب مؤلّفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير، والحطّ والرّفع، [والترغيب والترهيب، فإنّهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الإبل المغتلمة، فإن أمكنتهم حيلة في إسقاط ذلك الكتاب عند السيّد الذي ألّف له فهو الذي قصدوه و أرادوه، وإن كان السيّد المؤلّف فيه الكتاب نحريرا نقابا، ونقريسا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٥٥/٥

بليغا، وحاذقا فطنا، وأعجزتهم الحيلة، سرقوا معاني ذلك الكتاب وألّفوا من أعراضه وحواشيه كتابا، وأهدوه إلى ملك آخر، ومتّوا إليه به، وهم قد ذمّوه وثلبوه لمّا رأوه منسوبا إليّ، وموسوما بي.

[٨- الجاحظ ينحل كتبه غيره لتروج]

وربّما ألّفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري، وأحيله على من تقدّمني عصره مثل ابن المقفّع والخليل، وسلم صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعتّابيّ، ومن أشبه هؤلاء من مؤلّفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان." (١)

"الجد والهزل، ومن الحظر والإطلاق، ومن الاستئناف والقطع، ومن التحفظ والتضييع، ومن التثبيت والتهاون، إذا أريد به تقريع معجب أو تكشيف مموه، أو امتحان مشكل، أو تخجيل وقاح، أو قمع ممار، أو ممازحة ظريف، أو مساءلة عالم، أو مدارسة حافظ، أو تنبيها على الطريق، أو تجديدا للذهن.

[٤٢- حاجة العقل الى الشحذ]

والعقل حفظك الله أطول رقدة من العين، وأحوج الى الشحذ من السيف، وأفقر الى التعهد، وأسرع الى التغير، وأدواؤه أقتل، وأطباؤه أقل، وعلاجه أعضل. فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته، ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا من حاجته. ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب، ثم في الخواطر الغث والسمين، والفاسد والصحيح والمسرع إليك والبطيء عنك، والدقيق الذي لا يكاد يفهم، والجليل الذي لا يلقى الفهم. ثم هي على طبقاتها في التقديم والتأخير، وعلى منازلها في التباين والتمييز. والمطالب طرق، ولدرك الحقائق أبواب، فمن أخطأها وانتظر كان أسوأ حالا ممن لم يخطئها ولم ينتظر. وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر، وعلى قدر التفرغ يكون التنبه- هذا جماع هذا الباب وجمهوره وأقسامه وجملته. ثم من أنفع أسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لما ورد والانتظار لما يرد أن لا تخلي نفسك من الفكرة إلا بقدر جمام الطبيعة، وأن تعلم أن مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم، وأن تعرف فضل ما بين طلب العلم للمنافسة والشهرة وبين طلبه للرغبة والرهبة، وأن تعلم أن العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه إلا لمن رغب فيه لكرم عنصره، وفضله لحقيقة جوهره، ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل، وأنه لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة. وكان يقال: من شاب." (٢)

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٣٧٦

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٤٨٨

"هذيان المريض، ويهمز همزات الغيْري، ثم لا يرضى أن يقف عند أول الطعن ويميل عنه حتى يستقصي على نفسه إظهار جهله عند أهل المعرفة، باستيعابه الطعن على ما لم يبلغ درايته، ولم يُحط به علمه، ثم يُنسيه جهله الطعن الذي تقدم منه فيها، ويحمله نوكُه على استعمال معانيها وألفاظها، في كتبه إلى إخوانه وأعوانه الذين شهدوه في أوان طعنه عليها، وحين ثلْبه لها.

وقد عرفت حقيقة ما قال يحيى بن خالدٍ بالتجربة والابتلاء. وإني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدِّين والفقه، والرسائل والسيرة، والخطب والخراج والأحكام، وسائر فنون الحكمة، وأنسبه إلى نفسي، فيتواطأ على الطعن فيه جماعةٌ من أهل العلم، بالحسد المركب فيهم، وهم يعرفون براعته ونصاعته. وأكثر ما يكون هذا منهم إذا كان الكتاب مؤلفاً لملكٍ معه المقدرة على التقديم والتأخير، والحطِ والرَّفع، والترغيب والترهيب، فإنهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الإبل المغتلمة، فإن أمكنتْهم حيلةٌ في إسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي أُلِّف له فهو الذي قصدوه وأرادوه، وإنْ كان السيد المؤلَّف فيه الكتاب نحريراً نقاباً، ونقريساً بليغاً، وحاذقاً فطناً، وأعجزتْهم الحيلة، سرقوا معاني ذلك الكتاب وألّفوا من أعراضه وحواشيه كتاباً، وأهدوه إلىملك آخر، ومتُّوا إليه به، وهم قد ذمّوه وثلبوه لما رأوه منسوباً إليّ، وموسوماً بي.." (١)

"ومُلحة، أنه سيشيع، ويجري عند الناس مجْرى الخبر عن أمّ حبيبة وصفيّة. ولو عرف الذي اخترع هذا الحديث طاعة الناس لعائشة – رضي الله عنها – لما طمع في جواز هذا عنه.

وقال عليّ بن أبي طالب – كرم الله وجهه –: " مُنيتُ بأربعة: مُنيت بأشجع الناس، يعني الزُّبيْر؛ وأجود الناس، يعني طلْحة؛ وأنضّ الناس، يعني يعْلى بن مُنْية؛ وأطوع الناس في الناس، يعني عائشة ".

ومن بعد هذا، فأيُّ رئيس قبيلٍ من قبائل قريش كانت تبعث إليه عائشة – رضي الله عنها – رسولاً فلا يُسارع، أو تأمره فلا يُطيع، حتى احتاجت أن تركب بنفسها؟ وأيّ شيء كان قبل الركوب من المراسلة والمراوضة والمُدافعة والتقديم والتأخير، حتى اضطرَّها الأمر إلى الرَّكوب بنفسها؟ وإنّ شرّاً يكون بين حيَّيْن من أحياء قريش، تفاقم فيه الأمر، حتى احتاجت عائشة – رضي الله عنها – إلى الركوب فيه، لعظيم الخطر، مُستفيض الذِّكر؛ فمن هذا القبيلان؟ ومن أيّ ضرْبٍ كان هذا الشرّ؟ وفي أيّ شيءٍ كان؟ وما سببه؟ ومن نطق من جميع رجالات قريش فعصوه وردُّوا قوله، حتى احتاجت عائشة فيه إلى الركوب؟ ولقد ضربوا قواديم الجمل، فلما برك ومال الهودج صاح الفريقان: " أُمَّكم! أُمَّكم ".." (٢)

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٥٠/١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢٢٤/٢

"كنت للشيء متوقعاً، وله منتظراً، كان أحظى لما يرد عليك، وأشهى لما يهدى إليك. وكل منتظر معظم، وكل مأمول مكرم.

كل ذلك رغبة في الفائدة، وصبابة بالعلم، وكلفاً بالاقتباس، وشحاً على نصيبي منك، وضناً بما أؤمله عندك، ومداراة لطباعك، واستزادة من نشاطك. ولأنك على كل حال بشر، ولأنك متناهي القوة مدبر.

فصل

والعقل – حفظك الله – أطول رقدة من العين، وأحوج إلى الشحذ من السيف، وأفقر إلى التعاهد، وأسرع إلى التغير، وأدواؤه أقتل، وأطباؤه أقل. فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته، ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئاً من حاجته.

ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر، ثم معرفة وجوه المطالب. ثم في الخواطر الغث والسمين، والفاسد والصحيح، والمسرع إليك والبطيء عنك، والدقيق الذي لا يكاد يفهم، والجليل الذي لا يلقى الفهم. ثم هي على طبقاتها في التقديم والتأخير، وعلى منازلها في التباين والتمييز.." (١)

"عائشة» .

ومن بعد هذا، فأيّ رئيس قبيل من قبائل قريش كانت تبعث إليه عائشة– رضي الله عنها– رسولا فلا يسارع، أو تأمره فلا يطيع، حتى احتاجت أن تركب بنفسها؟ وأيّ شيء كان قبل الركوب من المراسلة والمراوضة والمدافعة والتقديم والتأخير، حتى اضطرّها الأمر إلى الرّكوب بنفسها؟ وإنّ شرّا يكون بين حيّين من أحياء قريش، تفاقم فيه الأمر، حتى احتاجت عائشة– رضي الله عنها– إلى الركوب فيه، لعظيم الخطر، مستفيض الذّكر؛ فمن هذا القبيلان؟ ومن أيّ ضرب كان هذا الشرّ؟ وفي أيّ شيء كان؟ وما سببه؟ ومن نطق من جميع رجالات قريش فعصوه وردّوا قوله، حتى احتاجت عائشة فيه إلى الركوب؟ ولقد ضربوا قواديم الجمل، فلما برك ومال الهودج صاح الفريقان: «أمّكم! أمّكم» .

فأمر عائشة أعظم، وشأنها أجلّ، عند من يعرف أقدار الرجال والنساء، من أن يجوّز مثل هذا الحديث المولّد، والشرّ المجهول، والقبيلتين اللتين لا تعرفان.

والحديث ليس له إسناد؛ وكيف وابن أبي عتيق شاهد بالمدينة، ولم يعلم بركوبها، ولا بهذا الشرّ المتفاقم بين هذين القبيلتين؟ ثم ركبت وحدها، ولو ركبت عائشة لما بقي مهاجريّ ولا أنصاريّ، ولا أمير ولا قاض

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣/١٠٤

إلّا ركب؟ فما ظنّك بالسّوقة والحشوة، وبالدّهماء والعامّة.

وما هو إلّا أن ولّد أبو مخنف «١» حديثا، أو الشّرقيّ بن." (١)

"وحبسه، واجتمع عند الكلبى شرب فيهم شريح بن عمرو الكلبيّ [١] ، فعرف الأعشى، فقال (للكلبيّ) : من هذا؟ فقال: خشاش التقطته! قال: ما ترجو به ولا فداء له؟ خلّ عنه، فخلى عنه، فأطعمه شريح وسقاه، فلمّا أخذ منه الشراب سمعه يترنّم بهجاء الكبيّ، فأراد استرجاعه، فقال الأعشى [٢] :

شريح لا تتركنّى بعد ما علقت ... حبالك اليوم بعد القدّ أظفارى [٣]

كن كالسّموأل إذ طاف الهمام به ... فى جحفل كهزيع اللّيل جرّار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدّار

خيّره خطّتى خسف فقال له: ... اعرضهما هكذا أسمعهما حار [٤]

فقال: ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر. وما فيهما حظّ لمختار

فشكّ غير طويل ثم قال له: ... أقتل أسيرك إنى مانع جارى

---

[١] الذى فى الأغانى والبلدان أن الكلبى أسره ثم جاء ونزل بشريح بن السموأل بن عادياء الغسانى صاحب تيماء بحصنه الذى يقال له الأبلق.

[٢] من قصيدة مشهورة، تختلف روايتها بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير، فى الأغانى ٨: ٧٩ ومجمع الأمثال ٢: ٢٧٦- ٢٧٧ والبلدان ١: ٨٦- ٨٩ وشعراء الجاهلية ٣٦١- ٣٦٢.

[٣] القد، بكسر القاف: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

[٤] الخسف: الإذلال وتحميل الإنسان ما يكره. حار: ترخيم حارث. والبيت فى اللسان ١٠: ٤١٥. وبعد هذا البيت فى هـ الأبيات الآتية:

فقال معتذرا إذ قام يذبحه: ... أشرف سموأل فانظر فى الدّم الجارى

فشكّ أوداجه والصدر فى مضض ... عليه محتسبا كالكيّ بالنّار

واختار أدراعه. البيت.

والصبر منه على ما كان من خلق ... وزنده فى الوفاء الثاقب الوارى

إنّ له خلفا إن كنت قاتله ... وإن قتلت كريما غير غوّار

---

(١) البغال الجاحظ ص/٢٧

مالا كثيرا وعرضا غير دى حمس ... وإخوة مثله ليسوا بأشرار

جروا على أدب منّى بلا نزق ... ولا إذا شمّرت حرب بأغمار." (١)

"فجعل فيه البيان ودل به على النعم وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم ودرأ وبرأ وحكم وقضا صرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة الفها **بالتقديم والتأخير والأشباه** والمناكر والموافقة والتزايد فأدَّتهُ الآذان إلى القلوب وأدته القلوب إلى الألسن بالبيان استدل به على العلم وعبد به الرب وأبرم به الأمر وعرفت به الأقدار وتمت به النعم فكان من قضاء الله وقدره أن قربت زياداً وجعلت له بين آل سفيان نسباً ثم وليته أحكام العباد يسفك الدماء بغير حلها ولا حقها ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها خؤون غشوم كافر ظلوم يتحير من المعاصي أعظمها لا يرى لله وقاراً ولا يظن أن له معاداً وغداً يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما أجترم بين يدي ربك ولك برسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه أسوة وبينك وبينه صهر فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ولا طريقتهم سلكت جعلت عبد ثقيف على رقاب أمة محمد صلى الله عليه يدبر أمورهم ويسفك دماءهم فماذا تقول لربك يا معاوية وقد مضى من أجلك أكثره وذهب خيره وبقي وزره إني امرأة من بني ذكوان وثب زياد المدعي إلى أبي سفيان على ضيعتي ورثتها عن أبي وأمي فغصبنيها وحال بيني وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالي فأتيتك مستصرخة فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزياد إلى الله عز وجل فلن تبطل ظلامتي عندك ولا عنده والمنصف لي منكما حكم عدل فبهت معاوية ينظر إليها متعجباً من كلامها ثم قال ما لزياد لعن الله زياداً فإنه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساويه من يثيرها ثم أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد يأمره بالخروج إليها من حقها وإلا صرفه مذموماً مدحوراً ثم أمر لها بعشرين ألف درهم وعجب معاوية وجميع من حضره من مقالتها وبلوغها حاجتها.

كلام أم سنان بنت خيثمة

بن خرشة

قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثني عبد الله بن سليمان المديني عن أبيه ءن." (٢)

"ومن كلامه المستحسن قوله لجرير:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... أبا عن كليب أو أباً مثل دارم

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٥٤/١

(٢) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٦٧

ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكاً ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله عمر بن عمر بن مخزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال:

وما مثله في الناس إلا مملكاً

يعني بالمملك هشاماً، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير: حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تصرم مني ود بكر بن وائلٍ ... وما كاد مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأ القطر ألإناء فيفعم١

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والشيبينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى، وأعرب لفظٍ، وأقرب مأخذٍ.

وليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قول عمارة٢ على قرب عهده:

تبحثتم سخطي فغير بحثكم ... نخيلة نفسٍ كان نصحاً ضميرها

ولن يلبث التخشين نفساً كريمة ... عريكتها أن يستمر مريرها٣

وما النفس إلا نطفة بقرارةٍ ... إذا لم تكدر كان صفواً غديرها

---

١ زيادات ر: "القارصة: الكلمة المؤذية".

٢ هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، من شعراء الدولة العباسية، والأبيات في معجم المرزبانى ٢٤٧ عن المبرد.

٣ التخشين: إيعاز الصدر، ويستمر: يقوى.." (١)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢٨/١

"قوله:

يحث الحصى عن جنبه المتعفر

يريد المترب، والعفر والعفر: اسمان للتراب، من ذلك قولهم: عفرالله خده، ويقال للظبية: عفراء إذا كانت يضرب بياضها إلى حمرة، وكذلك الكثيب الأعفر.

وقوله: "كالبعير المحسر" هو المعيي،: يقال: جمل حسير، وناقة حسير، قال الله عز وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ١.

وقوله:

وإن بعدوا لايأمنون اقترابه

على التقديم والتأخير، أراد: لايأمنون اقترابه وإن بعدوا، وهذا حسن في الإعراب إذا كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً، كما قال زهير:

وإن٢ أتاه خليل يوم مسألة ... يقول: لا غائب مالي ولا حرم

فإن كان الفل الأول مجزوماً لم يجز رفع الثاني إلا ضرورة، فسيبويه٣ يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندي على إرادة الفاء، لعلة تلزمه في مذهبه، نذكرها في باب المجازاة إذا جرى في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن يصرع أخوك تصرع

أراد سيبويه: إنك تصرع إن يصرع أخوك. وهو عندي على قوله: إن يصرع أخوك فأنت تصرع يا فتى، ونستقصي هذا في بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله:

كيف ترين عنده مراسي

---

١ سورة الملك ٤.

٢ الكتاب ١:٤٣٦.

٣ نسبه سيبويه إلى جرير بن عبد الله البجلى، زنقل المرصفى عن كتاب قرحة الأديب أن صواب نسبته إلى عمرو بن خثارم البجلى، يحض الأفرع على أن يحكم بالفضل لجرير. "وانظر رغبة الآمل".." (١)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١١٢/١

"ومن قال كذبوا يقول: كذبنا الرسل فيما قالوا لنا. قال: والعرب تقول إذا أصابتهم مصيبة أو حين: الدهر فعل بنا ذاك. فسبوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا الدهر فإن الذي فعل بكم ذاك رب الدهر ".

والدهر: الزمان، والليل والنهار لا غير ذلك. كذا قال أبو العباس.

وأنشد:

هل الدهر إلا ليلة ونهارها ... وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

وأنشد:

حذار من رماحنا حذار ... حتى يصير الليل كالنهار

قال: يقول: احذروا. قال كأنهم كانوا في غبار فقالوا حتى ينجلي الغبار فنصير كأنا في نهار.

قول الله تعالى: " لا تتخذوا آلهين اثنين " قال: إذا كان عندي ثلاثة أثواب فمع الثلاثة أثواب ... العدد ما هو التقديم والتأخير. يقال: ثلاثة أبواب، وثلاثةٌ أثواباً، وثلاثة أثوابٌ. وتقدم فيقال: عندي أثواب الثلاثة. هكذا الأصل. وأكتفوا بالتثنية بلا عددٍ فقالوا: عندي درهمان، لأن الاثنين لا يختلفان. فإن جئت معهما باثنين كان واحداً فقلت: عندي درهمان اثنان. فجاءوا به على الأصل. وقال الأخفش: جاءوا به توكيداً. وليس بشيء.

وأنشد:

سليل أناس نسلهم غير معقب.

أي لا يخلفون اولئك ولا يكونون مثلهم.

" وما يعلم تاويله إلا الله " قال: تفسيره.

" فمحن به " في بيت فرزدق قال: هو مثل ماح الدلو يميح ميحاً. جاءنا بخبرةٍ ناسة، قال: يابسة. " وأضله الله على علمٍ ". قال: أي فأضله الله على علم من الأرض أريضة: حسنة النبات.

وأنشد المهلهل بن ربيعة:

أودى الخيار من المعاشر كلها ... واستب بعدك يا كليب المجلس

وتنازعوا في كل أمر عظيمةٍ ... لو كنت شاهدهم إذا لم ينبسوا

إبني ربيعة من يقوم مقامه ... أم من يرد على الضريك ويحبس

وتلهف الصعلوك بعدك أمه ... لما استعال وقال أني المجلس

وإذا تشاء رأيت وجهاً ناعماً ... وذراع باكيةٍ عليها برنس

قال أبو العباس: كن نصاري فكن يلبسن البرانس.

جزعاً عليك ولست لائم ءرةٍ ... تبكي عليك بعبرةٍ وتنفس

ولقد شفيت النفس من سرواتهم ... والخيل تعثر في الدماء وتعبس

وتركت جساساً ينوء بصعدةٍ ... سمراء يقدمها سنانٌ مدعس

أكليب لو حدثت كيف عقوبتي ... علمت عظامك إذ علاها المرمس

أن لست زيراً حين شب وقودها ... في الحرب يوم عنانها لا يسلس

" من عين كان مزاجها كافوراً ". قال: لو كان اسماً للعين لم يجر، ولكن تشبيه فأجرى. قال: وقال الفراء: " سلسبيل " إن لم يكن نعتاً لها فلا يجوز.

" إني كفرت بما أشتركتموني من قبل " عند الفراء أن فيه إضمار "كنتم "، قال: كل ماضٍ عند الفراء يحتاج إلىكان. هكذا قال. وإنما يفعل هذا إذا كان جزاء، أي إني كفرت بالشيء الذي كنتم اشتركتموني به. قال: والدليل لا يكون الشيء، إنما يكون غيره.

عشاه يعشون: أتاه على غير بصيرةٍ، " وعشا يعشو "، أي ضعف بصره. وعشى يعشى: عمى ويقال: أعشاه وعشاه بمعنى.

" الكاظمين الغيظ " الحابسين لا يظهرون جزاءه. الكظامة، المصنع وهو منه.

إذا قال: يا رجل، فقد قصد قصده، مثل يا زيد. وإذا قال: يأيها الرجل، أختلف الناس فيه، فقال سيبويه وأصحابه: الرجل تابعٌ لأي، وخطأه الفراء: قال: هو يأي هذا الرجل أراد يأي هو هذا الرجل، كذا هو عند الفراء. وسيبويه يقول: فيه تنبيه في موضعين: يا، وها. وهذا باطلٌ.

الحصيف: الرجل الشديد العقل، من المحصف، وهو الشديد " الفتل ". ويقال: البقوى والبقيا، والرعوى والرعيا، والفتيا والفتوى. هذا كله إذا ضم كتب بالألف، وإذا فتح كتب بالياء.

وقال سألني خلف فأجبته هذا. قال: قد أرحتني.

وأنشد أبو العباس:

فما بقيا على تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

قال: ويقال: من علو ومن علو ومن علو ومن علو، يا هذا ومن عال ومن علا.

وأنشد:

وهي تنوش الحوض نوشاً من علا ... نوشاً به تقطع أجواز الفلا

قال: من قال علا جعله مثل قفاً، وعال مثل فاعل، وعل مثل عمٍ، ومن معال مثل مفاعلٍ، ومن علو مثل قبل وبعد، ومن علو مثل ليت ولعل، ومن علو، يا هذا، على حذف الإعراب.." (١)

"وهو على التقديم والتأخير، أي: لم يرها ولم يكد. والله أعلم. ولم يكد أيضاً: لم يأن. وقال ابن الأعرابي: قوله "كادوا" ههنا: طلبوا وأرادوا.

٧ ... لا يصلح القوم، فوضى، لا سراة لهم

ولا سراة، إذا جهالهم، سادوا

"فوضى": أخلاط وأشراك. ومنه قولهم: شريك مفاوض. وأنشد ابن الأعرابي:

طعامهم فوضى، فضا، في رحالهم ... ولا يحسنون السر، إلا تناديا

و"سراة" كل شيء أعلاه. ومن هذا قيل: سروات الرجال، وهم الأشراف. وسرو حمير: أعلى بلادها. وسراة الفرس: أعلى ظهره. وهو موضع اللبد منه.

٨ ... إذا تولى سراة القوم أمرهم

نمى على ذاك أمر القوم، فازدادوا

"سراة": جمع سري. قال أبو زيد الأنصاري: "نمى" ينمي نماءً، إذا كثر وزاد.

٩ ... تلقى الأمور، بأهل الرأي، ما صلحت

فإن تولت فبالأشرار تنقاد." (٢)

"وويصل؟ قال: كرهوا أن يشبّه كلامهم بنبيح الكلاب.

وقال أبو الأسود الدؤلي: من العرب من يقول: لولاي لكان كذا وكذا.

وقال الشاعر:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قنّة النّيق منهوي «١»

وكذلك «لولا أنتم، ولولاكم» : ابتداء وخبره محذوف.

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/١١١

(٢) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٧٧

وقال أبو زيد: وراء وقدّام لا يصرفان لأنهما مؤنثان؛ وتصغير قدّام قديدمة، وتصغير وراء وريئة؛ وقدّام خمسة أحرف، لأن الدال مشدّدة، فأسقطوا الألف لأنها زائدة، ولئلا يصغر إسم على خمسة أحرف.

أبو حاتم قال: يقال أمّ بينة الأمومة، وعمّ بيّن العمومة. ويقال: مأموم، إذا شجّ أم رأسه. ورجل مموم. إذا أصابه الموم «٢» .

يقول المازني: يقال في حسب الرجل أرفة «٣» ووصمة وأبنة؛ وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب.

ويقال: قذيت عينه، إذا أصابها الرمد.

وقد يقال في **التقديم والتأخير مثل** قول الشاعر.

شرّ يوميها وأخزاه لها ... ركبت هند بحدج جملا «٤»

يريد: ركبت هند بحدج جملا في شرّ يوميها، نصب لأنه ظرف.

وقد يسمّى الشيء باسم الشيء إذا جاوره: قال الفرزدق:." (١)

"واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما] خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه- جل ثناؤه- أمره ونهيه ومراده؛ والرسائل إنما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة، لا علم لهم بلسان العرب.

وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك، والمعنى الملتبس؛ فإنه إن ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى: وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها

«١» ، وكقوله تعالى: بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ

«

، احتاج الكاتب أن يبيّن معناه: اسأل أهل القرية وأهل العير، وبل مكركم بالليل والنهار، ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره.

وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المنثورة ما يجوز في الأشعار الموزونة؛ لأن الشاعر مضطر، والشعر مقصور مقيّد بالوزن والقوافي؛ فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يحذف منها؛ واغتفروا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار؛ وذلك كله غير سائغ في الرسائل، ولا جائز في الملاغات، فمّما أجيز في الشعر من الحذف مثل قول الشاعر:

قواطنا مكّة من ورق الحما

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٣١٣

يعني الحمام؛ وقول الآخر:

صفر الوشاحين صموت الخلخل

يريد الخلخال؛ وكقول الآخر:

دار لسلمى إذه من هواكا." (١)

"القارىء ويوقعه فى حيرة وارتباك.

وقد راعينا ناحية المعنى وانسجامه وترتيب الجمل وأهملنا ترقيم الكتاب فى ثلاثة مواضع خطا يظهر أنه كان عن قصد وسوءنية، وفاتنا أن ننبه على مواضع **التقديم والتأخير أثناء** الطبع فى ذيل الصفحات ولذلك ترى أنفسنا مضطرين إلى الاشارة اليها هنا.

ينتهى الوجه الأول من صفحة ٨٤ بما يأتى:

فى أخبار سنة تسع وعشرين وثلاثمائة «وظهر ما كان ساكنا فى الجانب الغربى وانضم اليهم وأعانهم العامة وكثروا معهم وقصد الجميع النجمى فجلس الوزير فى طيار وانحدر جميع أصحابه فى» «١» ويبدأ الوجه الثانى من الصفحة ٨٤ «الظهر من يوم الثلاثاء ثانى اليوم الذى خلع على القراريطى فيه للوزارة وأمر بالنداء فى العامة بلعن البريديين» ثم يأتى بحوادث سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وسنة اثنتين وثلاثين وثلاث وثلاثين إلى أن ينتهى الوجه الأول من الورقة ١٠٤ بقوله «واستلب كيس رجل يعرف بغلام ا بن الأبوارى الصيرفى مع المغرب وفيه خمسة آلاف دينار ليلة الجمعة لأربع «٢» » ويبدأ الوجه الثانى من الورقة نفسها: «طياراتهم وزبازبهم ودفعت الخراقة وتشبث بها قوم من الملاحين»." (٢)

"فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليل ما أكاتبك به كثيرا، وإن كنت كما قال الله: " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.

وقال بعض الكتاب: ما أدري ما معنى المصارفة في تقديم إطالة البقاء في " أطال الله بقاك وأعزك "، وتأخيره في " أعزك الله وأطال بقاك " الأفضل **التقديم والتأخير في** أنفسهم، وإلا فالعطف بالواو، وهي تجيء للاشتراك فيدخل الثاني من الدعاء في معنى الأول، وقد قدم الله عز وجل، لما كان العطف بالواو مؤخراً على مقدم، فقال: " واسجدي واركعي مع الراكعين "، وقال: " يا معشر الجن والإنس:..

وعلى أن المؤخر قد قدم، وأخر المقدم بغير الواو من حروف العطف، قال الله عز وجل: " اذهب بكتابي

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٦٧

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي م ٢/٧

هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون "، قالوا: وإذا تولى لم يعرف شيئاً والمعنى مقدم ومؤخر كأنه فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. وقال عز وجل: " من بعد وصية يوصى بها أو دين " والدين قبل الوصية، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال: فلم تستن الكتاب بذلك، وصارت التقدمة لحرف على حرف تزول، إذ قدم الثاني من اللفظ على الأول.

وقال بعضهم: لا أعرف الصرف بين " أطال الله بقاك " وبين " مد الله في عمرك " إلا ما رتبوه واستعملوه ورسموه. ومن يصارف في القليل من هذا ويشح عليه أكثر.

وكان أحمد بن ثوابة أشد الناس في هذا، كتب إليه ابن أبي خالد." (١)

"ومن كلامه المستحسن قوله لجرير «٣٠» :

فهل ضربة الرّوميّ جاعلة لكم ... أبا عن كليب أو أبا مثل دارم [٤٦]

ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعانى قوله «٣١» :

وما مثله فى الناس إلا مملّكا «٣٢» ... أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه «٣٣»

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومى، وهو خال هشام بن عبد الملك فقال: «وما مثله فى الناس إلا مملكا،- يعنى بالمملك هشاما، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحا، وكان يكون إذا وضع الكلام فى موضعه:

وما مثله فى الناس حيّ يقاربه إلّا مملّك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح؛ فدلّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجّنه بما أوقع من التقديم والتأخير، حتى كأنّ هذا الشّعر لم يجتمع فى صدر رجل مع قوله «٣٤» :

تصرّم عنى «٣٥» ودّ بكر بن وائل ... وما كاد «٣٦» منى ودّهم يتصرّم «٣٧»

قوارص تأتينى ويحتقرونها ... وقد يملأ القطر الإناء فيفعم «٣٨»

وكأنه لم يقع هذا الكلام لمن يقول «٣٩» :

والشّيب ينهض فى الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار." (٢)

"٧- فهرس المسائل اللغوية والعروضية والنحوية والبلاغية والنقدية

الإقواء:

---

(١) أدب الكتاب للصولي الصولي ص/١٥٢

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/١٣٧

خير الكلام المستغنى بنفسه:

٣٠

الألفاظ المستكرهة الرديئة النسج:

٤٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٠

التقديم والتأخير والتعقيد:

٤٥، ٧٨، ٨٣، ٩٧، ١٠٨، ١٢٨، ١٣٧، ١٥٧، ١٦١، ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٨٩، ٢٩٨

اختلاف القوافى فى الإعراب:

٤٦

حوشى الكلام:

٤٩، ٥٠

التناقض:

٥٢، ٢٤٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٣٥، ٣٤١، ٤٣٤

الكذب فى الشعر:

٥٦، ٦٣، ٩٠، ٩٦، ١٣٨، ١٥٩، ٢٦٢

التكلف:

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٣٩١، ٤٢١

ما يتطير منه:

٥٩، ١٨٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦

المشاكلة بين المصراعين:

٦٠، ٦١

استعمال الألفاظ الأعجمية:

٦٣

المدح بالصفة الثابتة أفضل:

٦٥، ٦٦، ٢٤١، ٢٤٢

حسن الديباجة:

٧٠

عود الضمير على متأخر:

٧٠، ٧١

المعانى التى يقال فيها الشعر:

٧١، ٧٦

الاستعارة القبيحة:

٨٨، ٤٧٢، ٤٩٦

الخطأ فى الوصف:

٩٤، ٩٥، ١١٢، ١١٣، ١١٤– ١١٧

المبالغة:

٩٨، ٩٩." (١)

"وبفاحم رجل أثيث نبته ... كالكرم مال على الدعام المسند

هذا باب

ما ذكر فيه اسمان، ثم أخبر عن أحدهما

٧٦١ فربما كان الخبر عن الأول منهما، وإما كان الخبر عن الآخر.

فمثال ذلك قول الله عز وجل: ((وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً)) (الجمعة: من الآية١١)

فجاء بالخبر عن الأول.

٧٦٢ ومما جاء في الشعر من ذلك قوله:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض، والرأي مختلف

وقول الآخر [وافر] :

فمن يك سائلاً عني فإني ... وجروة لا ترود ولا تعار

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٥٦١

هذا باب

ما لفظ فيه بلفظ الجماعة للواحد

٧٦٣ كقول الأعشى [متقارب] :

ومثلك معجبة بالشبا ... ب، صاك العبير بأجيادها

٧٦٤ وقال جرير [طويل] :

وما ذقت طعم النوم إلا مروعاً ... ولا ساغ لي بين الحيازم ريق

٧٦٥ وقال امرؤ القيس [طويل] :

كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل

ويروى "عن ههواته" وإنما هي صهوة واحدة.

هذا باب آخر

لفظوا فيه بلفظ الواحد، يراد به الجماعة

٧٦٦ كقول زهير [طويل] :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

أراد النعال.

٧٦٧ وقال حميد بن ثور الهلالي [طويل] :

ليالي الأبصار الغواني وسمعها ... إلى واذ ريحي لهن جنوب

٧٦٨ وقول الآخر [مجزؤ المتقارب] :

ألكني إليها وخبر الرسو ... ل أعلمهم لنواحي الخبر

هذا باب

ما جعل فيه الاثنان جمعاً

٧٦٩ كقولهم: رجل ذو مناكب، وامرأة عظيمة المآكم، وإنما مأكمتان ومثال ذلك قول أبي ذؤيب [كامل] :

فالعين بعدهم كأن حداقها ... كحلت بشوك فهي عور تدمع

٧٧٠ وقال كثير [طويل] :

مسائح فودى رأسها مسبغلة ... جرى مسك دارين الأجم خلالها

٧٧١ وقال رجل من هذيل [طويل] :

أليت لا أسى منيحة واحد ... حتى تحيط بالبياض قروني

هذا باب

لفظ فيه بلفظ الواحد يراد به الاثنين

٧٧٢ ومثال ذلك قول الشاعر [وافر] :

فرجى الفيء إيابي ... إذا ما القارط العنزي آبا

وهما قارظا عنزة.

[ما لفظ فيه بلفظ الاثنين يراد به الواحد] .

٧٧٣ وقال الفرزدق [طويل] :

عشية سال المربدان كلاهما ... عجاجة موت بالسيوف الصوارم

وإنما هو مربد واحد.

٧٧٤ وقال سويد بن كراع العكلي

هذا باب

من الحذف

٧٧٥ كقول الشاعر [وافر] :

كأنك من جمال بني أقش ... يقعقع بين رجليه بشن

أي كأنك جمل منها.

٧٧٦ وقال الراجز يصف قوساً: "جادت بكفي كان من أرمى البشر" أي بكفي رجل.

٧٧٧ وقال الآخر [طويل] :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

أي بني التي.

٧٧٨ وقال الآخر:

فضلت في شر من الذي كيدا ... كألذ تزبى زبية فاصطيدا

حذف الياء من الذي.

٧٧٩م وقال الأشهب بن رميلة [طويل] :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

فحذف النون من الذين.

هذا باب

ما جاء من التقديم والتأخير

٧٨٠ قال أبو ذؤيب [وافر] :

فإنك إن تنازلني تنازل ... فلا تكذبك بالموت الكذوب
أي تنازل بالموت، فلا يكذبك الكذوب.

٧٨١ وقال الشماخ يصف امرأة [طويل] :

تخامص من حر الوشاح فأفلتت ... تخامص حافي الخيل في الأمعز الوجي
أي تخامص حافي الخيل الوجي في الأمعز، ومعنى تخامص أي تجافي عنه.

٧٨٢ وقال النابغة [طويل] :

يثرن الثرى حتى يباشرن برده ... إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل
أي يباشرن بردها بالكلاكل.

٧٨٣ وقال الجعدي [رمل] :

وشمول قهوة باكرتها ... في التباشير من الصبح الأول
أي في التباشير الأول من الصبح.

هذا باب
ما يحذف منه المضاف، فيقام المضاف إليه مقامه

٧٨٤ كقول أوس بن حجر [منسرح] :

وشبه الهيدب العبام من ال ... أقوام سغباً مجللاً فرعا." (١)

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٨٨

"وَالصَّوَاب عندنَا من القَوْل فِي وَجه قُراءة من قَرَأَ قطعا بِالتَّحْرِيكِ أنَّ نَصبه مظلمًا عَلَى الْحَال وَالْمعْنَى من اللَّيْل فِي حَال إظلامه أَي شدَّة ظلمته، والكوفيون من النَّحْويين يَقُولُونَ: هُوَ مَنْصُوب على قطع النكرَة من الْمعرفَة، وَالْمعْنَى من اللَّيْل المظلم، وَفِيه موضعان شَذَّ لَفْظهمَا عَنِ الْوَجْه الْأَصَح الأعرف فِي مقاييس الْعَرَبيَّة فِي الْإِعْرَاب وَالْبناء، أَحدهمَا قَول جميل:

وَأن أمت يوافقُ فِي الْمَوْتَى

بِرَفْع يُوَافق وَكَانَ سَبيله بجزمه عَلَى مَا تَقْتَضِيه الْعَرَبيَّة فِي بَاب الشَّرْط وَالْجَزَاء، وَقد أَتَى مثله ممّا رُدَّ إِلَى أَصله فِي الرَّفْع وَلم ينْقل بالجزاء إِلَى الْجَزْم فِي أَبْيَات من الشّعْر مِنْهَا:

يَا أقرعُ بْن حابسٍ يَا أقرعُ

إِنَّك إن يُصْرَعْ أَخُوك تُصرعُ

وَقد حمل قَوْمٍ هَذَا عَلَى التَّقْدِيم وِالتَّأْخِير، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّك تصرع إِن يصرع أَخُوك، وَمثل هَذَا فِي بَيت جميل أَن يجْرِي عَلَى أنَّ مَعْنَاهُ: ويوافق فِي الْمَوْتَى وضريحي ضريحها إِن أمت، وَذهب آخَرُونَ فِي هَذَا إِلَى إِرَادَة الْفَاء كَأَنَّهُ أَرَادَ فتصرع ويوافق.

اقْطَعْ عنِّي لسانَه

حَدَّثَنَا يَزْدَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بْن بكار، قَالَ: حَدثنَا إِبْرَاهِيم بن الْمُنْذر الْحزَامِي قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى شَاعِرٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبِلالٍ: " يَا بِلالُ اقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ "، قَالَ: فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَحُلَّةً، فَذَهَبَ وَهُوَ يَقُولُ: قطَعْتَ وَاللَّهِ لساني.

أُعْطِيك بِمَا مدحتَ اللَّه

حَدَّثَنَا يزْدَاد، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بْن بكار، قَالَ: وحَدثني الْحزَامِي، عَنْ عَبْد اللَّه بْن وهْب الْمَصْرِيّ، قَالَ حَدَّثَنَا هِشَام بْن سَعْد، عَنْ زَيْدِ بْن أسلم، قَالَ: بلغنَا أنَّ أَبَا بَكْر الصَّدِّيق رضوَان اللَّه عَلَيْهِ أَتَى بشاعر إِلَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم فِي المَسْجِد، فَقَالَ: يُنشد يَا رَسُول اللَّه؟ قَالَ: لَا خَير فِي الشّعْر، فَقَالَ: بلَى يَا رَسُول اللَّه، فَقَالَ: فاخرجوا بِنَا إِلَى المقاعد، فأنشده مِدْحَة لله وَلِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أعْطِيه يَا بلالُ النَّاقة السَّوْدَاء "، ثُمَّ قَالَ: " أُعطِيكَها لما مدحتَ اللَّهَ فأمّا مِدْحَتِي فَلا أُعْطِيك شَيْئًا ".

إِلَى أَي شَيْء أفْضى بـهم الزُّهْد

حَدَّثَنَا عُمَر بْن الْحَسَن بْن عليّ بْن مَالك الشَّيْبَانيّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أبي، عَنْ أبي أَحْمَد بْن أبي الْجوَار، قَالَ: سَمِعت مضاء العابد يَقُولُ لسباع العابد: يَا أَبَا مُحَمَّد! إِلَى أَي شَيْء أفْضى بهم الزُّهْد؟ قَالَ: إِلَى الأنْس بِهِ.

من الشّعْر الْحَكِيم

أنشدنا مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن دُرَيْد، قَالَ: أَنشدنا أَبُو حَاتِم، قَالَ: أنشدنا أَبُو عُبَيْدة، قَالَ:." (١)

"القَوْل فِي معنى فِي وَجهه شَافِع

قَالَ القَاضِي: يتَّجه فِي قَوْله: فِي وَجهه شَافِع يمحو إساءته من الْقُلُوب، أَن يكون الْمَعْنى: يمحو من الْقُلُوب الْإِسَاءَة فيزيلها مِنْهَا، وَيجوز أَن يكون الْمَعْنى: فِي وَجهه شَافِع من الْقُلُوب وجيه، وَيكون فِي الْكَلَام تَقْدِيم وَتَأْخِير، وَيكون من الْقُلُوب من صلَة شَافِع، وَيشْهد لهَذَا أَنَّهُ قَدْ روى هَذَا الْبَيْت من طَرِيق آخر:

فِي وَجهه شافعٌ يمحُو إساءتَهُ ... مُشَفّعٌ ووجيهٌ حَيْث مَا شفعا

فعلى هَذَا: من الْقُلُوب صفة لشافع كمشفع، **والتقديم وَالتَّأْخِير إِذًا** دلّت جملَة الْكَلَام عَلَى مَعْنَاهُ وعَلى مَوضِع كلّ شَيْءٍ مِنْهُ، كثير فِي اللُّغَة مَشْهُور فِي الْعَرَبيَّة. قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا ".

وقَالَ الشَّاعِر:

إِذَا شَاب الْغُرَابُ لقيتُ أَهلِي ... وَصَارَ القَارُ كاللَّبنِ الحَلِيبِ

الْأَصْمَعِي يعادي ابْن الْأَحْنَف

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ، قَالَ: قَالَ لي أَبُو الْعَبَّاس مُحَمَّد بْن يزِيد الْمبرد الثُّمالي: كَانَ الْأَصْمَعِي يعادي عَبَّاس بن الْأَحْنَف، فَقَالَ عَبَّاس يَوْمًا وَهُوَ بَيْنَ يَدي الرشيد والأصمعي بالحضرة:

إِذَا أَحْبَبْت أَن تع ... مل شَيئًا يعجبُ النَّاسَا

فَصَوِّرْ هَا هُنا فَوْزا ... وصَوِّرْ ثَمَّ عَبّاسَا

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٤٤

وَدَعْ بَيْنَهُمَا فِتْرًا ... فَإِن زِدْتَ فَلا بَاسَا

فَإِن لَمْ يَدْنُوَا حَتَّى ... ترى رأسَيْهما رَاسَا

فكذِّبْها بِمَا قاسَتْ ... وَكذبه بِمَا قاسا

فَقَالَ الرشيد: مَا رَأَيْتُ معنى أحسن من هَذَا. فَقَالَ الْأَصْمَعِي: قَدْ سبقه إِلَى هَذَا الْمَعْنى رجلٌ من الْعَرَب ورجل من النّبط، فقَالَ: مَا قَالَ الْعَرَبِيّ؟ قَالَ: كَانَ رَجُل يُقَالُ لَهُ عُمر يحبُّ جَارِيَة يُقَالُ لَهَا قمر، فَقَالَ:

إِذَا أحببتَ أَن تُبْ ... صر شَيئًا يُعْجِب البَشَرَا

فَصَوِّرْ هَا هُنَا قَمَرا ... وصَورْ هَا هُنَا عُمرا

فَإِن لَمْ يَدْنُوا حَتَّى ... تَرَى بَشَرَيْهِما بَشَرا

فكذِّبها بِمَا ذَكَرَتْ ... وَكذبه بِمَا ذَكَرَا

قَالَ الرشيد: فَمَا قَالَ النَبَطيُّ؟ قَالَ: كَانَ رَجُل يُقَالُ لَهُ زَوْرا يحب جَارِيَة يُقَالُ لَهَا." (١)

"فالجواب الأول قد عرفتك أنه بقول المنجمين المخرجي الضمير أشبه منه بقول المفسرين، وأما قوله، أراد استواء القافية ونوى **التقديم والتأخير فإن** إرادة القافية باستواء المعنى أن يساغ وصار قياساً وقع في الشعر من التخليط ما تفسر به معانيه ويستولي على كثير من قوافيه. وأمّا قوله إن هذا محمول على قول الله عز وجل:) من بعد وصية يوصي بها أو دين (فليس بحجة وإن كان الدين قبل الوصية لأن الدّين والوصية ليسا ممّا كنّا فيه من الأعلى إلى الدون، إذ ليس بين الدين والوصية تفاضل من العلوّ إلى الدّنوّ، ولولا أن الشريعة دلت على تقديم الوصيّة لما عرفنا الأعلى منهما من الأدنى وأنواع الطيب متفاضلة، فإذا شبه أبو تمام بالأفضل غني عن الأرذل وقول أبي الطيب:) شمس ضحاها (.

لا يوجب قوله:) هلال ليلتها (وكان أشبه أن يقول) بدر ليلتها (وكذلك قوله:) درّ تقاصيرها، زبرجدها (التقصار: القلادة القصيرة، ولم يعتمد في هذا البيت على الطول والقصر فيها وإنما مراده أنك في قومك كالدّر نفاسة، وقوله:) درّها يغنيه عن زبرجدها (لأنه أنتقل من الأفضل إلى الأرذل، وقد قال إبراهيم بن العباس للصولي:

ما كنت فِيهنّ إلاّ كُنْتَ واسطةً ... وَكُنّ دُونكَ أولاها وأخراها

فالواسطة من القلادة أنفس ما يليها من جملتها فقد اكتفى بهذا الوصف." (٢)

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٧٣

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٢١٤

"فيساهل نفسه فى تهجين «١» . صورته؛ فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون فيه أقرب إلى الذم منه إلى الحمد.

والمعانى بعد ذلك على وجوه: منها ما هو مستقيم حسن، نحو قولك: قد رأيت زيدا. ومنها ما هو مستقيم قبيح نحو قولك: قد زيدا رأيت. وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير. ومنها ما هو مستقيم النظم، وهو كذب؛ مثل قولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر. ومنها ما هو محال، كقولك: آتيك أمس وأتيتك غدا. وكلّ محال فاسد، وليس كلّ فاسد محالا؛ ألا ترى أن قولك:

قام زيد فاسد، وليس بمحال. والمحال ما لا يجوز كونه البتة، كقولك: الدنيا فى بيضة. وأما قولك: حملت الجبل وأشباهه فكذب، وليس بمحال، إن جاز أن يزيد الله فى قدرتك فتحمله.

ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذبا محالا؛ وهو قولك: رأيت قائما قاعدا، ومررت بيقظان نائم؛ فتصل كذبا بمحال، فصار الذى هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما، وإن كان لكل واحد منهما معنى على حياله؛ وذلك لمّا عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاما واحدا.

ومنها الغلط، وهو أن تقول: ضربنى زيد، وأنت تريد ضربت زيدا، فغلطت، فإن تعمّدت ذلك كان كذبا.

وللخطأ صور مختلفة نبّهت على أشياء منها فى هذا الفصل، وبيّنت وجوهها، وشرحت أبوابها لتقف عليها فتجتنبها، كما عرفتك مواقع الصواب فتعتمدها، وليكون فيما أوردت دلالة على أمثاله ممّا تركت؛ ومن لا يعرف الخطأ كان جديرا بالوقوع فيه. فمن ذلك قول امرىء القيس «٢» :." (١)

"الباب الرّابع فى البيان عن حسن النظم وجودة الرّصف والسّبك وخلاف ذلك

أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشّعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب.

وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيّا، ووصف الكلام رديّا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيّدا كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا فى المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبّة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا.

وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ فى مواضعها، وتمكّن فى أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير،

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٧٠

والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يعمّى المعنى؛ وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها.

وسوء الرّصف تقديم ما ينبغى تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال فى نظمها.

وقال العتابى: الألفاظ أجساد، والمعانى أرواح؛ وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّرا، أو أخّرت منها مقدّما أفسدت الصورة وغيّرت المعنى؛ كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية.

(١١– الصناعتين)." (١)

"فقال: لو مات القرآن كان رمضان أيضاً يموت، ويقول: لا حياة بعدك، ولا نُصلَي التراويح، ونستريح. وسأله الدّامغاني يوماً عن قوله عزّ وجلّ: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) ، أَتقول أن يوسف همّ بالمعصية؟ فقال: الكلام معطوف بعضه على بعض بالتّقديم والتأخير، فكأنه قال: لولا أن رأى بُرهان ربّه لقد كان يَهُمُّ بها، ولكنه لم يُهمّ، وهذا كقول القائل: إني غَرِقت لولا أنه خلصني فلان.

فحدّثتُ بهذه الجملة ابن المراغي ببغداد، فقال: لو سكت عن هذا كان أحسن به، هذا تقدير لاعبٍ بكتاب الله، لا يحلّ نظم." (٢)

"قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة استفدت، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه، والجماعة تعلم أنّك أخطأت، فلم تدّعي أن النحويّ إنما ينظر في اللّفظ دون المعنى، والمنطقيّ ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصحّ لو أنّ المنطقيّ كان يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتّب ما يريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحدس الطارئ، فأمّا وهو يريغ أن يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفّح إلى المتعلّم والمناظر، فلابدّ له من اللفظ الّذي يشتمل على مراده، ويكون طباقا لغرضه، وموافقا لقصده.

قال ابن الفرات لأبي سعيد: تمّم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملا في نفس أبي بشر.

فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلّا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال ملّ.

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/١٦١

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٢٥٢

فقال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر.

فقال أبو سعيد: إذا قلت: «زيد أفضل إخوته» لم يجز، وإذا قلت: «زيد أفضل الإخوة» جاز، والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم.

والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال: «من إخوة زيد» لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول: أفضل إخوته، كما لم يجز أن تقول: «إن حمارك أفره البغال» لأن الحمير غير البغال، كما أن زيدا غير إخوته، فإذا قلت: «زيد خير الإخوة» جاز، لأنّه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا ترى أنه لو قيل: «من الإخوة» ؟ عددته فيهم، فقلت: «زيد وعمرو وبكر وخالد» فيكون بمنزلة قولك: «حمارك أفره الحمير» لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير. فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس، فتقول: «زيد أفضل رجل» و «حمارك أفره حمار» فيدلّ «رجل» على الجنس كما دلّ الرجال، وكما في «عشرين درهما ومائة درهم» .

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جلّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام **بالتقديم والتأخير وتوخّي** الصواب في ذلك وتجنّب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على." (١)

"قيل له: كفاك تماديا في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق، ولا عليه مطابق، ولو استقلّ إنسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه لاستقلّ أيضا بقوته في جميع حاجاته في دينه ودنياه، ولكان وحده يفي بجميع الصّناعات والمعارف، وكان لا يحتاج إلى أحد من نوعه وجنسه، وهذا قول مرذول ورأي ى مخذول.

قال البخاريّ: وقد اختلفت أيضا درجات النبوة بالوحي، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ثالما له، ساغ أيضا في العقل ولم يكن مؤثّرا فيه.

فقال: يا هذا، اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثّقة والطّمأنينة بمن اصطفاهم بالوحي،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٩٦

وخصّهم بالمناجاة، واجتباهم للرسالة، وأكملهم بما ألبسهم من شعار النبوة، وهذه الثّقة والطّمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة، لأنهم على بعد من الثّقة والطّمأنينة إلّا في الشيء القليل والنّزر اليسير، وعوار هذا الكلام ظاهر، وخطل هذا المتكلّم بيّن.

قال الوزير: أفما سمع شيئا من هذا المقدسيّ؟

قلت: بلى قد ألقيت إليه هذا وما أشبهه بالزّيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، في أوقات كثيرة بحضرة حمزة الورّاق في الورّاقين، فسكت، وما رآني أهلا للجواب، لكن الجريريّ غلام ابن طرّارة هيّجه يوما في الورّاقين بمثل هذا الكلام، فاندفع فقال:

الشريعة طبّ المرضى، والفلسفة طبّ الأصحّاء، والأنبياء يطبّون للمرضى حتى لا يتزايد مرضهم، وحتى يزول المرض بالعافية فقط. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصّحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلا، فبين مدبّر المريض ومدبّر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف، لأن غاية مدبّر المريض أن ينتقل به إلى الصحة، هذا إذا كان الدواء ناجعا، والطّبع قابلا، والطبيب ناصحا. وغاية مدبّر الصحيح أن يحفظ الصحّة، وإذا حفظ الصحّة فقد أفاده كسب الفضائل، وفرّغه لها، وعرّضه لاقتنائها، وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى، ومتبوّئ الدرجة العليا، وقد صار مستحقّا للحياة الإلهيّة، والحياة الإلهية من الخلود والدّيمومة والسّرمدية.

فإن كسب من يبرأ من المرض بطبّ صاحبه الفضائل أيضا، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل، لأنّ إحداهما تقليديّة، والأخرى برهانيّة، وهذه مظنونة، وهذه مستيقنة، وهذه روحانيّة، وهذه جسميّة، وهذه دهريّة، وهذه زمانيّة.

وقال أيضا: إنّما جمعنا بين الفلسفة والشّريعة لأن الفلسفة معترفة بالشريعة، وإن كانت الشريعة جاحدة لها، وإنما جمعنا أيضا بينهما لأنّ الشريعة عامة، والفلسفة خاصّة، والعامّة قوامها بالخاصّة، كما أن الخاصّة تمامها بالعامّة، وهما متطابقتان إحداهما على الأخرى، لأنها كالظّهارة التي لابدّ لها من البطانة، وكالبطانة التي لابدّ لها من الظّهارة.." (١)

"كان بليغا مقبولا رائعا حلوا، تحتضنه الصّدور، وتختلسه الآذان، وتنتهبه المجالس، ويتنافس فيه المنافس بعد المنافس، والتّفاضل الواقع بين البلغاء في النّظم والنّثر، إنما هو في هذا المركّب الذي يسمّى تأليفا ورصفا، وقد يجوز أن تكون صورة العقل في البديهة أوضح، وأن تكون صورة الحسّ في الرّويّة الوح

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٦٧

إلا أنّ ذلك من غرائب آثار النّفس ونوادر أفعال الطّبيعة، والمدار على العمود الذي سلف نعته، ورسا أصله. وسمعت أبا عائذ الكرخيّ صالح بن عليّ يقول: النّثر أصل الكلام، والنّظم فرعه، والأصل أشرف من الفرع، والفرع أنقص من الأصل، لكن لكلّ واحد منهما زائنات وشائنات، فأما زائنات النّثر فهي ظاهرة، لأنّ جميع النّاس في أوّل كلامهم يقصدون النّثر، وإنما يتعرضون للنّظم في الثاني بداعية عارضة، وسبب باعث، وأمر معيّن.

قال: ومن شرفه أيضا أنّ الكتب القديمة والحديثة النازلة من السّماء على ألسنة الرّسل بالتّأييد الإلهيّ مع اختلاف اللّغات كلّها منثورة مبسوطة، متباينة الأوزان، متباعدة الأبنية، مختلفة التصاريف، لا تنقاد للوزن، ولا تدخل في الأعاريض، هذا أمر لا يجوز أن يقابله ما يدحضه، أو يعترض عليه بما يحرضه «١» .

قال: ومن شرفه أيضا أن الوحدة فيه أظهر، وأثرها فيه أشهر، والتكلف منه أبعد، وهو إلى الصّفاء أقرب، ولا توجد الوحدة غالبة على شيء إلا كان ذلك دليلا على حسن ذلك الشيء وبقائه، وبهائه ونقائه.

قال: ومن فضيلة النّثر أيضا كما أنّه إلهي بالوحدة، كذلك هو طبيعيّ بالبدأة، والبدأة في الطّبيعيات وحدة، كما أنّ الوحدة في الإلهيّات بدأة، وهذا كلام خطير.

قال: ألا ترى أنّ الإنسان لا ينطق في أوّل حاله من لدن طفوليّته إلى زمان مديد إلا بالمنثور المتبدّد، والميسور المتردّد، ولا يلهم إلا ذاك، ولا يناغى إلا بذاك، وليس كذلك المنظوم، لأنه صناعيّ، ألا ترى أنّه داخل في حصار العروض وأسر الوزن وقيد التأليف، مع توقّي الكسر، واحتمال أصناف الزّحاف، لأنّه لما هبطت درجته عن تلك الرّبوة العالية، دخلته الآفة من كلّ ناحية.

قال: فإن قيل: إن النّظم قد سبق العروض بالذّوق، والذّوق طباعي، قيل في الجواب: الذّوق وإن كان طباعيّا فإنه مخدوم الفكر، والفكر مفتاح الصّنائع البشريّة، كما أنّ الإلهام مستخدم للفكر، والإلهام مفتاح الأمور الإلهيّة.

قال: ومن شرف النّثر أيضا أنّه مبرّأ من التكلّف، منزّه عن الضّرورة، غنيّ عن الاعتذار والافتقار، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرير، وما هو أكثر من هذا مما." (١)

"وأقول: ما أحوجنا جميعاً إلى أن نهب أنفسنا لكسب هذا المجد، وتشييد هذا البناء، واقتناء هذا الذخر؟ فوالله الذي لا إله إلا هو لو تزينا بهذه المقابسة وحدها من هذا الشيخ كانت زينة لنا إلى آخر الأبد، فكيف ولها أخوات تعضدها، وأمهات تشهد بصحتها؟

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٥٠

المقابسة الثالثة والسبعون

في بيانه الدهر وحقيقة وحده

أملى علينا أبو سليمان فقال: الدهر هو إشارة إلى امتداد وجود ذات من الذوات، وهو ينقسم قسمين: أحدهما مطلق، والآخر بسيط، من قبل أن الذوات إما أن تكون موجودة وجود إطلاق، أو بالحقيقة من غير أن تقترن بمبدأ نهاية، وإما أن تكون متناهية، إذا فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء، فهو الدهر المطلق، وإذا فهم منه امتداد وجود ذات ذي نهاية فيكون الدهر الذي بالإضافة والشرط. مثال ذلك: أنا نقول إن فلاناً دهره يفعل كذا، أو كنت أفعل الدهر كذا. توأما المثال على الأول بالإطلاق فهو الذي يرج ع منه إلى الذات التي هي أقدم الذوات وأتمها وأمدها إلى غير غاية ومن غير بدء. والزمان هو عدد حركة الفلك المشرقي **بالتقديم والتأخير قال**: ومن الناس من قال إنه مدة تعدها الحركة. وهذا الحد توهم أن الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر، وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده إنما هو في عدد الحركة معدودة ليس هو الدهر، وإنما هو الحركة. فالأشياء الحادثة على ضربين: منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق في وجوده بالذات الأولى، وتلك لا يلزمها التناهي وغر التناهي، والقبل والبعد الذي من قبل." (١)

"سواء السبيل. قال الراجز:

إني إذا حار الجبان الهدره ... ركبت من قصد الطريقٍ منجره

وقوله: " وكويته فوق النواظر " يشبهه قول الآخر:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما

أي كويته من عل فوق ناظره، أي وسمته بسمةٍ من الذل اشتهر بها، ولم يمكنه إخفاؤها. ويقال لمن يتوعد بالإذلال والتشويه: لأسمنك وسماً لا يفارقك. ولذلك قال جرير:

لما وضعت على الفرزدق مبسمي ... وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

وكما يجعلون هذه السمة في الجبين يجعلونها في الأنف، ولذلك قال الأعشى:

أنف من أنت واسم

وفي القرآن: " سنسمه على الخرطوم ". فإن قيل: لم أتى بقوله من عل، وقد قال فوق النواظر ويعلم منه أنه

---

(١) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/٢٧٨

أعلى؟ قيل: إن التقدير كويته من عل فوق النواظر، أي من أعلاه فوق ناظره، وفيه التقديم والتأخير، ولو سكت على من عل لكان يجوظ أن يكون فوق النواظر ودون النواظر، لكنه بين أن قصده إلى الجبين بميسمه. والمعنى شهرته بإذلالي، ووسمته بكي حيث يظهر للناظرين ولا يخفى. وانتصاب " فوق " يجوز أن يكون على التبدل من الضمير في كويته، لأن " فوق " من الظروف المتمكنة. ويجوز أن تجعله ظرفاً تريد كويته في هذا المكان مما علا منه. وإنما لم يبن من عل لأنه جعله نكرة، كما تقول أتيته قبلاً أي أولا، وأنت لا تقصد إلى أنه مضاف إلى معرفةٍ مخصوصةٍ، فاعلمه. ومنه:

كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل." (١)

"يقول: تركت الخيل في تجوالها منهم رئيساً مصروعاً، قد سال الدم على خذيه فكأنهما خضبا بالعندم، وهو دم الأخوين. والمقول بلغة أهل اليمن: القيل، والمقاول والمقاولة جمعه، وهم الأقوال والإقبال. وقيلٌ مخففٌ من قيلٍ، فهو من الواو أيضاً، ومعناه هو الذي ينفذ قوله، ويعتمد أمره ونهيه. ووصف به الملك كما وصف بالهمام، لما كان إذا هم بالشيء فعل، لا يرد ولا يدفع. وقيل للسلان مقولٌ لما كان آلةً في القول.

أمر على أفواه من ذاق طعمها ... مطاعمنا يمججن صاباً وعلقما

يقول: صارت مطاعمنا مرة على أفواه من ذاقها، حتى إنها تمج بعد ذواقها صاباً وعلقماً، والصاب: شجرةٌ لها لبنٌ إذا أصاب العين حلبها. والعلقم: شجرٌ مرٌ، وقيل هو الحنظل. حكى أن العلقمة المرارة. ويقال علقم الحنظل. إذا أدرك مرارته. وقوله: " يمججن " حالٌ للأفواه، والتقدير أمر مطاعمنا على أفواه الذائقين طعمها، ماجةً صاباً وعلقماً، أي إذا ذاقت رمت بما هو كهذين. والمعنى: إذا خبرنا حصل منا على ما هو كذلك. وجاز في طعمها الإضمار قبل الذكر؛ لأن الكلام يحتمل نية التقديم والتأخير، لما كان رتبة الفاعل وهو مطاعمنا التقديم، ورتبة المفعول وما يجري مدراه التأخير، وهو على أفواه من ذاق طعمها. وفي طريقة هذا البيت قول الآخر:

فإن نغمز مفاصلنا تجدنا ... غلاظاً في أنامل من يصول

والطعم: الذوق، والمطاعم: جمع المطعم. ويقال هو حسن المطعم، أي طيب الطعام.

؟ وقال في ذلك أيضاً:

وإني وإن لم أفد حياً سواهم ... فداءٌ لتيمٍ يوم كلبٍ وحميرا

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥١

يقول: أنا وإن كنت أربأ بقدري، وأرفع نفسي أن أجعلها فداءً الغيري، أفدي تيماً بها؛ لما كان منهم من حسن البلاء يوم اجتماع كلبٍ وحمير للقتال. وجواب الشرط، وهو قوله " إن لم أفد " قد اشتمل عليه الكلام، لأن المعنى: إن لم أفد غيرهم ترفعاً، فإني أفديهم تشكراً.." (١)

"قوله " المخاض " هي النوق الجوامل، وهو اسمٌ صيغ للجماعة منها، ولا واحد لها من لفظها، وإنما خصها لأن التنافس فيها أكثر، وأربابها بها أشح. والشاعر ترك قصةً إلى قصةٍ، فكأنه قال: لا يهمه طلب الوحش، ولكن يهمه قصد أرباب الإبل في أموالهم، فهو يؤذيهم ويفزعهم، ويضنيهم إذا تتبعوا أثره. وقد أغار عليهم واستاق إبلهم منفرداً عن أصحابه، أو محتفلاً بهم معاناً بتشييعهم. وهذا بيان ما قدمه في قوله " أطال نزال القوم حتى تسعسعا ". وانتصب واحداً على الحال، والعامل فيه اقتفروه، أي منفرداً. ويقال اقتفرت للوحش إذا تتبعت أثره. ومعنى يشفهم، يهزلهم ويكد عيشهم. ومشيعاً: معه شيعةٌ. يريد أنه لا يبالي كيف سقط عليهم وأنه يشفهم على كل حالٍ. وقوله " وإني وإن عمرت " بيان قوله " ومن يغر بالأعداء "، لأنه فسر كل بيت من الأبيات الثلاثة ببيتٍ. فيقول: أنا وإن أطبل عمري، ومد من نفسي بما يلحقني من واقية الله تعالى على ما أجترحه وأختاضه، أتيقن أني سألقى أجلي، وأوافي مصرعي إذا دنا الحين المعلوم، بالحين المحتوم، وتراءى سنان الموت لي بارزاً بارقاً، أي السنان الذي يكون به الموت، فلا أختار النفس إلا ما لا يكسبني عاراً. وفي الكلام مع هذا الذي ذكرناه التسلي التام، والرضا بالمقدور. وجواب الشرط في قوله أعلم أنني، وهو على إرادة الفاء، ويجوز على نية التقديم والتأخير.

وقال بعض بني فقعسٍ

دعوت بني قيسٍ إلي فشمرت ... خناذيذ من سعدٍ طوال السواعد

يقول: استغثت بهؤلاء القوم وندبتهم إلى نصرتي والدفاع دوني، فخفت لي رجالٌ كأنهم فحولٌ ممتدة القامات، مبسوطة الأيدي بالضرب والطعن. ويجوز أن يريد بالطول الاقتدار والغلبة، كما يقال في السلاطة: هو طويل اللسان والخناذيذ: الكرام من الخيل، فاستعارها للكرام من الرجال كما يستعار القروم المصاعب لهم. ومن زعم أن الخناذيذ: الخصيان أو الفحولة، فقوله بعيدٌ عن الصواب؛ يشهد لما ذكرناه من أنه الكرام

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٢٤٥

قول الشاعر:

وخناذيذ خصيةً وفحولا." (١)

"حصوله له غداة كل يوم. وقوله مربعاً يجوز أن يكون ظرفاً، ويكون أن يكون مفعولا، ويكون المربع والربيع المطر نفسه. قال الخليل: وقد يسمى الوسمى ربيعاً. ويكون المعنى: سقتك مطراً الغوادي بعد مطر. ويجوز أن يكون مصدراً من قولهم ربعت الأرض، إذا أصابها الربيع، فكأنه قال: ربعتك الغوادي مربعاً بعد مربعٍ، أي سقتك الغوادي سقياً بعد سقى.

وقوله:

فيا قبر معنٍ أنت أول حفرة

يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مثل قول الآخر:

كأن لم يمت حيٌ سواك ولم تقم ... على أحدٍ إلا عليك النوائح

ويكون الكلام تفظيعاً للحال، وتنبيهاً على أن ما وقع لم تجر العادة بمثله، فهو مستبدعٌ لعظم موقعه في النفوس، حتى كأنه لم ير قبرٌ قبله دفن فيه كريم. والآخر أن يكون المعنى: أنت أول حفيرة استحدثت لتواري فيها السماحة والسخاء والمروءة، فتصير مضجعاً لها، ويكون المعنى أن السماحة ماتت بموت معنٍ ودفنت بدفنه، وأنت أول خطةٍ اختطت للسماحة نفسها. وقوله مضجعاً انتصب على الحال.

ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميتٌ ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

كرر مناداة القبر توجعاً وتحسراً، ثم أخذ يتعدب ويقول منكراَ: كيف سترت جوده، وقد كان ملئاً للبر والبحر معاً. وفي طريقته قول الآخر:

عجباً لأربع أذرعٍ في خمسةٍ ... في جوفها جبلٌ أشم كبير

فإن قيل: لم قال مترعاً فوحد والإخبار عن البر والبحر جميعاً؟ قلت: يجوز أن يكون إنما وحد لأنه نوى التقديم والتأخير، كأنه قال: وقد كان منه البر مترعاً والبحر، أي والبحر أيضاً مترع، فيرتفع البحر بالابتداء، واكتفى بالإخبار عن الأول إذ." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٥٤

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٦٠

"وقال زويفر بن الحارث بن ضرار

ألم تر أني يوم فارقت مؤثراً ... أناني صريح الموت لو أنه قتل

يروى (صريخ الموت) بالخاء المعجمة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) والنبي عليه السلام لم ير ذلك. فيقول: أعلم أني يوم فارقت هذا الرجل ورد على مايجري مجرى الموت الصريح الخالص لو أنه قتلني وأنى علي، ولكن القدر ثبت قدمي في الأحياء، فلم يخلني للموت. ومن روى (صريخ) بالخاء و (قبل) بالباء فالمراد: أتاني داعي الموت. والصريخ يكون المستغيث والمغيث جميعاً، والمراد أتاني داعي الموت لو أنه قبلني لكنت لا امتنع من إجابته لما استدعى، وإغاثته لما استغاث، لكنه لما بقاني ولم يأخذني فكأنه لم يقبلني.

وكانت علينا عرسه مثل بومه ... غداة غدت منا يقاد بها الجمل

تقدير البيت إذا أزيل ما فيه من هجنة التقديم والتأخير: وكانت علينا عرسه غداة غدت منا يقاد بها الجمل مثل يومه. والمعنى: كانت مفارقة عرسه ىنا غداة انتقالها عنا، وقد حملت الجمال وقيد بها ظعينتها مثل يوم فقده، أي كان ذلك اليوم مثل ذلك اليوم. كأنهم كانوا ألفوا من مقامها أيام عادتها أنسابها، وببقاء دارها على ماكانت تعهد من قبل، فلما رأت من التنقل مارأت، وخلت الديار منها ومن أسبابها وتغيرت، عادت المصيبة على أحيائها جذعاً، والشر مستفحلاً.

وكان عميدنا وبيضة بيتنا ... فكل الذي لاقيت من بعده جلل

أي كان رئيسنا والمصمود بالحاجات فينا، وأصل بيتنا وأساس فخر، وقد تقدم القول في بيضة البلد، وأنه يستعمل في المدح والذم. فاما بيضة الخدر وبيضة البيت فلا يستعملان إلا في المدح. وقد صيغ من البيضة هذا فعل، حكى ابن الأعرابي قال: يقال اجتاحوهم وابتاضوهم، إذا استأصلوهم. وقوله فكل الذي لاقيت من بعده جلل أي صغير هين في جنب مالاقيناه فيه. والجلل يستعمل في الصغير والكبير. وقال بعضهم: المراد ببيضة البلد أنه المعروف الموضع، المرجوع." (١)

"يقول: لما عجز عن المقاتلة كانت تحمله العصا في الدير؛ لأنه قد ضعف ومرض خوفاً، وأظهر التوبة، وكان قبل ذلك لا يرضي أن يحمله الفرس الأشقر الأجرد، لأنه على ما يقال: يكون أصبر على السير.

وما تاب حتّى غادر الكرّ وجهه ... جريحاً وخلّى جفنه النّقع أرمدا

يقول: لم يتب اختياراً وزهداً في الدنيا، ولكن لما تركت وجهه جريحاً، وأسرت ابنه، وجعل الغبار عينه أرمد،

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧١٥

خاف على نفسه فترهب.

فإن كان ينجي من عليٍّ ترهّبٌ ... ترهّبت الأملاك مثنى وموحدا

يقول: إن كان كل من يترهب ينجو من سيف الدولة، فإن جميع الملوك يترهبون اثنين اثنين، وواحداً واحداً ومثنى وموحد نصب على الحال.

وكلّ امرئٍ في الشّرق والغرب بعدها ... يعدّ له ثوباً من الشّعر أسودا

وكل امرئ بعدها: أي بعد حالة الدمستق. وقيل: بعد الوقعة والهاء في له لامرئ، أي يعد لنفسه.

يقول: إن كان ينجيه ترهبه، فكل أحد بعد هذا – في الشرق والغرب – يجعل لنفسه مسحاً أسوداً ليلبسه. يعني لا ينفعه ذلك.

هنيئاً لك العيد الّذي أنت عيده ... وعيدٌ لمن سمّى وضحّى وعيّدا

هنيئاً: نصب على الحال، والعيد: رفع بفعل مضمر يدل عليه هنيئاً: أي ثبت العيد لك هنيئاً.

يقول: هنأك هذا العيد الذي أنت عيد له، لأنه يتجمل بك ويسر بكونك فيه، كما يتجمل الناس في العيد، وأنت أيضاً عيد لكل مسلم يرى هذا اليوم عيداً، فيضحي ويذكر اسم الله تعالى في أيامه.

وقيل: أراد هذا العيد عيد لكل من سمى وضحى، وجعله عيداً: أي عيد لكل مسلم.

ولا زالت الأعياد لبسك بعده ... تسلّم مخروقاً وتعطي مجدّدا

يقول: لا زلت بعده تلقى أعياداً كثيرة وتلبسها، فإذا أبليت عيداً ملبوساً، لبست عيداً جديداً.

فذا اليوم في الأيّام مثلك في الورى ... كما كنت فيهم واحداً كان أوحدا

يقول: هذا اليوم في الأيام بمنزلتك من الأنام، فهو سيد الأيام وأوحدها، كما أنك أوحد الناس وسيدهم.

هو الجدّ حتّى تفضل العين أختها ... وحتّى يكون اليوم لليوم سيّدا

يقول: البخت يسعد كل شيء، حتى الأيام، فيصير اليوم سيدا لليوم، والعين قيل: أراد بها العين الحقيقية. يعني: أن البخت ربما يجعل إحدى العينين أفضل من الأخرى؛ لما يلحق الأخرى من الآفة والنقص فتصير دونها. وقيل: أراد بالعين قول القائل هذا عين الشيء.

أي قد يكون عينان من ثوبين أو درتين وغيرهما – وإن كانا من جنس واحد – تفضل إحداهما على الأخرى؛ لما لها من الحظ، فتكون أوقع في النفس وأعظم للحظ.

فواعجباً من دائلٍ أنت سيفه ... أما يتوقّى شفرتي ما تقلّدا

الدائل: صاحب الدولة.

يقول: ما أعجب أمر الخليفة؟! حيث جعلك سيفه، كيف لا يخافك فأنت أقوى منه سلطانا؟!

ومن يجعل الضّرغام للصّيد بازه ... تصيّده الضّرغام فيما تصيّدا

يقول أنت كالأسد، فإذا جعلك الخليفة بازه، كان قد وضع الشيء في غير موضعه! لأن الأسد لا يصيد لأحد، وإنما يصيد لنفسه، فمن جعله بازه كان آخر أمره أن يعطف عليه يوماً فيجعله من جملة صيده، فكذلك الخليفة، ربما عطفت عليه فأقمته عن ملكه وقعدت مكانه، فيصير صيداً لك.

ومن شرط ويجعل مجزوم به وكان يجب جزم قوله: تصيده لكن حمله على التقديم والتأخير: أي تصيد الضرغام فيما تصيد، من يجعل الضرغام للصيد بازه كقول الشاعر:

إنّك إن تصرع أخاك تصرع

أي إنك تصرع إن تصرع أخاك. وقال أبو الفتح بن جني: قلت له: لم جعلت من في قولك ومن يجعل شرطاً صريحاً؟ وهلا جعلته بمنزلة الذي، وضمنت الصلة معنى الشرط حتى لا تركب الضرورة، نحو قوله تعالى: " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ باللَّيْلَ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيةً فَلهُمْ أجْرُهُم ". فقال: هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وإنما جئت بلفظ الشرط صريحاً؛ لأنه أوكد وأبلغ، قال: وأردت الفاء في قوله تصيده وحذفتها وهذا جائز.

رأيتك محض الحلم في محض قدرةٍ ... ولو شئت كان الحلم منك المهنّدا

يجوز أن يكون متصلاً بما قاله: أي أنك مع قدرتك الظاهرة تعامل الخليفة بالحلم. ولو شئت جعلت مكان الحلم السيف، ويجوز ألا يكون متصلاً به. أي حلمك عن الجهال عن قدرة، ولو شئت جعلت مكانه سيفاً.." (١)

"وأحسبك عدلت عن ذوات الأجنحة وهي ألطف أجراماً وأحسن أصواتاً وأذكى قلوباً وأبعد في بلاد الله سفراً، لترد الحكومة إلى ذوات الحافر، وتخص البناية فيها بعض أعمامك الذين هم كما شاء الله. ومن يؤمن حكماً يحكم عليك أن تدعي عليه التخرص والجنف؟ وقد بان فيك بعض الفهم، وجائز أن يوفق لك من يجوز تمويهك عليه، فإن زماننا مذ كان، للكذب فيه سوق ليست للصدق، والباطل عنده مسالك زويت عن الحق. وإنما ادعيت أنك تحمل إلى السيد " عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء " - أعز الله نصره - بيتين أو ثلاثة، فلو أنك تنظمتهما بدر ما وقعا من إرادتك بقر. والشاعر قد ينظم الكلمة بعد الكلمة فيطيل فيها ويجيد، ثم لا يظفر من الملك بطائل.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣١٠

ومن يحمل قريضك، على سوء ظنك وسراسة خلقك؟ لو تحمله عنك متحمل لما أمن مع رديء شيمك أن تتهمه بخيانتك وحسدك وأن تطالبه بالجائزة وهو لم يعطها، وتدعى في كلامك الفضيلة ولم ترزقها. وكأني بك لو نظمت بيتاً أو بيتين لجعلت الروى حاء أو هاء لأنهما من شكل صوتك. ولو أنشدتني ما قلت لوقفتك من عيوبه والغلط فيه، على ما يوجب تسليمها إلي.

ويقدر الله سبحانه على أن ينطق الشاحج فيقول: إن أسأت الظن بك، فمن بعد إخلاف مخيلتك، لأني بدأت برجائك ومسألتك، فلقيتني بحذ الأمل وإخلاف الرجاء. ومن استكثر قليل الأشياء فلا طمع في جزيلها من قبله. ولو تحمل ما أقول متحمل لجزاه الله على ذلك بأجر وجزيته بالثناء والشكر. ولست ممن يطلب جائزة على قول الحق، وإنما الغرض أن يخف الأوق ويزول بعض الأثقال.

وأما قولك: لو أنشدتني لفعلت - ووصفت صنيعك - فلست بأهل للإنشاد. لأنك مثل ما جاء في الكتاب الأعز: " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ".

ولو كنت مريت ما عنيد باللطف واستخرجت سرائري بحسن الوعد، لأنشدتك إنشاد الفحول وغنيتك غناء الحكماء بأي الألحان الثمانية شئت، أو نصبت لك نصب العرب على مذهب " أبي أسامة الهمذاني " وهو أول من غني النصب بالعراق.

وأما إنكارك أني جعلت الفاختة راجزة وأخرجت الرجز عما وضع له، فقد وجدنا المتحققين بهذا الشأن في قديم الزمان والحديث، أخرجوا الجز عما ذكرت من الحداء ومراس الأعمال، إلى أصناف المدح وطبقات النسيب، وصرفوه مختارين في أنحاء كثيرة، وافتنوا في ذلك مثل ما فاتنوا في القصيد.

وأما زعمك أني أريد أن أجر الحكومة إلى بعض الأعمام، فليس الأمر كما ظننت؛ على أنهم أجدر بالخير وأولى بالحلم وأبعد من العبية.

وقد مضت الدهور السالفة وأنا لا أعرفك، ولعل ما غبر من العمر ينقرض ولم ألقك:

كِلانا غنِيٌّ عن أَخيه حياتَه ... ونحن إِذا مُتْنَا أَشدُّ تَغانِيَا

وكيف آمنك على الإنشاد وأنت لم تثبت نفسك على ادعاء المعرفة، فكيف ثباتها على إظهار الفضيلة؟ فلعن الله سراً عند المعيدي، وأمراً يشهده دون الملإ جار السوء. وكيف آمن أن تدعى على الخطأ أو الكسر والإحالة في المعنى، ولا تسمح لي بالضرورات التي اصطلح عليها أهل النظام؟ كحذف التنوين والتقديم والتأخير وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر والقلب الذي هو متعارف في المعتل كما قال " الهمداني ":

وكأَن أَعظُمَها كِعابُ مُعافرٍ ... ضُرِبَت على شُزُنٍ فهن شَواعِ

أي شوائع، كما قال " خفاف ":

فإِمَّا تَرَيْني غيَّر الدهرُ لِمَّتِي ... ولاحت لَوَاحِي الشيبِ في كلِّ مَفْرِقِ

إنما هو: لوائح، في قول " أبي عبيدة ".

أو عيبني إذا قصرت الممدود الذي قصرته الفصحاء، وتحظر على أن أغير الاسم الموضوع عن حاله، وذلك كله مطلق " للشعراء " كما علمت؟ ولعلي لو أنشدتك لزعمت أني قد كسرت، ولم تتغاض عن خلل إن كان مثل ما تغاضى " عنه " من تقدم ل: " عبيد بن الأبرص " في قصيدته، فرويت في جملة المنظوم إلى اليوم؟ وكما ترك " الأعشى " وما صنع في قوله:

أَلم تروا إِرماً وعاداً ... أَوْدضى بها الليلُ والنهارُ

وقد حملت الرواة كلمة " الطرماح " وهي وزنان مختلفان، أعني قوله:

طال في رسمِ مَهدَدٍ أَبَدُهْ ... وعَقبى واستوى به بلده

ومَحَاه هَطَّالُ أَسْمِيَةٍ ... كلَّ يومٍ وليلةٍ تردُه

لم يَبْقَ مِن مَرْسِ كفِّ صاحبِه ... أَخلاقُ سِرْبالِهِ ولا جُرُدُه." (١)

"أراد نهنهته عنك بالسيف، أو أراد فلم ينهه إلا جلدات وجاع بالسيف، وكلاهما فيه تقديم وتأخير.

ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم، ولا يقضى له بالعلم، إلا أن يكون في شعره التقديم والتأخير، وأنا أستثقل ذلك من جهة ما قدمت، وأكثر ما تجده في أشعار النحويين.

ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان، نحو قول ابن بشر:

لم يضرها والحمد لله شيء ... وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فإن القسيم الآخر من هذا البيت ثقيل؛ لقرب الحاء من العين، وقرب الزاي من السين.

وقال آخر:

وقبر حرب في مكان قفرٍ ... وليس قرب قبر حرب قبر

فتكررت الألفاظ، وترددت الحروف، حتى صار ألقية يختبر به الناس، ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسشانه فيه وغلط.

وقال كعب بن زهير:

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٢٧

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

فجمع بين الضاد والذال والظاء، وهي متقاربة متشاكلة.

ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مثبج، والتثبيج: جنس من المعاظلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى. ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما نعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة، مثل الحكايات وما شاكلها، فإن بناء." (١)

"قوله تعالى: أكاد أخفيها فكأن الشاعر قال: إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً أو قال: إن تكتموا الداء نكتمه، وكذلك قوله لا نقعد كأنه قال: إن تبعثوا الحرب نبعثها، ومن كلام السيد أبي الحسن:

وأعلم أن المجد شيء مخلد ... وأن الفتي والمال غير مخلد

والبيت من قصيدة شريفة أولها:

صحا القلب عن سعدي وعن أم مسعد ... ولم يشجني نوح الحمام المغرد

باب المقابلة

المقابلة: مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم، هذا حد ما اتضح عندي

المقابلة: بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجئ المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة مثال ما أنشده قدامة لبعض الشعراء، وهو:

فيا عجباً كيف اتفقنا؛ فناصح ... وفي، ومطوي على الغل غادر؟

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر، وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة، لكن قدامة لم يبال **بالتقديم والتأخير في** هذا الباب، وأنشد للطرماح:

أسرناهم وأنعمنا عليهم ... وأسقينا دماءهم الترىا." (٢)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢٦١/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٥/٢

"فاستثناؤه " السوء " تتميم واحتراس جيد.

وقال أبو الطيب بن الوشاء:

لئن كان باقي عيشنا مثل ما مضى ... فللموت إن لم ندخل النار أروح

وقال سراقة البارقي يهجو رهط جرير:

صغار مقاريهم عظام جعورهم ... بطاء عن الداعي، إذا لم يكن أكلا

كأنه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلا.

وقال مريع بن وعوعة الكلابي وقد قتل رجلاً نهشلياً:

وقلت لأصحابي: النجاء؛ فإنما ... مع الصبح إن لم تسبقوا جمع نهشل

ويجري على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدي حين قدم للقتل:

ولست وإن كانت إلي حبيبة ... بباكٍ على الدنيا إذا ما تولت

فاستثنى وإن كانت إلي حبيبة استثناء مليحاً، ونوى التقديم والتأخير؛ فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد، ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفا نين جري غير كز ولا واني

فقوله قبل سؤاله تتميم حسن لقوله " أفانين حرى " وقول أعشى باهلة: وكل أمر سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها.." (١)

"فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت غير موقعها، وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها.

وكان أبو تمام يأتي بالوحشي الخشن كثيراً ويتكلف.

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته، نحو قوله: كل آخائه كرام بني الدنيا ولكنه كريم كرام وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر؛ لأن قوله كل إخوانه يقوم مقامه بلا بغاضة.

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شبابة:

هبني ظلمت وما ظلمت بل ظلم ... ت أقر كي يزداد طولك طولا

إن كان جرمي قد أحاط بحرمتي ... فأحط بجرمي عفوك المأمولا

فتبارك الله كأنهما لم يخرجا من ينبوع واحد.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٥٢/٢

قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه: إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة؛ فإن ذلك هو العي الأكبر، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل.

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة:

لم يتبع شنع اللغات، ولا مشى ... رسف المقيد في طريق المنطق

ينشق في ظلم المعاني إن دجت ... منه تباشير الكلام المفلق

وقال علي بن بسام:

ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ... ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

قال علي بن عيسى الرماني: أسباب الإشكال ثلاثة: التغيير عن الأغلب **كالتقديم والتأخير وما** أشبهه، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك، وكل." (١)

"وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب، وإنما تدخل فيما ليس بواجب، نحو الأمر والنهي والاستفهام. قال القطامي:

وهم الرجال، وكل ذلك منهم ... يحزن في رحب وفي متضيق

وأنشدوا لآخر، وهو جذيمة الأبرش:

ربما أوفيت في علم ... ترفعن ثوبي شمالات

وله إدخال الفاء في جواب الواجب، والنصب بها على إضمار أن. قال طرفة:

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ... ويأوي إليها المستجير فيعصما

فنصب بالفاء على الجواب.

وقال آخر:

سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا

وقطع ألف الوصل لأنه زيادة حركة، والجزم بحرف وحرفين، وأكثر من ذلك، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب.

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر:

تنفى يداها الحصى في كل هاجرة ... نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

فزاد ياء في الدراهم وياء في الصياريف إن لم تكن الرواية تختلف، على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٦٦

الياء؛ إذ كان الوزن يقوم دونها، وإن قيل في بعض اللغات درهام.

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد القصور، وقد ألزم ابن ولادٍ البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة ويجوز التقديم والتأخير، كما قال العجير السلولي:

وما ذاك إن كان ابن عمي ولا أخي ... ولكن متى ما أملك الضر أنفع." (١)

"والألوان حسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه ومثاله في الحروف ع ذ ب فإن السامع يجد لقولهم العذيب اسم موضع وعذيبة اسم امرأة وعذب وعذاب وعذب وعذبات مالا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التأليف وليس سبب ذلك بعد الحروف في المخارج فقط ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ولو قدمت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى في تقديم العين على الذال لضرب من التأليف في النغم يفسده **التقديم والتأخير وليس** يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصناً أوفنناً أحسن من تسميته عسلوجاً. وأن أغصان البان أحسن من عساليج الشوحط١ في السمع ويقال لمن عساه ينازعنا في ذلك لو حضرك مغنيان وثوبان منقوشان مختلفان في المزاج هل كان يجوز عليك الطرب على صوت أحد المغنيين دون صاحبه وتفضيل أحد الثوبين في حسن المزاج على الآخر! فإن قال لا يصح أن يقع لي ذلك خرج عن جملة العقلاء وأخبر عن نفسه بخلاف ما يجد وأن اعترف بما ذكرناه قيل له فخبرنا ما السبب الذي أوجب عليه ذلك فإنه لا يجد أمراً يشير إليه إلا ما قلناه في تفضيل إحدى اللفظتين على الأخرى وقد يكون هذا التأليف المختار في اللفظة على جهة الاشتقاق فيحسن أيضاً كل ذلك لما قدمته من وقوعه على صفة يسبق العلم بقبحها أو حسنها من غير المعرفة بعلتها أو بسببها ومثال ذلك مما يختار: قول أبي القاسم الحسين بن علي المغربي في بعض رسائله ورعوا هشيما تأنفت روضه فإن تأنفت كلمة لإخفاء بحسنها لوقوعها الموقع الذي ذكرته وكذلك قول أبي الطيب المتنبي:

إذا سارت الأحداج فوق نباته ... تفاوح مسك الغانيات ورنده

---

١ الشوحط نوع من الشجر يصنع منه القسي.." (٢)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٧٦

(٢) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/٦٥

"فإن قيل: كيف تحمدون التصغير في الكلمة على ما قدمتموه فإذا انضاف إليه تصغير آخر قبح.
وكل واحد منهما حسن في نفسه قلنا: إن التصغير المحمود معنى واحد وغير مختلف ولا متباين فنحن نكره تكراره كما نذم تكرار الكلمة الواحدة بعينها وإن كانت مرضية غير ذميمة والعلة في الجميع واحدة.
فهذا ما يتعلق بالأقسام المذكورة في الكلمة بانفرادها قد أوضحناه وبيناه. ونعود إلى ما يختص بالتأليف وينفرد له. ونقول:
إن أحد الأصول في حسنه وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فيه وهذه الجملة تحتاج إلى تفصيل نحن نذكره ونشرحه ونبين أمثلته ليقع فهمه والعلم به.
فمن وضع الألفاظ موضعها أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول وما أشبههما ولهذا أمثلة:
منه ا قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك:
وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه
ففي هذا البيت من **التقديم والتأخير ما** قد أحال معناه وأفسد إعرابه لأن مقصوده وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه يعني هشاماً لأن أبا أمه أبو الممدوح.
ومن هذا أيضاً قول عروة بن الورد العبسي:
قلت لقوم في الكنيف تروحوا ... عشية بتنا عند ما وان رزح." (١)
"الشعراء استعمالاً لهذا الفن حتى كأنه يعتمده ويقصده ويعتقد حسنه. ومن ذلك قوله أيضاً:
وترى عطية ضارباً بفنائه ... ربقين بين حظائر الأغنام
متقلداً لأبيه كانت عنده ... أرباق صاحب ثلة وبهام١
يريد: متقلداً أرباق ثلة وبهام كانت لأبيه عنده.
ومن **التقديم والتأخير أيضاً** قول الشاعر:
صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم٢
يريد: وقلما يدوم وصال على طول الصدود.
وكذا قول الآخر:

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/١١١

لما رأت ساتيد ما استعبرت ... لله در اليوم من لامها٣

أي لله در من لامها اليوم.

وعلى هذا قول المتنبي:

جفخت وهم لا لايجخفون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دليل٤

يريد: جفخت وهم لا يجفخون بها.

وكذلك قوله:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

---

١ يهجو الشاعر في هذين البيتين عطية والد جرير الربق حبل فيه عدة عرى والبهام أولاد البقر والمعز الضأن.

٢ هو للمرار بن سعيد الأسدي.

٣ هو لعمرو بن قميئة.

٤ جفخت: فخرت وتكبرت.." (١)

"معنى اضلال الهمام المهجة أن يقتل ولا يدري قاتله أي إنما تطلب مهجته من أطراف سيوفه لانها قواتل الملوك والمنشد موضع الطلب ويروي تنشدها أي أنها تطلب ثأر الملوك ويروى تنشدها والانشاد تعريف الضالة أي أن أطرافهن تعرفها وتقول عندي مهجةٌ فمن صاحبها ويروي فأطرافهن بالنصب وينشدها بالياء يعني الهمام يطلب مهجته في أطرافهن ونصب أطرافهن ينشد مؤخراً كما تقول زيدا ضربته

قد أجمعت هذه الخليقة لي ... أنك يا ابن النبي أوحدها

يقول اجمعت هذه الخليقة موافقةً لي أنك أوحدهم ويجوز أن يكون على **التقديم والتأخير أي** أوحدها لي أي أوحدها إحساناً إليّ وإفضالا عليّ ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون المعنى أجمعت فقالت لي والقول يضمر كثيرا في الكلام والاول أوجه

وأنك بالأمس كنتَ محتلما ... شيخ معدٍّ وأنتَ أمردها

يريد أنك بالتشديد فخفف مع المضمر ضرورةً كما قال آخر، فلو أنك في يوم الرخاء سألتني، فراقك لم

---

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/١١٣

أبخل وأنتِ صديق، وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقول الشاعر، وصدرٍ مشرقِ النحرِ، كأن ثدييه حقانِ، لان الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها ويروى وأنت بالأمس على استئناف الكلام يقول بالأمس كنت في حال احتلامك ومرودتك شيخ معدّ فكيف بك اليوم مع علو السن وهذا في ضمن الكلام وفحوى الخطاب والواو في وأنت أمردها عطف على الحال يقول كنت شيخ معدّ محتلما.

وكم وكم نعمةٍ مجللةٍ ... ربيتها كان منك مولدها

الوجه أنه أراد بكم الخبر عن كثرة ما له من النعم عنده وإن أراد الاستفهام لم يجز في نعمة إلا النصب والمجللة المعظمة ومعنى ربيتها حافزت عليها بأن قرنتها بأمثالها وكان منك ابتداءها أي أنت ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها ولم تكن واحدةً تنسَى على طول العهد.

وكم وكم حاجةٍ سمحت لها ... أقرب منيّ إليّ موعدها

سمحت بها أي بقضائها فحذف المضاف والمعنى قضيتها لي وكذلك قوله موعدها أي موعد قضائها وهذا اخبارٌ عن قصر الوعد وقربه من الإنجاز ولا شيءَ أقربُ إليك منك وإذا قرب موعد الانجاز صارت الحاجةُ مقضيةً عن قريب.

ومكرماتٍ مشت على قدمِ ال ... بر إلي منزلي ترددها

المكرمة ما يكرم به الإنسان من برّ ولطف واراد بها ههنا ثياباً أنفذها إليها لقوله أقر جلدي بها ومعنى على قدم البرّ أن حاملها إليه كان من جملة الهدية والبر ويجوز أن يريد مكرمات على أثر بر سابق ومعنى ترددها أي تعيدها إليّ وتكرّرها عليّ ويروي تردُّدها على المصدر

أقرَّ جلدي بها عليّ فلا ... أقدرُ حتّى المماتِ أمجدُها

اقرار الجلد بظهور ما عليه من الخلع واللباس للناظرين فكأنه باكتسائه بها ناطق مقرّ كما قال الناشيء الأكبر، ولو لم يبح بالشكرِ لفظي لخبرت، يميني بما أوليتني وشماليا،

فعد بها لا عدمتها أبداً ... خيرُ صِلاتِ الكريم أعودها

يقول أعد هذه المكرمات فإن خير ما وصل به الكريم أكثره ع,دا وقيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه

الوفرة فقال:

لا تحسن الوفرةُ حتى ترى ... منشورةَ الضفرين يومَ القتال

الناس يروون الشعرة والصحيح رواية من روى لا تحسن الوفرة هي الشعر التام على الرأس والضفر معناه الشدّ ويسمَى ما يشدّ على الرأس من الذوائب الضفائر ومن سماها الضفر فقد سمى بالمصدر يقول إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ويعني بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو.

على فتًى معتقلٍ صعدةً ... يعلها من كل وافي السبال

يقال اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف إذا حمد كلا منها حمل مثلها والصعدة الرمح القصير ومعنى يعلها يسقيها الدم مرةً بعد أخرى من كل رجل تام السبلة وهي ما استرسل من مقدم اللحية يقول إنما يحسن شعري إذا كنت على هذه الحالة.

وقال في صباه وقد مر برجلين قد قتلا جرذا وابرزاه يعجبان الناس من كبره

لقد أصبح الجرذُ المستغيرُ ... أسير المنايا صريع العطب

المستغير الذي يطلب الغارة على ما في البيوت من المطعوم يقول أسرته المنايا وصرعه العطب والهلاك والجرذ جنس من الفأر.

رماهُ الكنانيُّ والعامريُّ ... وتلاهُ للوجه فعل العربْ." (١)

"حتى يُنبئ عن مساواة ما في إحدى الكفتين ما في الأخرى، فكما لا يُتصور في تلك الصفة زيادةٌ ونقصان، حتى يكون كثيرُها مذموماً وقليلها محموداً، كذلك الحكم في الصِّفة التي تحصل للكلام بإجرائه على حكم النحو ووَزْنِهِ بميزان، فقول أبي بكر الخوارزمي: " والبُغْضُ عِنْدِي كثرةُ الإعراب "كلامٌ لا يُحصَل منه على طائل، لأنّ الإعراب لا يقع فيه قلة وكثرة، إن اعتبرنا الكلام الواحد والجملة الواحدة، وإن اعتبرنا الجُمُل الكثيرةَ وجعلنا إعراب هذه الجملة مضموماً إلى إعراب تلك، فهي الكثرة التي لا بدّ منها، ولا صلاح مع تركها، والخليقُ بالبُغْض مَنْ ذَمَّها وإن كان أراد نحو قول الفرزدق:

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٨

وَمَا مِثْلُه في النّاس إلاَّ مملَّكاً ... أبو أمِّه حيٌّ أبُوه يُقَارِبُهُ

وما كان من الكلام معقَّداً موضوعاً على التأويلات المتكلَّفة، فليس ذلك بكثرةٍ وزيادة في الإعراب، بل هو بأن يكون نَقْصاً له ونقضاً أولى، لأن الإعراب هو أن يُعرب المتكلم عما في نفسهُ ويبيّنه ويوضِّح الغرض ويكشفَ اللَّبْسَ، والواضعُ كلامه على المجازفة في **التقديم والتأخير زائلٌ** عن الإعراب، زائغٌ عن الصواب، متعرّض للتلبيس والتعمية، فكيف يكون ذلك كثرةً في الإعراب؟ إنما هو كثرة عناءٍ على من رام أن يردَّه إلى الإعراب، لا كثرة الإعراب،." (١)

"يكون بكاء الطفل ساعة يولد.

والبيت الثاني:

وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

وبعدهما:

إذا عاين الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يهدد

والبيتان العينيان من قصيدة يعاتب فيها، وبعدهما:

إذا عاين الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يروع

كأني إذا استهللت بين قوابلي ... بدا لي ما ألقي ببابك أجمع

ويروى: استهل كأنه يرى ما سيلقي من أذاها ويسمع. ويروى: وإنها لأرغد مما كان فيه وأوسع. وهكذا صحة إنشاده، نعم وصحة انتقاده، لأن قوله: لأرحب مما كان فيه وأوسع كما أنشده أبو علي لفظتان بمعنى واحد إذا كان موضع قوله: لأرحب لأرغد أفاد معنى آخر لا يتم الرحب والسعة إلا به، والدهناء أضيق من اللحد بعدمه، وأيضا فإن الراوى إنما نقل هذه العينية من الدالية واللفظ واحد، إلا في **التقديم والتأخير من** أجل القافية.

وأنشد أبو علي:

ألا أبلغ بني عصم رسولا ... فإني عن فتاحتكم غنى." (٢)

"لعله قلة الحمى ليس إلا وتنسب لمالك بن الحرث بن الصمصامة، ويرى: ألا إن ورداً وأنشد لابن قنبر ع نسبها بعض المتأخرين له وقد تقدم له عزوها لصالح بن عبد القدوس باختلاف غيرهين، ونسبها أبو

---

(١) أسرار البلاغة الجرجاني، عبد القاهر ص/٧٣

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٩٢٧

الطاهر اسمعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبى لعبد الله بن المبارك، ورأيت بعض من لا أثق به نسبها أبو

الطاهر اسمعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبى لعبد الله بن المبارك، ورأيت بعض من لا أثق به نسبها لعلى

رض وهو تقول عليه. وقال ابن عبد البر النمري أنشدني أبو بكر قاسم بن مروان الوراق لنفسه فأتى بأبيات مرفوعة أغير فيها على هذه الأبيات وفي هذه الروايات فرق في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير والألفاظ وأنشد صالح ع سينشدهما عن غير أحمد بن إسحق. والصواب ودمعي سافح وذكر خبر عصمة وذى المرة وهو خبر معروف رواه الليثي وابن عبد ربه والأصبهاني والسراج وغيرهم والأبيات البائية من كلمة غير البيت٤ وتـتكرر. وتعلل أي بالباطل إذ لم يجد في خلقها مغمزا ومعابا، ويقول القالي تعلل: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى. جادبه عائبه. الشام بقعة تخالف لون سائر الأرض. صيفية كدر يعنى رياح وأنشد لابن أذينة ع مر نسبه وب٢ ثلاث منى يريد ليالي أيام النفر ٣ أجدحان. ٧مركم متراكب. وزقب محركا كاطريق ضيق.

وقوله لو كان حيا الخ أخذه البحتري فقال في المتوكل:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لسعن إليك المنبر

والبلاذرى فقال في المستعين في خبر:

ولو أن برد المصطفى إذ حويته ... يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته فلبسته ... نعم هذه أعطافه ومناكبه

وذكر مقال ابن دلهم ع المعمع المستبد بمالها عن زوجها لا تواسيه منه،." (١)

"في الخيرات ومثله في نهج البلاغة وهي زيادة لابد منها وقد أخل بها القالي. وعندهما وزهرة الحكم ورساخة الحلم وفسر جمل العلم وهو أحسن وأما قوله أحبب حبيبك الخ فلم يروياه بأخر هذا الجواب وإنما هو كلام آخر صار مثلا وروى في نهج البلاغة وجمهرة العسكري والأدب المفرد للبخاري وشعب الإيمان للبيهقي موقوفا عليه. وهو حديث مسند رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة والطبراني عن ابني عمر وعمرو والدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي عن علي مرفوعا. ويقال إن النمر بن تولب العكلي سمعه منه عليه الصلاة والسلام فضمنه شعره:

وأحبب حبيبك حباً رويداً ... فليس يعولك أن تصرما

فتظلم بالود من وصله ... قليل فتسفه أن تندما

وأبغض بغيضك بغضا رويدا ... إذا أنت حاولت أن تحكما

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٥٨/٢

ذكر وفاة الحجاج

ع ويحابي يحبو أي يعطي أو بمعنى يخص كذا قالوا في هذه الأبيات: لسبئرة

نحابي بها أكفاءنا ونهينها ... ونشرب في أثمانها ونقامر

لزهير

أحابي به ميتا بنخل وأبتغي ... إخاءك بالقليل الذي أنا قائل

للمتنبي

وإن الذي حابى جديلة طيىء ... به الله يعطي من يشاء ويمنع

لأشجع

لم يحب هارون بها جعفرا ... لكنه حابى خراسانا

والأبيات الكافية أكثر ماورووا منها الثلاثة الأولى. والأولان يرويان بالتقديم والتأخير في خبر آخر للحجاج حين مات ابنه محمد وأتاه نعى أخيه محمد من اليمن في يوم واحد. وقد تمثل بهما عمر بن عبد العزيز أيضا حين أخبر بموت سهيل بن عبد العزيز أخيه. وقوله أبرت عترة التابعين فتبرتهم الإبارة الإهلاك والتتبير التدمير." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

١ - توطئة:

يقول الميداني في مقدمة كتابه " مجمع الأمثال " عند الحديث عن المصادر التي جمع منها كتابه: " فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد، والأصمعي وأبي زيد، وأبي عمرو وأبي فيد، ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد والمفضل بن سلمة، حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتاباً.... وذكرت في كل مثل من اللغة والإعراب ما يفتح الغلق، ومن القصص والأسباب ما يوضح الغرض ويسيغ الشرق مما جمعه عبيد بن شرية وعطاء بن مصعب والشرقي بن القطامي وغيرهم " (١) .

وإذا نحن تجاوزنا عما في هذا النص من ميل إلى السجع، ومن مستلزمات أخرى أوجبت بعض التقديم

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢/٨٠

والتأخير، وحاولنا أن نعيد ترتيب هذه المصادر بحسب التاريخ الزمني وجدنا أن العناية بالأمثال نشأت في عهد مبكر، وكان من أول القائمين عليها؟ بين من ذكرهم الميداني؟ عبيد بن شرية الذي تحدثت المصادر عن صلته بمعاوية بن أبي سفيان؛ وقد ذكر له ابن النديم كتاباً في الأمثال (٢) وذكر من بين من روى عنهم علاقة بن كرشم (كريم في الفهرست) الكلابي ونسب له أيضاً كتاباً في الأمثال في نحو خمسين ورقة؛ وقد دلت نقول البكري في غير

---

(١) مجمع الأمثال ١: ٤.

(٢) الفهرست: ٩٠.." (١)

"قال ابن فورجة: لم يفسر الشيخ أبو الفتح هذا البيت تفسيرا شافيا، وهذا كلامه قال: جيحان نهر، أي أدناك سيرك من النهر وأبعدك من آمد، وهذا. أيدك الله كلام غير مفيد. إذ كان من سار من موضع إلى موضع آخر فقد أدناه ركضه من مقصده وأبعده من حيث انفصل عنه. ولو سار غلوة أو فرسخا، فما وجه المدح في هذا؟ إذا تأولناه على ما تأوله الشيخ أبو الفتح وما فائدة البيت؟ ووجه تأويله عندي ما أقول، وذلك أن جيحان من آمد على مسافة بعيدة قد علم ذلك بقوله:) سريت إلى جيحان من أرض آمد (وهذه مسافة لا يصل فيها أحد بمسرى ثلاث ليال، ولو أن قائلا قال سريت إلى الكوفة من بغداد. لفهم عنه أنه وصل إلى الكوفة إذ سرى إليها من بغداد، ويجوز أن يفهم عنه أنه سرى إلى الكوفة ولم يصل إليها، ولكن الكلام يدل بعضه على بعض، ولا سيما ومن عادة العرب الاختصار والاقتصار، فنحن نفهم من قول أبي الطيب) سريت إلى جيحان من أرض آمد (أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال، ليصح معنى تعجبه) لقد أدناك ركض وأبعد (وقوله ثلاثا يريد في ثلاث فلما حذف حرف الجر نصب وأعمل فيه سريت.

هَنيئاً لكَ العيدُ الذي عيدُه ... وعيدٌ لمنَ سمي وضَحَّى وَعَيَّدَا

قال أبو العلاء: ينتصب) هنيئا (عند قوم على مذهب قولهم: ثبت لك هنيئا، وقيل بل هو اسم موضع المصدر، كأنه قال: هناك هنيئا، لأنهم ربما وضعوا أسم الفاعل في هذا الموضع، كما قلت بعض نساء العرب وهي ترقص أبنها:

قُمْ قائِماً قُم قائماً ... لَقيتَ عَبداً نائماً

تريد: قياما.

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١

والعيد مأخوذ من عاد يعود، وقالوا فيه معه أعياد، كراهة أن يقولوا أعواد بجمع العود، وقولهم عيد الأضحى يريدون جمع أضحاة، كما يقال أرطاة وأرطى وفيه أربع لغات أضحية وأضحية وضحية وأضحاة، ويقال في جمع ضحية ضحايا، وفي جمع أضحية وإضحية أضاحي، وإنما قيل أضحية لأنها تذبح إذا أضحى النهار.

وقال أبو علي: تكلم على العيد الشيخ أبو الفتح بكلام من باب التصريف، وأعرض عن معنى البيت.

وقوله: أنت عيده يريد تحل له أنت محل العيد في القلوب إذ كان العيد مما يفرح له الناس وكذلك العيد يفرح بوصوله إليك. كما قال في مكان آخر:

جاءَ نَورُوزُنا وأنتَ مُرادُهْ ... وَوَرَتْ بالَذِي أرَادَ زِنادُهْ

وقوله لمن سمى يريد ذكر أسم الله على أضحيته سبحانه) وأنعام لا يذكرون أسم الله عليها (وقوله تعالى:) فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منه (وذكر اسم الله واجب على المسلمين، فيريد أنت عيد لكل مسلم.

فَواعَجَبا مِنْ دَائِلٍ أنتَ سَيفُهُ ... أما يَتَوقَّى شَفرتَيْ ما تَقَلَّدَا

قال ابن جني: الدائل أسم الفاعل من دال يدول، يريد هنا الدولة فتعجب من عظم همة الدولة إذا تقلدته، ومعناه في الحقيقة الخليفة، ويجوز أن يكون أخرج الدائل مخرج التامر واللابن. أي ذو تمر ولبن ودولة.

وَمَنْ يجعَلِ الضِّرغامَ للصَيدِ بَازَه ... يُصَيَرُهُ الضّرغامُ فيما تَصَيَّدَا

قال أبو الفتح: قلت له وقت القراءة: لم جعلت من شرطا صريحا وهلا جعلتها بمنزلة الذي وضمنت الصلة معنى الشرط حتى لا ترتكب الضرورة؟ كقوله تعالى:) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم (. فقال هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء، وإنما جئت بلفظ الشرط صريحا لأنه أبلغ وأكد، وأردت الفاء في) يصيره (وحذفتها، والذي قال له جائز والوجه ما سمته إياه، ومذهب سيبويه في مثل هذا التقديم والتأخير، كأنه قال: يصير الضرغام بازا من يجعله فيما تصيده، واكتفى بهذا القول من جواب الشرط.

وقال أبو العلاء: رواية أهل هذه جزم) يجعل (ورفع) يصيره (وذلك ضعيف جدا، لأنه يحوج إلى أن تضمر الفاء فيجري مجرى قول زهير:

وإن أتاهُ خَليلٌ يومَ مَسألةٍ ... يَقُولُ لا غائِبٌ مالي ولا حَرِمُ

كأنه أراد فيقول أي فأنه يقول، وليست هاهنا ضرورة داعية إلى رفع) يصيره (وجزم) يجعل (لأنه إذا رفع يجعل (وحمل الكلام على المبتدأ والخبر صرفه عن الشرط والجزاء، كفى هذه المئونة ويكون) من (في

معنى الذي. كأنه قال والذي يجعل الضرغام للصيد بازه يصيره فيكون) يصيره (في موضع خبر المبتدأ. وقوله: ." (١)

"قال ابن فورجة: قد أكثر الكلام في هذا البيت، وقوله: تشبيهي بما، وقالوا ليس) ما (من حروف التشبيه، ولم يؤت في الجواب بطائل، فأما ابن جني فقال: الذي كان يجيب به إذا سئل عن هذا أن يقول: تفسيره كأن قائلاً قال ما يشبه؟ فيقول الآخر كأنه الأسد، أو كأنه الأرقم، ونحو ذلك فقال هو معرضا عن هذا القول) أمط عنك تشبيهي بما وكأنه (، فجاء بحرف التشبيه، وهو كأن، وبلفظ) ما (التي كانت سؤالاً، وقد تكلم في هذا البيت القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فقال هذا مما سئل عنه أبو الطيب فذكر أن) ما (تأتي لتحقيق التشبيه، تقول عبد الله الأسد، وما عبد الله إلا الأسد، وإلا كالأسد، كما قال الشاعر:

وَمَا هِنْدُ إلاّ مُهْرَةُ عَرَبِّيةُ ... سَليلَةُ أفْراسٍ تَجَلَّلَهاَ بَغلُ

وقال لبيد:

وَمَا المَرْءُ إلاّ كالشِهابِ وضوئهِ ... يحَوُرُ رَماداً بعد إذْ هو سَاطِعُ

ثم قال: وأقول: إن التشبيه بـما محال، وإنما وقع التشبيه في هذه المواضع التي ذكرها بحروفه، وإذا قال) وما المرء إلاّ كالشهاب (فإنما المفيد للتشبيه الكاف، وإنما) ما (للنفي نفت أن يكون المرء إلا كالشهاب، وإذا قال) وما هند إلا مهرة عربية (فإن) ما (دخلت على ابتداء وخبر، وكان الأصل هند مهرة عربية، وهو في تحقيق المعنى عائد إلى تقريب الشبه، وإن كان اللفظ مبانياً للفظ، ثم نفى أن يكون إلا كذلك، فليس بمنكر أن ينسب التشبيه إلى ما إذا كان له هذا الأثر، وباب الشعراء أوسع من أن يضيق عن مثله، والذي عندي ما أقوله، وهو فائدتي من الشيخ أبي العلاء، سقاه الله وحياه، وليس هو مما استنبطته، وهو أن يكون يعني) ما (التي تصحب كأن إذا قلت: كأنما زيد الأسد، ألا ترى أنها كثرت حتى تكلم النحويون فيها إذا حالت بينها وبين الاسم، وقصروا عليها فصولاً كثيرة من كتب النحو، وقد صارت في نعت قوم لازمة لكأن حتى ما تفارقها وما عندي أن أبا الطيب أراد غيرها والله أعلم بالغيب.

وقال الأحسائي:) ما (تكون نكرة بمعنى شيء، وتكون معرفة بمعنى الذي، فيقول أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء ولا بكأنه شيء.

ومن التي أولها:

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٢٤

أحْيا وأيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا ... والبينُ جارَ على ضَعْفِي ومَا عَدَلا

قال الشيخ أبو العلاء رحمه الله) أحيا (يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون الشاعر أخبر عن نفسه فقال أحيا أي أعيش، وأيسر ما قاسيت ما قتل.

والآخر: أن يكون) أحيا (في معنى أفعل الذي يراد به التفضيل، أي أشد ما يكون في إحياء الإنسان وأيسر ما قاسيت شيء قاتل، وكان الكلام على التقديم والتأخير، كأنه قال: ما قتل أي الشيء الذي يقتل أحيا وأيسر ما ألقاه وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه في قوله أحيا، لأنه أراد أحيا ما لاقيت وإنما يستعمل ذلك في الشعر ولو قلت في الكلام المنثور أكرم وأفضل الناس زيد، تريد أكرم الناس زيد وأفضلهم لقبح ذلك، وفيه شبه من قول الفرزدق:

يا مَنْ رأَى عَارِضاً أرقتُ له ... بينَ ذراعيْ وجَبْهةِ الأسَدِ

أراد بين ذراعي الأسد وجبهته.

قَيْلُ بمَنْبِجَ مَثْواهُ ونَائِلُهُ ... في الأُفْقِ يَسألُ عمنَّ غَيرهُ سألا

قال الشيخ رحمه الله: منبج إن كان اسماً عربياً فهو مأخوذ من قولهم نبج إذا رفع صوته، ويوم النباج يوم من أيام العرب، ويقال إن النباج مواضع مرتفعة والقيل ملك دون الملك الأعظم، وقوله) يسأل عمن غيره سألا (كأنه يسأل عنه ليغنيه أو ليعاتبه إذا لم يسأل هذا الممدوح.

ومن التي أولها:

قِفا تَرَيا وَدْقِي فَهاتا المَخايِلُ ... ولا تَخْشَيا خُلْفاً لما أنا قائِلُ

قال الشيخ رحمه الله) الودق (هاهنا المطر، وقيل هو خروج القطر من الغيم بكثرة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الودق مثل الدخان يخرج مع القطر من الغيم، والمخايل جمع مخيلة وهي السحابة التي يخال فيها المطر، والمعنى قفا تريا ما أفعل فقد رأيتما دلائله.

وآخَرُ قُطْنٌ مِن يَدَيْهِ الجنادلُ قال الشيخ: أي لا أحفل به ولا يقدر لي على مضرة، فكأن الجنادل إذا رماني بها قطن من لينها، فأقول فاسد.

شاَقَتْكَ ظُعْنُ الحَيّ يومَ تَحَملّوُا ... فَتَكَّنسوا قُطْناً تصِرُّ خِيامُها." (١)

"(كل امْرِئ ستئيم مِنْهُ ... الْعرس أَو مِنْهَا يئيم)

(مَا علم ذِي ولد أيثكله ... أم الْوَلَد الْيَتِيم)

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٧١

٣ – (وَالْحَرب صَاحبهَا الصَّلِيب ... على تلاتلها العزوم)

٤ – (من لَا يمل ضراسها ... ولدى الْحَقِيقَة لَا يخيم)

٥ – (وَاعْلَم بِأَن الْحَرْب لَا ... يسطعها المرح السؤم)

٦ – (وَالْخَيْل أَجودهَا المناهب ... عِنْد كبتها الأزوم)

وَقَالَ مُنْقد الْهِلَالِي

---

١ – الأيم الَّذِي تجرد من الْأَهْل والعرس الزَّوْج وَالْمعْنَى أَن الْمَوْت يشْتَمل الذّكر وَالْأُنْثَى فإمَّا أَن يَمُوت الرجل وَتبقى امْرَأَته أَيّمَا أَو تَمُوت امْرَأَته وَيبقى الرجل أَيّمَا مِنْهَا

٢ – الثكل فقدان الحبيب وَالْمعْنَى أَن علم **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير عِنْد** الله فالوالد وَالْولد لَا يعلم أَيهمَا يتَقَدَّم الآخر أَو يتَأَخَّر عَنهُ

٣ – الصَّلِيب الْقوي وتل اتل الْحَرْب شدائدها المقلقة لَا وَاحِد لَهَا والعزوم الْمَاضِي الْعَزْم وَالْمعْنَى أَن صَاحب الْحَرْب الصابر على شدائدها الْمَاضِي فِيهَا إِلَى أَن يبلغ مَا يُرِيد

٤ – من لَا يمل خبر الْمُبْتَدَأ وَهُوَ الصاحب فِي الْبَيْت قبله وضراس الْحَرْب عضها وَلَا يخيم أَي لَا يجبن وَالْمعْنَى صَاحب الْحَرْب الَّذِي هَذِه صِفَاته من لَا يمل عضها وَلَا يضعف لَدَى المدافعة

٥ – المرح النشيط والسؤوم الْكثير الضجر وَالْمعْنَى وتيقن أَن الْحَرْب لَيست من قدرَة الضَّعِيف

٦ – المناهب الْكثير الْعَدو كَأَنَّهُ ينتهب الأَرْض فِي عدوه والكبة الحملة فِي الْحَرْب والأزوم العضوض وَالْمعْنَى أَن أَجود الْخَيل الْكثير الْعَدو عِنْد." (١)

"فأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ (١) بضم الضاد وتشديد الراء ورفعها (٢)، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: تقدير الفاء، والثاني: التقديم والتأخير، كأنه قيل: لا يضرّكم كيدهم شيئا إن تصبروا وتتقوا، وبهذا التقدير ارتفع «تصرع» من قول الراجز (٣):

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنّك إن يصرع أخوك تصرع

وإن شئت رفعته بتقدير الفاء (٤)، والثالث: أن يكون ضمّ الراء إتباعا لضمة الضاد، كقولك: لم يردّكم،

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٤٩

والأصل: يضرركم، فألقيت ضمّة المثل الأول على الساكن قبله، وحرّك الثانى بالضم إتباعا للضمة قبله، فلما حرّك الثانى وقد سكن الأول وجب الإدغام، وتحريك الثانى فى هذا النحو بالفتح هو الوجه (٥)؛ لخفّة الفتحة مع التضعيف، وبه قرأ فى هذا الحرف المفضّل الضبّىّ عن عاصم بن أبى النّجود.

...

= ترى، ولأبيه حسّان، ولكعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنهم أجمعين. راجع ديوان حسّان ص ٥١٦، وديوان كعب ص ٢٨٨،٣١٢، والكتاب ٣/ ٦٤، والمقتضب ٢/ ٧٢، والأصول ٢/ ١٩٥، ٣/ ٤٦٢، وضرورة الشعر ص ١١٥، والتبصرة ص ٤١٠، والجمل المنسوب للخليل ص ٢٠١، والبسيط ص ٨١٧، وشرح الجمل ٢/ ١٩٩،٥٩٢، وضرائر الشعر ص ١٦٠.

(١) سورة آل عمران ١٢٠.

(٢) وهى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى. وقرأ باقى السبعة لا يَضِرْكُمْ بكسر الضاد وسكون الراء. السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥، والكشف لمكى ١/ ٣٥٥. وانظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٣٢، وللأخفش ص ٢١٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٦١، وتفسير القرطبى ٤/ ١٨٤.

(٣) هو جرير بن عبد الله البجلى، وقيل: عمرو بن خثارم العجلى. انظر الكتاب ٣/ ٦٧ والمقتضب ٢/ ٧٢، وضرورة الشعر ص ١١٥، والجمل المنسوب للخليل ص ١٩٨، والتبصرة ص ٤١٣، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٥٥، والمقرب ١/ ٢٧٥، وضرائر الشعر ص ١٦٠، والخزانة ٨/ ٢٠،٩/ ٤٧، وغير ذلك كثير.

(٤) وهو رأى المبرد. راجع المقتضب.

(٥) راجع مراجع تخريج الآية الكريمة. وانظر الجمل ص ٤١٥.." (١)

"رفعه أجود (١)، لأنه لم يتقدّمه ما يقتضى إضمار ناصب، وقال الكوفيون: نصبه أجود، لأنه قد تقدّمه عامل ناصب، وهو «إنّ» فاقتضى ذلك/إضمار «خلقنا» وقوله:

﴿خَلَقْناهُ﴾ مفسّر للضمير (٢).

ووجدت بعض معربى (٣) القرآن مسدّدا ومقويّا لمذهب الكوفيّين، لأن ما ذهبوا إليه يقتضى العموم فى المخلوقات، أنها كلّها لله، من حيث كان التقدير: إنا خلقنا كلّ شيء بقدر، فقوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ متعلّق

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ١/١٢٥

بخلقنا، ولو رفع ﴿كُلَّ﴾ لكان ﴿خَلَقْناهُ﴾ صفة لشيء، وتعلّق قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ بمحذوف، لكونه خبرا للمبتدإ، فالتقدير: كلّ شيء مخلوق لنا بقدر، وهذا يقتضى الخصوص فى المخلوقات، وإذا كان ﴿خَلَقْناهُ﴾ مفسّرا للناصب، الذى هو «خلقنا» لم يجز أن يكون وصفا لشيء، لأن الصّفة لا تكون مفسّرة لما قبل الموصوف، فحكمها فى ذلك حكم الصّلة.

وذكر بعض النحويين وجها آخر فى نصب ﴿كُلَّ﴾، وهو أن يكون منصوبا بخلقناه، على أن تكون الهاء ضمير المصدر، الذى دلّ عليه ﴿خَلَقْناهُ﴾ كما كانت الهاء فى قول الشاعر:

هذا سراقة للقرآن يدرسه ... والمرء عند الرّشا إن يلقها ذيب (٤)

= و «أبو السّمّال» -بفتح السين وتشديد الميم-واسمه قعنب بن أبى قعنب العدوىّ البصرى. قال عنه ابن الجزرىّ: «له اختيار فى القراءة شاذّ عن العامّة». طبقات القراء ٢/ ٢٧.

(١) راجع الكتاب ١/ ١٤٨، والتصريح ١/ ٣٠٣، والموضع السابق من المحتسب.

(٢) يعنى المضمر.

(٣) ممّن نصر مذهب الكوفيين مكّىّ، فى مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٠،٣٤١، وانظر مع المراجع السابقة: البيان ٢/ ٤٠٧، والمغنى ص ٥٩٧، وشرح الأشمونى ٢/ ٨٠.

(٤) الكتاب ٣/ ٦٧، والنكت فى تفسيره ص ٧٣٢، واستشهد به سيبويه على التقديم والتأخير. فأصله عنده «والمرء ذيب إن يلق الرّشا»، وانظر الحجة لأبى على ٢/ ٢٤١،٣٧٥، والأصول ٢/ ١٩٣ ورسالة الغفران ص ١٥٣، والمقرب ١/ ١١٥، والهمع ٢/ ٣٣. والخزانة ٢/ ٣، وفهارسها ١٢/ ١٠١، وشرح أبيات المغنى ٤/ ٣١٥، وشرح شواهده ص ٥٨٧، واللسان (سرق).." (١)

"من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ﴾ (١). فبعدت من الناصب لها، وهو ﴿كَفَرُوا﴾، وكان الواجب على هذا المعرّب (٢) حيث أنكر قول الفرّاء، أن يعتمد على قول غيره، ولا يقتصر على ذكر قول مناف لقياس العربيّة.

قال أبو إسحاق الزّجّاج: كدأب آل فرعون: أى كشأن آل فرعون. كذا قال أهل اللغة. ويقال: دأبت أدأب دأبا ودأبا ودءوبا: إذا اجتهدت، وموضع الكاف رفع؛ لأنها فى موضع خبر ابتداء. المعنى: دأب هؤلاء كدأب آل فرعون والذين من قبلهم، أى اجتهادهم فى كفرهم وتظاهرهم على النبىّ، كاجتهاد آل فرعون فى

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/٩١

كفرهم وتظاهرهم على موسى.

ولا يصلح أن تكون الكاف فى موضع نصب بكفروا، لأنّ كفروا فى صلة الذين، فلا يصلح: إنّ الذين كفروا ككفر آل فرعون؛ لأنّ الكاف خارجة من الصّلة، فلا يعمل فيها ما فى الصّلة (٣). انتهى كلام الزّجّاج.

وهذا القول منه قول من نظر فى كتاب الفرّاء؛ لأنه حكى كلامه بلفظه.

وقال علىّ بن عيسى الرّمّانىّ: كدأب آل فرعون: كعادتهم فى التكذيب بالحقّ، وقيل: كعادتهم فى الكفر، وقيل: شأنهم كشأن آل فرعون فى عقاب الله إيّاهم، والكاف فى ﴿كَدَأْبِ﴾ يتّصل بمحذوف، تقديره: عبادتهم كدأب آل فرعون، فموضع الكاف رفع؛ لأنها فى موضع خبر الابتداء، ولا يجوز أن يعمل فيها ﴿كَفَرُوا﴾؛ لأنّ صلة ﴿الَّذِينَ﴾ قد انقطعت بالخبر. وهذا الكلام أيضا كلام من نظر فى كتاب الفراء.

---

(١) الآية السابقة.

(٢) هكذا ضبطت الراء بالتشديد فى النّسخ الثلاث.

(٣) معانى القرآن وإعرابه ١/ ٣٨٠، مع اختلاف يسير بالتقديم والتأخير.." [1]

"يكن عوض، وينشدون قول طرفة:

ألا أيّ هذا الزّاجرى أحضر الوغا ... وأن أشهد اللذّات هل أنت مخلدى (١)

بنصب «أحضر»، وعلى مذهبهم قال أبو الطيّب:

بيضاء يمنعها تكلّم دلّها ... تيها ويمنعها الحياء تميسا (٢)

والمراد بتصغير الظروف تقريب الأوقات والأماكن، كقولك: خرجت قبيل الظّهر، وبعيد المغرب، وقعدت دوين الحائط، كما قال ذو القروح، يصف ذنب فرسه:

بضاف فويق الأرض ليس بأعزل (٣)

الضّافى: السّابغ. والأعزل من الأذناب: الذى يميل يمنة أو يسرة.

فإن قيل: لم كان حذف «أن» اضطرارا فى قوله: «قبيل أفقدها»، وظاهر أمر «قبل وبعد» أنهما ظرفا زمان، فهلاّ أضيفا إلى الفعل بغير تقدير «أن» كسائر أسماء الزمان؟

فالجواب: أنّ المكان أحقّ بهما من الزمان، وقد أوضح حالهما أبو سعيد السّيرافىّ، فى شرح الكتاب، فى قوله: إنّ «قبل وبعد» غير متمكّنين، فلا يرفعان، ولا يجوز: سير قبلك، والذى منعهما من التصرّف و الرفع

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/١٧٢

أنهما ليسا باسمين لشيء من الأوقات، كالليل والنهار، والساعة والظّهر والعصر، وإنما استعملا فى الوقت للدّلالة على التقديم والتأخير. يعنى أنك إذا قلت: جئت قبل زيد، أردت

---

(١) فرغت منه فى المجلس الثانى عشر.

(٢) ديوانه ٢/ ١٩٥. وقال الواحدى: «أراد أن تتكلّم، فحذف «أن» وأبقى عملها». شرح الديوان ص ٩٤، وكذلك أن تميسا.

(٣) فرغت منه فى المجلس التاسع والخمسين.." [1]

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/ ٢١٠

التعلّق–تعلّق الجارّ بالفعل–معناه ٣/ ١٦٩

التعليق والإلغاء ١/ ١١١ – ٣/ ٣٩،٤٢،١٩١

التغليب ١/ ١٩ – ٢/ ٤،٤٢٤،٦١٣2٢

التقديم والتأخير ١/ ١٢٥

التكرير: يكرهونه فى كلمة ١/ ٨٤

يكرهونه فى الحرف ٢/ ٣٦٤

تكرير الاسم الظاهر يغنى عن ذكر ضمير يعود على المبتدأ ٢/ ٦

التكسير: يردّ الأشياء إلى أصولها (١) ٢/ ٢٤٠،٣٠٦

تلتلة بهراء ١/ ١٧٠

التمرين والتدريب ٢/ ٥٠٧

---

(١) وانظر التصغير.." (١)

"من التصرف والرفع أنهما ليسا باسمين لشيء من الأوقات كالليل والنهار والساعة والظهر والعصر، وإنما استعملا في الوقت للدلالة على التقديم والتأخير، يعين أنك إذا قلت: جئت قبل زيد، أردت تقديم زمان مجيئك على زمان مجيئه (وإذا قلت: جئت بعده، أردت تأخير زمان مجيئك عن زمان مجيئه)، ويشهد بأن أصلها المكان ثلاثة أشياء: أحدها امتناعهم من إضافتهما إلى الفعل في حال السعة وإنما يضافان إلى أن والفعل وما والفعل كما جاء في التنزيل: (من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا). والثاني: إخبارك بهما عن الجثة كقولك: الجبل بعد الوادي والوادي قبل الجبل، وظروف الزمان لا تستعمل أخباراً عن الأشخاص. والثالث: أنهما أصل في الغايات ولم نجدهم أدخلوا في حكمهما إلا ظروف المكان كفوق وتحت ووراء وقدام وعل، فهذا قول جلي كما تراه والمتسمون بالنحو قبيل وقتنا هذا ممن شاهدته وسمعت كلامه على خلاف ما قلته وأوضحته. فاستمسك بما ذكرته لك فقد أقمت لك برهانه.

وهذه المسألة مما ذكرته في الرد على أبي الكرم بن الدباس في كتابه الذي سماه: المعلم من مشكل أبي علي في الإيضاح.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٥١٦/٣

قوله في باب الجمع الذي على حد التثنية: لو سميت رجلاً بخالد أو حاتم وكسرته، قلت: خوالد وحواتم كما تقول: كاهل وكواهل، ولو." (١)

"أراد سقي السحائب الرياض. وليس كلّ ما استعملته العرب يحسن استعماله بالمحدثين.

«١٢٢٦» .- (١٩) ومثله من شعره: [من الكامل]

فتبيت تسئد مسئدا في نيّها ... إسآدها في المهمه الإنضاء

تقديره: مسئدا في نيّها الإنضاء إسآدها في المهمه. وقد كان يكفيه في هذا البيت التكرير الذي لا فائدة فيه حتى أضاف إليه هذا التعقيد في التقديم والتأخير.

(٢٠) ومن الساقط المستهجن قوله: [من الوافر]

جواب مسائلي أله نظير ... ولا لك في سؤالك لا ألا لا

(٢١) فأما ما اقتبس معناه واحتذى فيه على مثال من تقدّمه فكثير، ولا يعدّ عيبا، إنما اعتدّه عليه ضدّ أو شانىء. والمعاني ليست مملوكة، وأولى الناس بها من كساها لفظا رائقا وكملها وأحسن مجتلاها.

(٢٢) وقد تتوارد الخواطر في المعاني فلا ينسب الثاني إلى السرقة ما كانت مصالتة لفظا ومعنى، أو بيتا كاملا، كما أخذ الفرزدق، وكما قيل في بيت أبي تمام: [من الطويل]

وأحسن من نور تفتّحه الصّبا ... بياض العطايا في سواد المطالب

إنه مأخوذ من قول الأخطل: [من الطويل]

رأين بياضا في سواد كأنه ... بياض العطايا في سواد المطالب." (٢)

"١ - ذكر الوقشي مؤخرا وقدم أبن السيد عليه، مع أن الوقشي أقدم زمانا وأكبر سنا من أبن السيد، وهذا لا يعد اتفاقا، ومصادفة، وإنما يطابق ذلك بما فعله أبو الحسن ابن سعد الخير حيث قدم أبن السيد على الوقشي في خطبته لأنه شيخه وأستاذه، فقدمه علي الوقشي ذكرا. ونظن أن البغدادي كان قد نظر في الكتاب فذكرهما على ترتيب خطبته، ولم يفكر في مرتبتهما أو في **التقديم والتأخير الزمني**.

٢ - ومما يؤكد لنا أنه لم يكن عنده أصلي أبن السيد والوقشي، أنه لم يذكرهما بأسميهما الأصليين، فقد عرفنا أن اسم شرح الوقشي، نكت الكامل للمبرد، وأسم شرح أبن السيد، الطرر على الكامل كما صرح به المراكشي. فلو كان يملك الأصليين أو كان قد عثر عليهما، لذكرهما، بالاسمين الأصليين فعلى القل أنه

---

(١) ما لم ينشر من الأمالي الشجرية ابن الشجري ص/٩١

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣١٤/٧

لم يعثر على الأصليين لهما، وإنما عثر إما على هذه النسخة أو على نسخة أخرى لكتاب القرط على الكامل لأبن سعد الخير، وأرواه ذكر اسم الشرحين من غلاف النسخة حيث كتب " شرح الكامل للمبرد "، ومن ثم ذكر الشرحين بلفظ واحد، حيث قال " الكامل للمبرد وشرحه لأبن السيد البطليوسي ولأبي الوليد الوقشي " " الخزانة ١١٠ ".

٣ - ومما يؤيد قول الأستاذ الميمني، ويؤكده، هو التطابق الكامل والموافقة التامة بين ما جاء في القرط من أقوالهما، وبين ما أخذه البغدادي منه في خزانة الأدب، فأن العبارات تطابق حرفا حرفا تطابق النعل بالنعل، حتى أن الأخطاء، التي وقعت في نسخة القرط هذه، قد وجدناها بعينها في خزانة الأدب، وسننبه عليها في مواضعها من متن الكتاب، أن شاء الله.

إن ما قاله المغفور له الأستاذ الميمني، ليس ببعيد عن الصحة والحق. وإن هذه النسخة قد وصلت إلى الشيخ الزمزمي بمكة بعد ما استفاد منها البغدادي، فقد كان هذا الشيخ مؤقتا بالحرم المكي، وكان المسلمون " ولا يزالون ولن يزالوا " يأتون إليه من كل فج عميق، وكانوا يأتون بنفائس الهدايا إلى أهل مكة عامة وإلى هذا الشيخ خاصة بصفته مؤقتا بحرم الله الأمين، ومع ذلك فقد كان حريصا على نوادر المخطوطات، مولعا بها، ولا يبعد أن كانت النسخة قد أهديت إليه، أو اشتراها من الواردين والزوار لبيت الله الحرام، والله أعلم بالصواب.

٢ - مكانته وقيمته

لسنا في حاجة إلى ذكر مكانة القرط وقيمته، لأن القارىء الكريم هو الذي يقدره ويعرف قيمته، ويعين مكانته بين مؤلفات الفن، إلا أننا نشير إلى بعض الأشياء الهامة: ١ - كتاب القرط هو الأثر الثاني " بعد تنبيهات أبن حمزة " من آثار القدماء على الكامل للمبرد التي احتفظ بها الزمان، وكذلك فهو ثالث الكتب التي جاءت كدليل على أن عمل للغاربة وافق قولهم في تسمية الكتب الأربعة بأركان الأدب وأصوله فالكتاب الأول هو الاقتضاب، والثاني سمط الل لي وهذا القرط هو الكتاب الثالث!.

٢ - وهو الشاهد العدل على عناية المغاربة واهتمامهم بالكامل للمبرد. فانه يدل على كثرة النسخ المتداولة في عصر الوقشي وابن السيد كما أنه يدل على الأخطاء. والأغلاط التي وقعت فيها على أيدى النقلة، والناسخين، والكتاب ومن ثم هو الدليل على تبرئة المبرد من كثير من الأخطاء في الكامل.

٣ - وهو عون كبير على تصحيح الكامل وإصلاحه، كما أنه يسهل الكتاب لقرائه، ويساعدهم في حل معضلاته ويقربهم منه تقريباً.." (١)

"- الْإِعْرَاب ترهبت فى مَوضِع جزم جَوَابا للشّرط ومثنى وموحد حالان الْمَعْنى يَقُول لَا تنجيه تَوْبَته وترهبه من على يغْنى سيف الدولة وَلَو كَانَ منجيا لَهُ لترهبت الْأَمْلَاك وَهُوَ جمع ملك اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ وواحدا وَاحِدًا

٢٠ - الْإِعْرَاب لَيْسَ كل هُنَا على الْعُمُوم وَالتَّقْدِير كل من يُخَالِفهُ وَبعدهَا الضَّمِير فِيهِ لفعلة الدمستق وَمن روى بعده كَانَ الضَّمِير لَهُ الْمَعْنى يُرِيد وترهب كل امْرِئ فى الشرق والغرب فَمن يخافه يلبس المسوح وَيَتُوب إِن كَانَ هَذَا ينجيه من بَأْس سيف الدولة

٢١ - الْإِعْرَاب قَالَ أَبُو الْفَتْح ارْتَفع الْعِيد بِفعل مَحْذُوف وَأَصله ثَبت الْعِيد هَنِيئًا لَك فَحذف الْفِعْل وَأقَام الْحَال مقَامه فَرفعت الْعِيد كَمَا يرفعهُ الْفِعْل وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح وانتصب هَنِيئًا عِنْد قوم على مَذْهَب قَوْلهم ثَبت لَك هَنِيئ وَقيل بل هُوَ اسْم وضع مَوضِع الْمصدر كَأَنَّهُ قيل هَنَّأَك هَنِيئًا وَربمَا وضعُوا اسْم الْفَاعِل فى هَذَا الْموضع كَمَا روى عَن بعض نسَاء الْعَرَب وهى ترقص ابْنا لَهَا

(قُمْ قائِما قُمْ قائِما ... لَقِيتَ عَبْداً نائِما)

(وَعُشَرَاءَ رائِما وأَمَةً مُرَاغِما (... يُرِيد قُم قيَاما انْتهى الْمَعْنى يَقُول الْعِيد فَرح يعود على النَّاس يفرحون بِهِ وَأَنت عيد لكل النَّاس يفرحون بسلامتك وَكَذَلِكَ الْعِيد يفرح بوصوله إِلَيْك فَأَنت عيده أى تحل فِيهِ مَحل الْعِيد وَأَنت عيد أى فَرح لكل من سمى الله يُرِيد ذكر الله فى الْإِحْرَام وَذبح أضحيته وتلخيص الْكَلَام وَأَنت عيد لكل مُسلم يفرح بك كالعيد

٢١ - الْغَرِيب الأعياد جمع عيد ككبد وأكباد وَإِنَّمَا جمع بِالْيَاءِ وَأَصله الْوَاو للُزُوم الْيَاء فى الْوَاحِد وَقيل للْفرق بَين أَعْوَاد الْخشب وَبَينه وعيدوا شهدوا الْعِيد وسمى عيدا لِأَنَّهُ يعود وَقيل لعود الْفَرح فِيهِ والعيد مَا اعتادك من فَرح أَو هم أَو غير ذَلِك قَالَ الشَّاعِر

(وَالْقلب يعتاده من حبها عِيدُ ...)

وَقَالَ يزِيد بن الحكم الثقفى وَقيل بله هُوَ لعمر بن أَبى ربيعَة

(أَمْسَى بأسماء هَذَا القَلْب مَعْمودا ... إِذا أَقُول صَحا يعْتاده عِيدَا)

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/٦٣

(أجرِى على موعدٍ منا فتُخْلِفُنِى ... فَلَا أمَلٌ وَلَا تُوفِى المواعِيدا)

سَأَلت شيخى أَبَا مُحَمَّد عبد الْمُنعم بن صَالح التيمى النحوى عَن قَوْله يعتاده عيدا علام نَصبه فَقَالَ هُوَ فى مَوضِع الْحَال تَقْدِيره يعتاده السكر عَائِدًا ففى يعتاده ضمير السكر ده عَلَيْهِ قَوْله صَحا الْمَعْنى يَقُول لَا زلت تلبس الأعياد المتكررة عَلَيْك فى الأعوام فَإِذا مضى عيد جَاءَك بعده عيد جَدِيد فَصَارَ الماضى خلقا والقادم جَدِيدا وَلما ذكر اللّبْس اسْتعَار لَهُ الْخلق والجديد

٢٣ - الْمَعْنى قَالَ أَبُو الْفَتْح فى الْبَيْت نظر وَهُوَ أَنه خص الْعِيد وَحده دون الْأَيَّام بِمَا ذكره من الشّرف وَكَانَ ينبغى أَن تكون أَيَّامه كلهَا كَذَلِك لِأَن جَمِيعهَا مُشْتَمل عَلَيْهِ الْجَواب أَن الْعِيد قد اجْتمع فِيهِ أَمْرَانِ أَحدهمَا وَهُوَ الْأَظْهر اشتماله على سيف الدولة وَالْآخر كَونه عيدا فَصَارَ لَهُ مزية على غَيره مِمَّا لَيْسَ بعيد انْتهى كَلَامه وَيجوز أَن يُقَال إِنَّمَا جعله فى الشّرف كَيَوْم النَّحْر لِأَنَّهُ من أشرف الْأَيَّام وَقَالَ أهل التَّفْسِير فى قَوْله ﴿يَوْم الْحَج الْأَكْبَر﴾ قيل يَوْم النَّحْر وَمِنْه الحَدِيث " أَن يَهُودِيّا قَالَ لعمر بن الْخطاب رضى الله عَنهُ لَو علينا معشر الْيَهُود نزلت الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ " لاتخذناه عيدا فَقَالَ عمر إنى لأعْلم أى يَوْم نزلت وفى أى سَاعَة نزلت يَوْم النَّحْر وَهُوَ عندنَا من أشرف الْأَيَّام فَلهَذَا خص المتنبى هَذَا الْيَوْم بالشرف فى الْأَيَّام كشرفه فى الورى وَالْمعْنَى من قَول حبيب

(وَيَضْحَكُ الدّهْرَ مِنْهَمْ عَن غَطارِفةٍ ... كأنَّ أيامَهُمْ مِنْ حُسْنِها جُمَعُ)

٢٤ - الْمَعْنى قَالَ أَبُو الْفَتْح يُرِيد التَّنْبِيه على اخْتِلَاف حظوظ أهل الدُّنْيَا فقد يبلغ من حكم الْجد أَن تفضل الْعين أُخْتهَا وَإِن كَانَت سَوَاء ويفضل الْيَوْم الْيَوْم وَكِلَاهُمَا ضوء الشَّمْس وَقَالَ غَيره جعل الْيَوْمَيْنِ والعينين مثلا لكل متساويين فيجد أَحدهمَا فيريد أَن الْجد يُؤثر فى كل شئ حَتَّى إِن الْعَينَيْنِ تصح إِحْدَاهمَا وتسقم الْأُخْرَى ويسود الْيَوْم الْيَوْم وَكِلَاهُمَا ضوء الشَّمْس فيريد أَن سَائِر الْأَيَّام كَيَوْم الْعِيد إِلَّا أَن الْحَظ شهره من سَائِر الْأَيَّام فَجعله يَوْم فَرح وسرور فَلهُ فضل على الْأَيَّام كفضل الْيَد الْيُمْنَى على الشمَال وَالْعين الْيُمْنَى على الشمَال فالحظ يعْمل فى كل شئ وفى مَعْنَاهُ لحبيب

(وَإِذا تأمَّلْتَ البِلادَ رَأَيْتهَا ... تُثْرِى كَمَا تُثْرى الرِّجَال وتُعْدِمُ)

(حَظٌ تَعاوَرَهُ البَقاع لوقْته ... وَادٍ بِهِ صَفِرٌ وآخَرُ مُفْعَمْ)

٢٥ – الْإِعْرَاب الدائل اسْم فَاعل من دَال يدول وَيُرِيد بِهِ هُنَا صَاحب الدولة أخرجه مخرج لِابْنِ وتامر وشفرتا السَّيْف حداه الْمَعْنى يتعجب من عَظِيم همة الدولة إِذْ تقلدته والدولة فى الْحَقِيقَة الْخَلِيفَة وفى هَذَا تَفْضِيل لَهُ على الْخَلِيفَة بِالْقُوَّةِ وَضرب لهَذَا مثلا قَالَ ابْن القطاع صحف هَذَا الْبَيْت فروى دائل بِالدَّال الْمُهْملَة من الدولة وَلَا معنى للدولة فِيهِ وَالصَّحِيح بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة وَهُوَ الرجل المتقلد سَيْفه المتبختر فى مشيته والذائل السَّيْف الطَّوِيل أَيْضا وَكَذَلِكَ الْفرس الطَّوِيل الذَّنب فَإِن كَانَ قَصِيرا وذنبه طَوِيل قيل ذَيَّال الذَّنب الدرْع الطَّوِيلَة قَالَ النَّابِغَة

(وكلّ صموت نثلة تُبَّعِيَّة ... ونَسج سُليمٍ كلّ قَضَّاء ذائل والذائل الطَّوِيل من كل شئ

٢٦ – الْإِعْرَاب قَالَ أَبُو الْفَتْح قلت لَهُ جعلت من شرطا صَرِيحًا فَهَلا جعلتهَا بِمَنْزِلَة الذى وَلم تضمن الصِّلَة معنى الشَّرْط حَتَّى لَا تركب الضَّرُورَة كَقَوْلِه تَعَالَى ﴿الَّذين يُنْفقُونَ أَمْوَالهم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار سرا وَعَلَانِيَة فَلهم أجرهم عِنْد رَبهم﴾ الْآيَة فَقَالَ هَذَا يرجع إِلَى معنى الشَّرْط وَالْجَزَاء وَأَنا جِئْت بِلَفْظ الشَّرْط لِأَنَّهُ أبلغ وَأَرَدْت الْفَاء فى يصيره ثمَّ حذفهَا والذى قَالَه // جَائِز // وَالْوَجْه الذى قلت لَهُ أولى وسيبويه يرى فى هَذَا **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فتقديره** على مذْهبه يصير الضرغام من يَجعله بازا فِيمَا تصيده وَاكْتفى بِهَذَا القَوْل عَن وجوب الشَّرْط وَمثله

(يَا أَقْرَعُ بنَ حَابِس يَا أَقْرَعُ ... إِنَّك إِن يصرعْ أَخُوك تُصَرعُ)

وَالتَّقْدِير إِنَّك تصرع إِن يصرع أَخُوك انْتهى كَلَامه وَأما قَول المتنبى أردْت الْفَاء ثمَّ حذفتها // فَجَائِز حسن // قد جَاءَ فى الْكَلَام الفصيح وَمِنْه حَدِيث النبى

فى حَدِيث سعد بن مَالك وَهُوَ حَدِيث الصَّحِيحَيْنِ والموطأ وَالسّنَن قَالَ " مَرضت عَام الْفَتْح فعادنى رَسُول الله

فَقلت يَا رَسُول الله إِن لى مَالا وَلَيْسَ لى من يرثنى إِلَّا ابْنة لى فأتصدق بنصْف مالى قَالَ لَا فقت فَالثُّلُث قَالَ الثُّلُث وَالثلث كثير إِنَّك إِن تذر وَرثتك أَغْنِيَاء خير من أَن تذرهم عَالَة يَتَكَفَّفُونَ النَّاس " التَّقْدِير فَهُوَ خير فَحذف الْفَاء الْغَرِيب الضرغام الْأسد وضرغم الْأَبْطَال بَعضهم بَعْضًا فى الْحَرْب وَأَصله الضرغامة الْمَعْنى أَنَّك فَوق من تصف إِلَيْهِ لِأَن من اتخذ أسدا ضاريا صيد بِهِ أى غَلبه الْأسد فصاده مثله قَول دعبل فى الْفضل وَكَانَ قد خرجه وأدبه فَبَلغهُ أَنه يعِيبهُ فَقَالَ

(فَكَانَ كالكلبِ ضرّاهُ مُكَلِّبُهُ ... لِصَيْدِهِ فغَدا يصطاد كَلاَّبَه)

٢٧ – الْمَعْنى يَقُول حلمك عَن قدرَة وَلَو شِئْت لم تحلم ولكان بدل الْحلم الْقَتْل بِالسَّيْفِ فَأَنت خَالص الْحلم فِى خَالص قدرَة عَن الْعَجز

٢٨ – الْمَعْنى يَقُول من عَفا عَن حر صَار كَأَنَّهُ قَتله لِأَنَّهُ يسترقه بِالْعَفو عَنهُ فيذل لَهُ وينقاد وَهَذَا من قَول بَعضهم غل يدا مُطلقهَا واسترق رَقَبَة معتقها وَالْمعْنَى من لَك بِالْحرِّ الذى يحفظ النِّعْمَة ويراعى حَقّهَا وَمن روى يعرف اليدا فَمَعْنَاه قدر الْعَفو عَنهُ وَمَا أحسن هَذَا حثه فِى أول بَيت على الْعَفو ثمَّ ذكر قلَّة وجود من يسْتَحق ذَلِك ثمَّ أكد هَذَا بقوله

(إِذا أَنْت ... الخ ...)

٢٩ – الْمَعْنى يُرِيد أَن الْكَرِيم يعرف قدر الْإِكْرَام فَيصير كالمملوك لَك إِذا أكرمته واللئيم إِذا أكرمته يزِيد عتوا وجراءة عَلَيْك

٣٠ – الْمَعْنى كل يجازى ويعامل على اسْتِحْقَاقه فمستحق الْعَطاء لم يسْتَعْمل مَعَه السَّيْف وَمن اسْتحق السَّيْف لم يكرم بالعطاء وَإِذا فعل ذَلِك أحد أضرّ بعلاه وَالْبَاء مُتَعَلقَة بمضر وَهَذَا مَنْقُول من كَلَام الْحِكْمَة قَالَ الْحَكِيم من جعل الْفِكر فِى مَوضِع البديهة فقد أضرّ بخاطره وَكَذَلِكَ من جعل البديهة فِى مَوضِع الْفِكر." (١)

"– الْغَرِيب الْخَلِيفَة هم الْخَلَائق والخلق وَقد قرئ فِى الشاذ

(إِنى جَاعل فِى الأَرْض خَلِيقَة ...)

وَالْمعْنَى يَقُول الْخَلَائق قد أَجمعُوا موافقين لى أَنَّك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما قَالَ الواحدى يجوز أَن يكون على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير أى** أوحدهما لى أى أوحدها إِلَى إحسانا وإفضالا وَلَا يكون فِى هَذَا كثير مدح وَيجوز أَن يكون أَجمعت فَقَالَت لى وَالْقَوْل يضمر كثيرا كَقَوْلِه تَعَالَى ﴿وَإِذ يرفع إِبْرَاهِيم الْقَوَاعِد من الْبَيْت وَإِسْمَاعِيل رَبنَا تقبل منا﴾ أى ويقولان رَبنَا تقبل وَكَقَوْلِه تَعَالَى ﴿وَالْمَلَائِكَة يدْخلُونَ عَلَيْهِم من كل بَاب سَلام عَلَيْكُم﴾ أى وَيَقُولُونَ سَلام عَلَيْكُم

٣٥ – الْإِعْرَاب وَأَنَّك أَرَادَ أَنَّك بِالتَّشْدِيدِ فخفف ضَرُورَة مَعَ الضَّمِير كَقَوْل الآخر

(فلوْ أنْكِ فى يوْمِ الرَّخاءِ سأَلْتِنِى ... طَلاقَكِ لم أبخل وأنتِ صديقُ)

وَإِنَّمَا يحسن التَّخْفِيف مَعَ الْمظهر كَقَوْلِه

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/٢٨٥

(وصَدْرٍ مُشْرِقِ النَّحْرِ ... كأنْ ثَدْياهُ حُقَّانِ)

لِأَن الضمائر ترد الْأَشْيَاء إِلَى أُصُولهَا وَإِذا خففت مَعَ الْمظهر فتعلمها فِى مُقَدّر وَهُوَ ضمير الشَّأْن وترفع بعْدهَا الْجُمْلَة خَبرا عَنْهَا تَقول علمت أَن زيدا قَائِم وَمِنْه ﴿وَآخر دَعوَاهُم أَن الْحَمد لله رب الْعَالمين﴾ و ﴿أَن لعنة الله﴾ فِى قِرَاءَة نَافِع وَعَاصِم وأبى عَمْرو وقنبل وَإِذا وَليهَا الْفِعْل لم يجمعوا عَلَيْهَا مَعَ النَّقْص الذى دَخلهَا وَحذف اسْمهَا لِأَن يَليهَا مَا يجوز أَن يَليهَا وهى مثقلة فَكَانَ الْأَحْسَن أَن يفصل بَينهَا وَبَينه بِأحد أَرْبَعَة أحرف السِّين وسوف وَلَا وَقد فَتَقول علمت أَن سيقوم وسوف يقوم وَأَن لَا يقوم وَقد يقوم قَالَ تَعَالَى ﴿علم أَن سَيكون مِنْكُم مرضى﴾ قَالَ جرير

(زَعَمَ الفَرَزْدقُ أَن سيقتلُ مِرْبعا ... أبْشِرْ بطُولِ سَلامة يَا مِرْبَعُ)

قَالَ أُميَّة بن أَبى الصَّلْت

(وَقد عَلِمْنا لَو انَّ العِلَمَ يَنْفَعُنا ... أَن سَوف يُتْبَعُ أُولانا بأُخْرَانا)

وَأما قَوْله تَعَالَى ﴿وَأَن لَيْسَ للْإنْسَان إِلَّا مَا سعى﴾ جَاءَ بِغَيْر حرف من هَذِه الْحُرُوف الْأَرْبَع فَذَلِك لِأَن لَيْسَ ضَعِيفَة فِى الفعلية لعدم تصرفها وَقد جعلهَا أَبُو على حرفا زَمَانا ثمَّ رَجَعَ عَن ذَلِك وَقَوله محتلما حَال وَالْعَامِل فِى الْحَال كَانَ." (١)

"- الْمَعْنى يَقُول هُوَ يقدم على كل عَظِيم إِلَّا أَنه لَا يقدم على الْفِرَار فَإِنَّهُ عِنْده أعظم من كل هول وَيقدر على كل صَعب إِلَّا أَن يزِيد على مَا هُوَ عَلَيْهِ من الْقدر الْعَظِيم والشرف والكمال فَإِنَّهُ لَا نِهَايَة لمداه وَالْمعْنَى يقدم على كل شئ إِلَّا الزِّيَادَة فِى حَاله وكماله وَهُوَ مَنْقُول من قَول الطائى

(فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْها ... على مَا فيكَ مِنْ كِرامِ الطِّباعِ)

٨ - الْمَعْنى قَالَ أَبُو الْفَتْح إِذا وصلت أحدا ببر سعد ببركتك وتشرف بعطيتك فَصَارَ جدا لَهُ وَنَقله الواحدى وَقَالَ يجوز أَن يكون الْمَعْنى الْقَضَاء نحس وَسعد ونوالك سعد كُله فَهُوَ أحد شقى الْقَضَاء قَالَ وروى ابْن دوست فَمَا تعط بِفَتْح الطَّاء تَجدهُ بِالتَّاءِ على الْخطاب وَقَالَ فِى تَفْسِيره كَانَ عطاءك للنَّاس قَضَاء يقْضى الله بِهِ وَمَا أَعْطَاك مِنْهُ فَهُوَ عنْدك بِمَنْزِلَة بخت تعطاه وترزقه وَهَذَا تَفْسِير // بَاطِل وَرِوَايَته بَاطِلَة // وَكَلَام من لم يقرإ الدِّيوَان

٩ - الْإِعْرَاب ربنما التَّاء للتأنيث وَمَا زَائِدَة وفى رب لُغَات رب مُشَدّدَة ومخففة وربة مُشَدّدَة ومخففة وَرُبمَا

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣١٠/١

مُشَدّدَة ومخففة وربتما مُخَفّفَة ومشددة وَرُبمَا بِفَتْح الرَّاء وَتَشْديد الْبَاء الْغَرِيب الذبل جمع ذابل وهى الرماح وَكَذَلِكَ السمر هى الرماح والوغى اسْم من أَسمَاء الْحَرْب الْمَعْنى يُرِيد رب حَملَة لَك على أعدائك فى الْحَرْب صرفت بهَا رماحك السمر سُودًا أى بقيت سُودًا لما جف عَلَيْهَا الدَّم وَالدَّم إِذا جف اسود // وَهَذَا كَلَام حسن //

١٠ – الْإِعْرَاب هول عطف على حمله ومبادا ومبيدا حالان من الرمْح أى تركته مهلما فى حَال إبادتك إِيَّاه وطعنك الْعَدو بِهِ قَالَ الواحدى وَجَمِيع من فسر هَذَا الدِّيوَان جعل مبادا ومبيدا للرمح وَقَالُوا تركته مبلكا وَكَانَ مبيدا وإضمار كَانَ لَا يجوز فى هَذَا الْموضع لِأَنَّهُ لَا دَلِيل عَلَيْهِ وَقَالَ وَلَا يجوز أَن يكون نَصبه كنصب مبادا لِأَنَّهُ بعد أَن صَار مبادا لَا يكون مبيدا هَذَا كَلَامه وَلم يذكر نَصبه على أى معنى وَالصَّحِيح أَيهمَا حالان من الرمْح وَأما قَول الواحدى لَا يجوز أَن تضمر كَانَ هَهُنَا // فَقَوْل صَحِيح // وَإِنَّمَا تضمر كَانَ إِذا جرى لَهَا ذكر فى أول الْكَلَام كَقَوْلِه تَعَالَى ﴿إِن إِبْرَاهِيم كَانَ أمة قَانِتًا لله حَنِيفا وَلم يَك من الْمُشْركين شاكرا﴾ وَمن وصل أَرَادَ **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فَكَأَنَّهُ** قَالَ حَنِيفا شاكرا وَلم يَك من الْمُشْركين." (١)

"– الْمَعْنى يَقُول لَا تطلب مثله فظنى أَنه لَا يخلق الله مثل مُحَمَّد وَصدق إِن أَرَادَ الإسم لَا الصُّورَة لِأَن الله تَعَالَى لم يخلق فى الأول وَلَا فى الآخر مثل مُحَمَّد

وَمثله لأبى الشيص

(مَا كانَ مِثْلَكَ فِي الوَرَى فيمَنْ مَضَى ... أحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يُخْلَقُ)

وَلابْن الرومى

(فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى مِثْلِهِ ... أبَى اللهُ ذَاك عَلى مَنْ خَلَقْ)

وللحصنى

(لَمْ يكُنْ فِي خَليقَةِ اللهِ نِدّ ... لَكَ فِيما مَضَى وَليسَ يَكُونُ)

٢٣ – الْغَرِيب أَتصدق أعْطِيه الصَّدَقَة وأهبها لَهُ وَالتَّصَدُّق إِعْطَاء الصَّدَقَة قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَتصدق علينا﴾ والمتصدق الْمُعْطى لقَوْله تَعَالَى ﴿إِن الله يحب المتصدقين﴾ والمصدق الذى يَأْخُذ صدقَات الْإِبِل وَالْغنم والمصدقين والمصدقات بتَشْديد الصَّاد وَأَصله المتصدقين فَقلب التَّاء صادا وأدغمت وَقَرَأَ أَبُو بكر عَن عَاصِم بِالتَّخْفِيفِ جعله من التَّصْدِيق وَقد جَاءَ فى الشاذ أَن الْمُتَصَدّق السَّائِل وَأنْكرهُ اللغويون وَأنْشد الْمُدعى

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/٣٦٨

لذَلِك

(لَوْ أنَّهُمْ رُزِقُوا عَلى أقْدَارِهِمْ ... لَلَقِيتَ أكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ)

أى يسْأَل النَّاس وَهُوَ من قَول زُهَيْر

(تَرَاهُ إذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلّلاً ... كأنَّكَ تُعْطِيهِ الذَّى أنْتَ سائِلُهْ)

٢٤ - الْإِعْرَاب قَالَ الشريف هبة الله بن على بن مُحَمَّد الشجرى العلوى فى الأمالى لَهُ ونقلته بخطى تَقْدِيره فَإِن تنظر إِلَى لَا أغرق وَيحْتَمل رَفعه وَجْهَيْن أَحدهمَا أَرَادَ لِئَلَّا أغرق فَحذف لَام الْعلَّة ثمَّ حذف أَن فارتفع كَقَوْلِه

(أُوْجَدُ مَيْتا قَبَيْلَ أفْقِدُها ...)

كَمَا جَاءَ فى قَول طرفَة

(أَلا أيُّهذَا الزَّاجِرِ أَحْضُرَ الْوَغَى ...)

أَرَادَ أَن أحضر فحذفها يدلك على حذفهَا قَوْله وأَن أشهد اللَّذَّات والثانى أَن يكون بإلفاء مقدرَة وَإِن كَانَت فى الْجَواب مقدرَة ارْتَفع الْفِعْل بتقديرها كَمَا يرْتَفع بإثباتها وَإِذا كَانُوا يحذفونها من جوا ب الشَّرْط الصَّرِيح فيرفعون فحذفها من جَوَاب الْأَمر أسهل كَقَوْلِه

(مَنْ يفْعَلِ الْحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرُها ...)

وَأما قَوْله تَعَالَى ﴿لَا يضركم﴾ فى قِرَاءَة الْكُوفِيّين وَابْن عَامر فَفِيهِ ثَلَاثَة أَقْوَال أَحدهَا بِتَقْدِير الْفَاء والثانى على التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير كَأَنَّهُ قَالَ لَا يضركم كيدهم وَإِن تصبروا وتتقوا وَبِهَذَا التَّقْدِير ارْتَفع قَول الشَّاعِر وَهُوَ بَيت الْكتاب

(إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ ...)

وَالثَّالِث أَن يكون الضَّم للإتباع الْغَرِيب الثرة الْكَثِيرَة المَاء من الثرارة قَالَ عنترة

(جادَتْ عَلَيْها كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ...)

الْمَعْنى لما ذكر الْمَطر وكثرته ذكر الْغَرق فَقَالَ أمطر على جودك غزيرا وَلَكِن إِذا سَالَ على ارحمنى لكيلا أغرق من كثرته وَهُوَ من قَول عبد الله بن أَبى السمط فى وصف سَحَابَة

(حَتَّى ظَلَلْتُ أَقُولُ فِى إلْحاحِها ... بالْوَيْلِ هَلْ أَنا سالِمٌ لَا أغْرَقُ)." (١)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣٣٩/٢

"- ١ الْإِعْرَاب قَالَ أَبُو الْفَتْح أخبر عَن نَفسه فَقَالَ أَنا أعيش وأيسر مَا قاسيت مَا قتل وَيحْتَمل وَجها آخر وَهُوَ أَن يكون فِي معنى أفعل الَّتِي للتفضيل أَي أَشد مَا يكون فِي الْإِنْسَان وأيسر مَا قاسيت شَيْء قَاتل فَكَأَن الْكَلَام على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير أَي** الشَّيْء الَّذِي يقتل أحيى وأيسر مَا لاقيت أَو مَا أَلْقَاهُ وَإِذا حمل على هَذَا الْوَجْه فقد حذف الْمُضَاف إِلَيْهِ أَي أحيى مَا لاقيت وأيسر مَا لاقيت وهم يستعملون هَذَا فِي الشّعْر وَلَو قلت فِي النثر أفضل وَأكْرم النَّاس زيد تُرِيدُ أفضل النَّاس وَأكْرمهمْ لقبح وَإِنَّمَا الفصيح أكْرم النَّاس وأفضلهم وَقَالَ الشريف هبة الله بن عَليّ الشجري أَحْيَا فعل الْمُتَكَلّم وَالْجُمْلَة الَّتِي هِيَ ايسر الخ فِي مَوضِع النصب على الْحَال من الْمُضمر فِي أَحْيَا أَي أعيش وَأَقل مَا قاسيت وأهون الأَشْيَاء الَّتِي قاسيتها فِي الْهوى الشَّيْء الَّذِي قتل المحبين الْغَرِيب الْجور ضد الْعدْل وَهُوَ الْعُدُول عَن الْقَصْد والميل عَنهُ وجوره تجويرا نسبه إِلَى الْجور." (١)

"الْقرح سنة أَو سنتَانِ وبيض الْهِنْد السيوف والسمر الرماح الْمَعْنى يَقُول هُوَ مفنى الْخَيل والأعادي يفنى الْخَيل بالطرد فِي الحروب وَقيل بِالْهبةِ وَالسُّيُوف والرماح بِالضَّرْبِ والطعن وَيجوز بِالْهبةِ

٣٢ - الْغَرِيب المسومة المعلمة وَمِنْه قَوْله تَعَالَى ﴿مسومين﴾ بِفَتْح الْوَاو فِي قِرَاءَة نَافِع وَابْن عَامر وَحَمْزَة وَعلي وَقيل هِيَ الْمُرْسلَة وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْر الْوَاو وَمَعْنَاهُ سوموا خيلهم أَي علموها بعلامة والحي وَاحِد أَحيَاء الْعَرَب وَهُوَ الْجَمَاعَة من النَّاس ينزلون فِي الْبَادِيَة الْمَعْنى أَنه يَقُود الْخَيل المسومة خفافا سرَاعًا إِلَّا أَنَّهَا ثقال على من تصبحه من الأعادي فتحل بساحته صباحا

٣٣ - الْغَرِيب جوائل بدل من قَوْله مسومة وَجمع القنا قنى يُقَال قِنَا وقنوات وقني وجوائل جمع جائلة وعوامل جمع عَامل وَهُوَ عَامل السنان وَهُوَ مَا قرب مِنْهُ والذبال جمع ذبالة وَهِي الفتيلة الْمَعْنى يَقُول تحرّك بالقنا فرسانها وَهِي مثقفة أَي مقومة بالثقاف وَشبه أسنتها فِي اللمعان بالفتائل الَّتِي فِي السرج وَهُوَ تَشْبِيه حسن

٣٤ - الْمَعْنى روى الواحدي يفين بِالْفَاءِ وَالْيَاء الْمُثَنَّاة تحتهَا وَمَعْنَاهُ يعدن ويرجعن يَقُول هَذِه الْخَيل إِذا وطِئت الصخور لشدَّة وَطئهَا تصير رملا وَأَرَادَ إِذا وطِئت بأيديها وأرجلها فَدلَّ الْمَحْذُوف فِي آخر الْبَيْت على الْمَحْذُوف فِي أَوله وَمثله كثير

٣٥ - الْإِعْرَاب هَذَا من بَاب **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَأَرَادَ** لَا وَلَا لَك ضَرُورَة كَقَوْل الآخر

(عَلَيْكِ وِرَحْمَةُ الله السَّلَامُ ...)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٦٢/٣

وَمثله قَوْله تَعَالَى ﴿أنزل على عَبده الْكتاب وَلم يَجْعَل لَهُ عوجا قيمًا﴾ وَالتَّقْدِير قيمًا وَلم يَجْعَل لَهُ عوجا وَقَوله ﴿وَلَوْلَا كلمة سبقت من رَبك لَكَانَ لزاما وَأجل مُسَمّى﴾ وَالتَّقْدِير لَوْلَا كلمة وَأجل مُسَمّى وَأنْشد سِيبَوَيْهٍ للفرزدق

(وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُملَّكا ... أبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبوهُ يُقارِبُهْ)." (١)

"- الْإِعْرَاب يَقُول زَاد الشَّيْء وزدته أَنا قَالَ الله تَعَالَى ﴿وزدناهم هدى﴾ وَأَرَادَ لِيَزْدَادَ الْغَرِيب المشاعل جمع مشعل وَهُوَ مَا يضرم فِيهِ النَّار ليهتدي بِهِ فِي الْأَسْفَار وَغَيرهَا الْمَعْنى قَالَ الواحدي يَأْمُرهُم بِأَن يزدادوا تواضعا فَإِن فضائلهم لَا تكْتم بالتواضع وَضرب بذلك مثلا بكتمان المشاعل فِي الظلام فَإِنَّهَا لَا تخفى وَمَتى كَانَ الظلام أَشد كَانَت أظهر كَذَلِك مَتى كَانَ تواضعهم أَكثر كَانَت فضائلهم اكثر وَقَالَ الْخَطِيب كَانَ لهَذَا الممدوح نسب فِي ولد الْحسن بن عَليّ عَلَيْهِمَا السَّلَام فامرهم بالتواضع لأَنهم كلما ازدادوا فِي التَّوَاضُع ظهر شرفهم وَإِن أخفوا نسبهم لَا ينكتم كَمَا ان المشاعل لَا تنكتم فِي الظلام

٣١ - الْغَرِيب سفد بِالْكَسْرِ يسفد سفادا وَهُوَ نزو الذّكر على الْأُنْثَى يُقَال ذَلِك فِي التيس وَالْبَعِير و الثور وَالطير وَالسِّبَاع وَحكى أَبُو عُبَيْدَة سفد بِالْفَتْح وأسفده غَيره والرباب غيم يتَعَلَّق بأسافل السَّحَاب إِذا كثر مَاءَهُ الْمَعْنى يَقُول هم يكتمون معروفهم كَمَا يكتم الْغُرَاب سفاده ثمَّ ذَلِك لَا يكتم كَمَا لَا يخفي السَّحَاب الهاطل

٣٢ - الْغَرِيب الجفخ الْفَخر جفخ تكبر وفخر مثل جخف وجمح فَهُوَ جفاخ وحماح وَذُو جفخ والشيم جمع شِيمَة وَهِي الخليقة والعلامة والأغر الْأَبْيَض الْوَاضِح الْمَعْنى هَذَا على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير تَقْدِيره** جفخت بهم شيم وفخرت وهم لَا يفخرون بهَا وشيمهم دَلَائِل على حسبهم الظَّاهِر وَهُوَ مَا يعد من مآثر الْآبَاء وَقَالَ ابْن وَكِيع فِي معنى الْبَيْت الاول وَهَذَا من قَول حبيب

(أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبرَهُ عَنْ عَدُوّه ... وَطِيبُ تُرابِ القَبرِ دَلّ عَلى القَبرِ)

٣٣ - الْغَرِيب يُقَال عف وعفيف والحلاحل السَّيِّد الْعَظِيم الْمَعْنى يَقُول هم ورعون يشبه ورعهم ورع بعض وشا بهم عفيف الْإِزَار كِنَايَة عَن ترك الزِّنَا وعف مثل طب وعفيف مثل طَبِيب وَالْمعْنَى أَنهم أهل ورع كبارهم وصغارهم عفيفون." (٢)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢٢٩/٣

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢٥٨/٣

"اعلم أن الصرف هو تتبع اعتبارات الواضع في وضعه من جهة المناسبات والأقيسة ونعني بالاعتبارات وافرضها على أن تتحقق أنه أولاً جنس المعاني ثم قصد لجنس جنس منها معيناً بإزاء كل من ذلك طائفة طائفة من الحروف ثم قصد لتنويع الأجناس شيئاً ف شيئاً متصرفاً في تلك الطوائف **بالتقديم والتأخير والزيادة** فيها بعد أو النقصان منها مما هو كاللازم للتنويع وتكثير الأمثلة ومن التبديل لبعض تلك الحروف لغيره لعارض وهكذا عند تركيب تلك الحروف من قصد هيئة ابتداء ثم تغيرها شيئاً ف شيئاً ولعلك تستبعد هذه الاعتبارات إذ ليس طريق معرفتها عندك لكن لا يخفى عليك أن وضع اللغة ليس إلا تحصيل أشياء منتشرة تحت الضبط فإذا أمعنت فيه النظر وجدت شأن الواضع أقرب شيء من شأن المستوفي الحاذق وانك لتعلم ما يصنع في باب الضبط فيزل عنك الاستبعاً د ثم انك ستقف على جلية الأمر فيه مما يتلى عليك عن قريب.." (١)

"الفصل الثاني

في ضبط ما يفتقر إليه في ذلك

والكلام فيه يستدعي تقديم مقدمة وهي أن تلك الهيئات التي يلزم رعايتها على تفاوت بحسب المواضع وجهة **التقديم والتأخير منحصرة** بشهادة الاستقراء في أنها اختلاف كلم دون كلم اختلافا لا على نهج واحد لاختلاف أشياء معهودة فيظهر من هذا الغرض في هذا الفصل إنما يحصل بضبط ثلاثة القابل والفاعل والأثر فلنضمنه ثلاثة أبواب أحدها في القابل وهو المسمى عند أصحابنا معربا وثانيها في الفاعل وهو المسمى عاملا وثالثها في الأثر وهو المسمى إعرابا ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له جهة اقتضاء للأثر من حيث المناسبة وبالفاعل هو ما دعا الواضع على ذلك الأثر أو كان معه داعية له على ذلك وإلا فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم.." (٢)

"نحو اضرب يمتنع أن يكون ثابتا عندك ومتحققا فيمتنع أن تجعل مثله وصفا له أو خبرا ولذلك تسمعنا في مثل قوله: جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط نقول تقديره جاءوا بمذق مقول عنده هذا القول: أي يحمل المذق رائيه أن يقول لمشاهده هل رأيت الذئب قط لا يراده في خيال الرائي لون الذئب بورقته لكونه سمارا وفي مثل اضربه أو لا تضربه أنه محمول على يقال: أي يقال في حقه اضربه أولا تضربه ونفسر قراءة ابن عباس رضي الله عنه " ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين " من فرعون على لفظ من

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/١٠

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٧٦

الاستفهامي ورفع فرعون بأنه لما وصف الله تعالى العذاب بكونه مهينا بيانا لشدته وفظاعة أمره وأراد أن يصور كنهه قال من فرعون هل تعرفونه من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته في تفرعنه ما ظنكم بعذاب يكون المعذب يه مثله ثم عرف حاله في ذلك قائلا " إنه كان عاليا من المسرفين " وسيطلع من كتابنا هذا من خدمه حق خدمته على ثمرات محتجبة في أكمام. وأما الحالة التي تقتضي تأكيده فهي إذا كان المراد أن لا يظن بك السامع في حملك ذلك تجوزا أو سهوا أو نسيانا كقولك عرفت أنا وعرفت أنت وعرف زيد أو نفسه أو عينه وربما كان القصد مجرد التقرير كما يطلعك عليه فصل اعتبار **التقديم والتأخير مع** الفعل أو خلاف الشمول والإحاطة كقولك عرفني الرجلان كلاهما والرجال كلهم ومنه كل رجل عارف وكل إنسان حيوان.." (١)

"الماضي ما وجد قبل زمانك الذي أنت فيه وبالمستقبل ما يترقب وجوده وبزمان الحال أجزاء من الطرفين يعقب بعضها بعضا من غير فرط مهلة وتراخ والحاكم في ذلك هو العرف لا غير. وأما الحالة المقتضية لتقييده فهي إذا كان المراد تربية الفائدة كما إذا قيدته بشيء مما يتصل به من نحو المصدر كنحو ضربت ضربا شديدا أو ظرف الزمان كنحو ضربت يوم الجمعة أو ظرف المكان كنحو ضربت أمامك أو السبب الحامل كنحو ضربت تأديبا وفررت جبنا أو المفعول به بدون حرف كنحو ضربت أو بحرف كنحو ضربت بالسوط أو ما ضربت إلا أو المفعول معه كنحو جلست والسارية أو الحال كنحو جاء راكباً أو التمييز كنحو طاب زيد نفسا أو الشرط كنحو يضرب زيد أن ضرب عمرو أو أن ضرب عمرو يضرب زيد أخرت أو قدمت فهذه كلها تقييدات للمسند وتفاصيل يزداد الحكم بها بعدا ولم أذكر الخبر في نحو كان زيد منطلقاً لأن الخبر هناك هو نفس المسند لا تقييد للمسند إنما تقييده هو كان فتأمل وقد ظهر لك من هذا أن الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص محتملة في نفسها للصدق والكذب، واعلم أن للفعل ولما يتصل به من

المسند إليه وغير المسند إليه اعتبارات في الترك والإثبات والإظهار والإضمار والتقديم والتأخير، وله أعني الفعل بتقييده بالقيد الشرطي على الخصوص اعتبارات أيضا يذكر جميع ذلك في آخر هذا الفن في فصل لها على حدة. واما الحالة المقتضية لترك تقييده فهي اذا منع عن تربية الفائدة مانع قريب أو بعيد وأما الحالة المقتضية لكونه اسما فهي إذا لم يكن المراد إفادة التجدد والاختصاص بأحد الأزمنة الثلاثة إفادة الفعل لأغراض تتعلق بذلك. وأما الحالة المقتضية لكونه منكرا، فهي إذا كان الخبر واردا على حكاية المنكر كما

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/١٨٩

إذا أخبر عن رجل في قولك عندي رجل تصديقا لك، فقيل الذي عندك رجل أو كان المسند إليه كقولك: رجل من قبيلة كذا حاضر فإن كون المسند إليه نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا أو يصح عقلا في كلام العرب وتحقيق الكلام فيه ليس مما يهمنا الآن، وأما ما جاء من نحو قوله: ولا يك موقف منك الوداعا وقوله: يكون مزاجها عسل وماء وبيت الكتاب أظبي كان أمك أم حمار فمحمول على منوال عرضت الناقة على الحوض، وأصل الاستعمال ولا يك موقفا منك الوداع ويكون مزاجها عسل وماء وظبيا كان أمك أم حمارا، ولا تظنن بيت الكتاب خارجا عما نحن فيه ذهابا على أن اسم كان أنما هو الضمير، والضمير معرفة فليس المراد كان أمك إنما المراد ظبي بناء على أن ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء، ولذلك قدرنا الأصل على ما ترى وفي البيت اعتبارات سؤالا وجوابا فلا عليك أن تتأملها وإياك والتبخيت في تخطئة أحد ههنا فيخطئ ابن أخت خالتك وإن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة تأتي في الكلام وفي الأشعار، وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض يريدون عرضت الحوض على الناقة. وقال القطامي كما طينت بالفدن السياعا أراد كما طينت الفدن بالسياع، وقال الشماخ: كما عصب العلباء بالعود. وقال خداش: مسند إليه وغير المسند إليه اعتبارات في الترك والإثبات والإظهار والإضمار والتقديم والتأخير، وله أعني الفعل بتقييده بالقيد الشرطي على الخصوص اعتبارات أيضا يذكر جميع ذلك في آخر هذا الفن في فصل لها على حدة. واما الحالة المقتضية لترك تقييده فهي اذا منع عن تربية الفائدة مانع قريب أو بعيد." (١)

"تقدم أم تأخر فلا معرج عليه فإن المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وأنه بهذا المعنى لا يجب كونه خبرا وأن لا يوقع خبرا إلا بمعنى صاحب اسم زيد ويكون المراد من قولنا المنطلق زيد الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد. وأما ما قد يقع من نحو قوله ثم وإن لم أنم كرى كراكا ونحو قوله لعاب الأفاعي القاتلات لعابه مما لا يستقيم معناه إلا **بالتقديم والتأخير فحقه** الحمل على القلب المتقدم ذكره فاعرفه. واعلم أن القول بتعريف الحقيقة باللام واستغراقها مشكل إذا قلنا بتعريف الحقيقة القصد إليها وتمييزها من حيث هي هي لزم أن يكون أسماء الأجناس معارف فإنها موضوعة لذلك وأنه قول لم يقل به أحد، ولئن التزمه ملتزم ليكذبن في امتناع نحو رجع رجعي السريعة والبطيئة وذكر ذكرى الحسنة أو القبيحة وإنما لم أقل رجوعا السريع وذكرا الحسن قصراً للمسافة في التجنب عن حديث التنوين

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٠٩

ما هي ولئن ذهبت على أن في نحو رجل وفرس وثور اعتبار الفردية فليس فيها القصد على الحقيقة من حيث هي هي ليلزمنك المصادر من نحو ضرب وقتل وقيام وقعود ورجعي وذكرى فليس فيها ذلك بالإجماع ولزم أن يكون اللام في الرجل أو نحو الضرب لتأكيد تعريف الحقيقة إذا لم يقصد العهد وأنه قول ما قال به أحد، وإذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة القصد إليها حال حضورها أو تقدير حضورها لم يمتر عن تعريف العهد الوارد بالتحقيق أو بالتقدير لأن تعريف العهد ليس شيئاً غير القصد على الحاضر في الذهن حقيقة أو." (١)

"المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم " المراد لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على أسرارهم غيره لإبطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم، وسيأتيك بيانه في فصل **التقديم والتأخير ونظير** قولنا أنا عرفت في اعتبار الابتداء لكن على سبيل القطع قولك زيد عرفت أو عرفته وفي اعتبار التقديم عرفت، الرفع يفيد تحقيق أنك عرفت والنصب يفيد أنك خصصت بالعرفان، وأما عرفته فأنت بالخيار إن شئت قدرت المفسر قبل المنصوب على نحو عرفت عرفته وحملته على باب التأكيد وإن شئت قدرته بعده على نحو عرفت عرفته وحملته على باب التخصيص، وأما نحو قوله " وأما ثمود فهديناهم " فيمن قرأ بالنصب فليس إلا التخصيص لامتناع أما فهدينا ثمود وأما نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف في احتمال الاعتبارين على السواء بل حق المعرف حمله على وجه تقوى الحكم وحق النكر حمله على وجه التخصيص، وإنما افترق الحكم بين الصور الثلاث لأنه إذا قلنا عرف هو لم يكن هو فاعلا لما عرف في علم النحو أن ضمير الفاعل لا ينفصل إلا إذا جرى الفعل على غير ما هو له في موضع الإلباس وإذا تقدم عليها إلا صورة كنحو ما ضرب إلا هو أو معنى كنحو إنما يدافع عنك أنا إذ المعنى لا يدافع عنك إلا أنا وإذا لم يكن هو فاعلا احتمل التقديم على الفعل فإذا قلنا هو عرف كان له ذلك الاحتمال مع احتمال الابتداء لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على شرطه في قوة الفائدة بالإخبار عنه وهو تعرفه وإذا قلنا عرف زيد كان زيد مرفوعا بعرف لقلة نظائر وأسروا النجوى الذين ظلموا

وحينئذ لا يكون له احتمال التقدم على الفعل كما سبق في علم النحو فلا يكون لقولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء اللهم إلا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب عند المعرف لكونه على شرط المبتدأ وإنما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط إذ لم يمنع عن التخصيص مانع كما إذا قلت رجل جاء لصحة أن يراد الجائي رجل لا امرأة أيها السامع دون قولهم شر أهر ذاناب لامتناع أن يراد المهر الذي ناب شر لا خير، اللهم إلا

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢١٤

إذا حملت التخصيص على وجه آخر وهو الإفراد على تقدير رجل جاء لا رجلان فإنه محمل يصار إليه كثيراً عند علماء هذا النوع وشر أهر ذا ناب لا شران لكن بهذا الوجه يكون نابيا عن مظان استعماله وإذا صرح الأئمة رحمهم الله بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذاناب إلا شر، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره كما سبق فهو محزه ولما عرفت من أن بناء الفعل على المبتدأ أقوى للحكم تراهم إذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير بطريق الكناية نحو مثلك لا يبخل: أي أنك لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى أنت تجود من غير إرادة التعريض بلفظي المثل والغير على إنسانين يقصد إليهما لا يكادون يتركون تقديمها لكونه أعون للمعنى المراد بهما إذ ذاك ويتحقق هذا في علم البيان إن شاء الله تعالى. نئذ لا يكون له احتمال التقدم على." (١)

"الفعل كما سبق في علم النحو فلا يكون لقولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء اللهم إلا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب عند المعرف لكونه على شرط المبتدأ وإنما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط إذ لم يمنع عن التخصيص مانع كما إذا قلت رجل جاء لصحة أن يراد الجائي رجل لا امرأة أيها السامع دون قولهم شر أهر ذاناب لامتناع أن يراد المهر الذي ناب شر لا خير، اللهم إلا إذا حملت التخصيص على وجه آخر وهو الإفراد على تقدير رجل جاء لا رجلان فإنه محمل يصار إليه كثيراً عند علماء هذا النوع وشر أهر ذا ناب لا شران لكن بهذا الوجه يكون نابيا عن مظان استعماله وإذا صرح الأئمة رحمهم الله بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذاناب إلا شر، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره كما سبق فهو محزه ولما عرفت من أن بناء الفعل على المبتدأ أقوى للحكم تراهم إذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير بطريق الكناية نحو مثلك لا يبخل: أي أنك لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى أنت تجود من غير إرادة التعريض بلفظي المثل والغير على إنسانين يقصد إليهما لا يكادون يتركون تقديمها لكونه أعون للمعنى المراد بهما إذ ذاك ويتحقق هذا في علم البيان إن شاء الله تعالى.

فصل

واعلم أن للفعل ولما يتعلق به اعتبارات مجموعها راجع على الترك والإثبات والإظهار والإضمار **والتقديم والتأخير فلا** بد من التكلم هناك ومن التكلم على الخصوص في تقييده: أعني الفعل بالقيود الشرطية فنقول أما الترك فلا يتوجه على فاعله كما عرف في علم النحو وإنما يتوجه على نفس الفعل أو على غير الفاعل

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٢٣

لكنه لا يتضح اتضاحاً ظاهراً إلا في المفعول به كما ستقف عليه. أما الحالة المقتضية لترك الفعل فهي أن تغني قرائن الأحوال عن." (١)

"زارت عليها للظلام رواق ... ومن النجوم قلائد ونطاق

وقوله في الافتتاح:

قالت ولم تقصد ليل الخنا ... مهلا فقد أبلغت أسماعي

وأما الحالة المقتضية لكونه مظهرا فهي كون المقام غير ما ذكر أو كونه مستدعيا زيادة التعيين والتمييز كقولك: جاءني رجل فقال الرجل كذا أو مستدعيا للالتفات كقول الخلفاء يرسم أمير المؤمنين كذا مكان ارسم كذا.

وأما اعتبار **التقديم والتأخير مع** الفعل فعلى ثلاثة أنواع أحدها أن يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل له معنى كنحو أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف دون زيد عرف وثانيها أن يقع ينبه وبين غير ذلك كنحو عرفت ودرهما أعطيت وعمراً منطلقاً علمت وثالثها أن يقع بين ما يتصل به كنحو عرف زيد عمراً وعرف عمراً زيد وعلمت منطلقاً وعلمت منطلقاً وكسوت عمراً جبة وجبة عمراً ولكل منها حالة تقتضيه فالحالة المقتضية للنوع الأول هي أن يكون هناك وجود فعل وعالم به لكنه مخطئ في فاعله أو تفصيله وأنت تقصد أن ترده على الصواب كما تقول أنا سعيت في حاجتك أنا كفيت مهمك تريد دعوى." (٢)

"الاشتباه لاحتمال أن يكون من محبيك صلة دنت أو مثل الذي في قولك الحمد لله الذي بعث في الحق عيسى وأيد بهرون موسى إذا أخرت المجرور بطل السجع، ولهذا العارض هنا شيء يتفاوت جلاء وخفاء لطيفا وألطف والخواطر في مضمارها تتباين عن ضليع لا يشق غباره ومن ظالع لا يؤمن عثاره وليس السبق هناك بمجرد الكد بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء " ولله در أمر التنزيل وإحاطته على لطائف الاعتبارات في إيراد المعنى على أنحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال لا ترى شيئاً منها يراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف إلا عثرت عليه مراعي فيه من ألطف وجوه وأنا ألقى إليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لتستضيء بها فيما عسى يظلم عليك من نظائرها إذا أحببت أن تتخذها مسارح نظرك ومطارح فكرك، منها ان قال عز من قائل في سورة القصص في قصة موسى " وجاء رجل من أقصى المدينة " فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه، وقال في يس في قصة رسل عيسى عليه السلام " وجاء من أقصى المدينة

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٢٤

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٣١

" فقدم لما كان أهم يبين ذلك أنه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل وأنهم أصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين على باطلهم فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية قائلا: ما أنكدها تربة وما أسوأها منبتا ويبقى مجيلا في فكره أكانت تلك المدرة بحافاتها كذلك أم كان هناك قطر دان أو قاص منبت خير منتظرا لمساق الحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهما فكما جاء موضع له صالح ذكر بخلاف قصة موسى، ومنها أن قال في سورة المؤمنين " لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا " فذكر بعد المرفوع وما تبعه المنصوب وهو موضعه، وقال في سورة النمل " لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا " فقدم لكونه منها أهم يدلك على ذلك أن الذي قبل هذه الآية " أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون " والذي قبل الأولى (أئذا متن ا وكنا ترابا وعظاما) فالجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم ترابا وعظاما، والجهة المنظور فيها ههنا هي كون أنفسهم وكون آبائهم ترابا لأجزاء هناك من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة أنها أدخل عندهم في تعبيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد على ذكره فصيره هذا العارض أهم، ومنها أن قال في موضع من سورة المؤمنين " فقال الملأ الذين كفروا من قومه " فذكر المجرور بعد صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف، وفي موضع آخر منها " وقال الملأ من قومه الذين كفروا " فقدم المجرور لعارض صيره بالتقديم أولى وهو أنه لو أخر عن الوصف وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه " وأترفناهم في الحياة الدنيا " لاحتمل أن يكرن من صلة الدنيا واشتبه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا، ومنها أن قال في سورة طه " أمنا برب هرون وموسى " وفي الشعراء " رب موسى وهرون " للمحافظة على الفاصلة، ولنقتصر من الأمثلة على ما ذكر، فما كان الغرض إلا مجرد التنبيه دون التتبع لنظائرها في القرآن وتفصيل القول فيها خاتمين الكلام بأن جميع ما وعت أذناك من التفاصيل في هذه الأنواع الثلاثة من فصل **التقديم والتأخير هو** مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيراً بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك. الاشتباه لاحتمال أن يكون من محبيك صلة دنت أو مثل الذي في قولك الحمد لله الذي بعث في الحق عيسى وأيد بهرون موسى إذا أخرت المجرور بطل السجع، ولهذا العارض هنا شيء يتفاوت جلاء وخفاء لطيفا وألطف والخواطر في مضمارها تتباين عن ضليع لا يشق غباره ومن ظالع لا يؤمن عثاره وليس السبق هناك بمجرد الكد بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء " ولله در أمر التنزيل وإحاطته على لطائف الاعتبارات في إيراد المعنى على أنحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال لا ترى شيئاً منها يراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف إلا عثرت عليه مراعي فيه من ألطف وجوه وأنا ألقى

إليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لتستضيء بها فيما عسى يظلم عليك من نظائرها إذا أحببت أن تتخذها مسارح نظرك ومطارح فكرك، منها ان قال عز من قائل في سورة القصص في قصة موسى " وجاء رجل من أقصى المدينة " فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه، وقال في يس في قصة رسل عيسى عليه السلام " وجاء من أقصى المدينة " فقدم لما كان أهم يبين ذلك أنه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل وأنهم أصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين على باطلهم فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية قائلا: ما أنكدها تربة وما أسوأها منبتا ويبقى مجيلا في فكره أكانت تلك المدرة بحافاتها كذلك أم كان هناك قطر دان أو قاص منبت خير منتظرا لمس١ق الحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهما فكما جاء موضع له صالح ذكر بخلاف قصة موسى، ومنها أن قال في سورة المؤمنين " لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا " فذكر بعد المرفوع وما تبعه المنصوب وهو موضعه،." (١)

"وقال في سورة النمل " لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا " فقدم لكونه منها أهم يدلك على ذلك أن الذي قبل هذه الآية " أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون " والذي قبل الأولى (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) فالجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم ترابا وعظاما، والجهة المنظور فيها ههنا هي كون أنفسهم وكون آبائهم ترابا لأجزاء هناك من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة أنها أدخل عندهم في تعبيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد على ذكره فصيره هذا العارض أهم، ومنها أن قال في موضع من سورة المؤمنين " فقال الملأ الذين كفروا من قومه " فذكر المجرور بعد صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف، وفي موضع آخر منها " وقال الملأ من قومه الذين كفروا " فقدم المجرور لعارض صيره بالتقديم أولى وهو أنه لو أخر عن الوصف وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه " وأترفناهم في الحياة الدنيا " لاحتمل أن يكرن من صلة الدنيا واشتبه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا، ومنها أن قال في سورة طه " أمنا برب هرون وموسى " وفي الشعراء " رب موسى وهرون " للمحافظة على الفاصلة، ولنقتصر من الأمثلة على ما ذكر، فما كان الغرض إلا مجرد التنبيه دون التتبع لنظائرها في القرآن وتفصيل القول فيها خاتمين الكلام بأن جميع ما وعت أذناك من التفاصيل في هذه الأنواع الثلاثة من فصل **التقديم والتأخير هو**

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٣٨

مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيراً بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك.." (١)

"وصنف تبع وأتقنت أن الصنف الثاني منحصر في تلك الأنواع الخمسة البدل والوصف والبيان والتأكيد واتباع الثاني الأول في الإعراب بتوسط حرف وعلمت كون المتبوع في نوع البدل في حكم المنحى والمضرب عنه بما تسمع أئمة النحو رضي الله عنهم يقولون البدل في حكم تنحية المبدل منه ويصون بتصريح بل في قسمة الغلطى وعلمت في الوصف والبيان والتأكيد أن التابع فيها هو المتبوع فالعالم في زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو في أخوك عمرو عندي ليس غير أخوك ونفسه في جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم رجعت فتحققت أن الواو يستدعي معناه أن لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع أن يقال جاء زيد وزيد وأن يكون زيد الثاني هو زيد الأول حصل لك أن الصنف الأول ليس موضعا للعطف بأي حرف كان من حروف العطف لفوات شرط العطف فيه وهو تقدم المتبوع ولم يذهب عليك أن نحو جاء وزيد عرفت فعمراً وأتاني خالد وراكباً وما جرى هذا المجرى غير صحيح وأن نحو قوله عليك ورحمة الله السلام يلزم أن يكون عديم النظير وأن لا يسوغه إلا نية التقديم والتأخير. وأما نحو قوله عز سلطانه " وإياي فارهبون " فإنما ساغ لكون المعطوف عليه في حكم الملفوظ به لكونه مفسرا إذ تقديره وإياي ارهبوا فارهبوني على ما سبق التعرض لهذا القبيل في علم النحو. وأما نحو قوله " أو كلما عاهدوا " فساغ ليقدم حرف الاستفهام المستدعى فعلا مدلولا على معناه بقرائن مساق الكلام وهو أكفروا بآيات الله وكلما عاهدوا وحصل لك أيضا أن الأنواع الأربعة من الصنف الثاني ليس واحد منها موضعا للعطف بالواو إما لفوات شرط العطف حكماً كما في البدل لنزول قولك سلب زيد ثوبه إذا عطفت فيه منزلة سلب وثوبه حكماً، وإما لفوات شرط معناه كما في الوصف." (٢)

"لم يعطف لهم إلف خيفة أن يظن العطف على أن إخوتكم قريش فيفسد معنى البيت ولك أن تقول جاء على طريق الاستئناف قوله لهم إلف وليس إلاف وذلك أنه حين أبدى إنكار زعمهم عليهم بفحوى الحال فكان مما يحرك السامعين أن يسألوا لم تنكر فصل قوله لهم إلف عما قبله ليقع جوابا للسؤال الذي هو مقتضى الحال، ومن أمثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل " وإذا خلوا على شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم " لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع عن العطف لكان المعطوف

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٣٩

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٥٠

عليه إما جملة قالوا وإما جملة أنا معكم إنما نحن مستهزءون لكن لو عطف على إنما نحن مستهزءون لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم وهو إذا خلوا على شياطينهم لما عرفت في فصل التقديم والتأخير وليس هو بمراد فإن استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث لا يشعرون متصل في شأنهم لا ينقطع بكل حال خلوا على شياطينهم أم لم يخلوا إليهم، وكذا قوله تعالى " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون " قطع ألا إنهم لئلا يستلزم عطفه على إنما نحن مصلحون كونه مشاركا له في أنه من قولهم أو عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف اختصاص قالوا به لتقدمه عليه وهو." (١)

"اعلم أنك إذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت: ما ضرب زيد إلا عمراً على معنى لم يضرب غير عمرو، وإذا أردت قصر المفعول على الفاعل قلت ما ضرب عمراً إلا زيد على معنى لم يضربه غير زيد، والفرق بين المعنيين واضح وهو أن عمراً في الأول لا يمتنع أن يكون مضروب غير زيد ويمتنع في الثاني وأن في الثاني لا يمتنع أن يكون ضاربا غير عمرو ويمتنع في الأول، ولك أن تقول في الأول ما ضرب إلا عمراً زيد، وفي الثاني ما ضرب إلا زيد عمراً فتقدم وتؤخر إلا أن هذا التقديم والتأخير لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف قل دوره في الاستعمال لأن الصفة المقصورة على عمرو في قولنا ما ضر زيد إلا عمراً هي ضرب زيد لا الضرب مطلقا، والصفة المقصورة على زيد في قولنا: ما ضرب عمراً إلا زيد هي الضرب لعمرو، وإذا أردت قصر أحد المفعولين على الآخر في نحو كسوت جبة. قلت في قصر زيد على الجبة ما كسوت إلا جبة أو ما كسوت إلا جبة وفي قصر الجبة على زيد ما كسوت جبة إلا أو ما كسوت إلا جبة وفي نحو ظننت منطلقاً تقول في قصر زيد على الانطلاق ما ظننت إلا منطلقاً وما ظننت إلا منطلقاً وفي قصر الانطلاق على زيد ما ظننت منطلقاً إلا وما ظننت إلا منطلقاً، وإذا أردت قصر ذي الحال على الحال قلت ما جاء زيد إلا راكباً." (٢)

"تقدير ما يضرب زيد عمراً إلا يوم الجمعة، ونحو إنما يضرب زيد عمراً يوم الجمعة في السوق تقدير ما يضرب زيد عمراً يوم الجمعة إلا في السوق، وكذلك إذا قلت: إنما زيد يضرب فقدره تقدير ما زيد إلا يضرب ولا تجوز معه من التقديم والتأخير ما جوزته مع ما وإلا، ولا تقسه في ذلك عليه فذاك أصل في

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٦٢

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٢٩٧

باب القصر، وهذا كالفرع عليه، **والتقديم والتأخير هناك** غير ملبس وهنا مؤد على الإلباس، وكذلك قدر إنما هذا لك تقدير ما هذا إلا لك وإنما لك هذا تقدير مالك إلا هذا حتى إذا أردت الجمع إنما وطريق العطف فقل إنما هذا لك لا لغيرك وإنما لك هذا لاذاك إنما يأخذ زيد لا عمرو وإنما زيد يأخذ لا يعطي، ومن هذا يعثر على الفرق بين " إنما يخشى الله من عباده العلماء " وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله بتقديم المرفوع على المنصوب فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء، والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء عرى الله. واعلم أن حكم غير حكم إلا في إفادة القصرين وامتناع مجامعة لا العاطفة تقول ما جاءني غير زيد إما إفرادا لمن يقول جاء زيد مع آخر، وإما قلباً لمن يقول ما جاء زيد وإنما جاء مكانه إنسان آخر ولا تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو.

واعلم أني مهدت لك في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها، واعترف لك بكمال الحذق في صناعة البلاغة أبناؤها، ونهجت لك مناهج متى سلكتها أخذت بك عن المجهل المتعسف على سواء السبيل، وصرفتك عن الآجن المطروق على النمير الذي هو شفاء." (١)

"النوع السابع في المعاظلة اللفظية

والمعاظلة معاظلتان: لفظية، ومعنوية.

أما المعنوية:

فسيأتي ذكرها في باب **التقديم والتأخير من** المقالة الثانية، فليؤخذ من هناك.

وأما المعاظلة اللفظية:

– وهي المخصوصة بالذكر ههنا في باب صناعة الألفاظ– وحقيقتها مأخوذة من قولهم: تعاظلت الجرادتان؛ إذا ركبت إحداهما الأخرى، فسمي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه المعاظلة مأخوذا من ذلك، وهو اسم لائق بمسماه.

ووصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى فقال: كان لا يعاظل بين الكلام.

وقد اختلف علماء البيان في حقيقة المعاظلة:

فقال قدامة بن جعفر الكاتب «١» : التعاظل في الكلام هو أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه،

---

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص/٣٠٠

ولا أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة، كقول أوس بن حجر «٢» :

وذات هدم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولبا جدعا «٣»." (١)

"النوع التاسع في التقديم والتأخير

وهذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان، وسأورد ذلك مبينا.

وهو ضربان: الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

فأما الضرب الأول فإنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ؛ والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ.

فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ فكتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل.

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، كقولك: زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإن في قولك «زيدا ضربت» تخصيصا به بالضرب دون غيره، وذلك بخلاف قولك «ضرب زيدا» ؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أيّ مفعول شئت، بأن تقول: ضربت خالدا، أو بكرا، أو غيرهما، وإذا أخّرته لزم الاختصاص للمفعول.

وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، كقولك: زيد قائم، وقائم زيد؛ فقولك «قائم زيد» قد أثبتّ له القيام دون غيره، وقولك «زيد قائم» أنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه؛ بأن تقول: ضارب، أو جالس، أو غير ذلك.

وهكذا يجري الحكم في تقديم الظرف، كقولك: إن إليّ مصير هذا الأمر، وقولك: إنّ مصير هذا الأمر إليّ؛ فإن تقديم الظرف دلّ على أن مصير الأمر ليس." (٢)

"فمن ذلك قوله تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور. لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/٢٨٥

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٣٥

فإنه إنما قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي هنّ من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهمّ، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء، ولما أخر ذكر الذكور، وهم أحقاء بالتقديم، تدارك ذلك بتعريفه إياهم؛ لأن التعريف تنويه بالذكر، كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهنّ، ولكن لمقتض آخر، فقال (ذكرانا وإناثا) وهذه دقائق لطيفة قلّ من يتنبه لها أو يعثر على رموزها.

ومن هذا الباب قوله تعالى: وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء

فإنه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء، ومن حقها التأخير، لأنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم ووصل ذلك بقوله: وما يعزب

لاءم بينهما؛ ليلي المعنى المعنى.

فإن قيل: قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن.

قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقديمها من سبب اقتضاه، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض.." (١)

"النوع السادس عشر في الإطناب

هذا النوع من الكلام أنعمت نظري فيه، وفي التكرير، وفي التطويل؛ فملكتني حيرة الشّبه بينها طويلا، وكنت في ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكلالة حيث قال: قد أعياني أمر الكلالة، وكنت سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنها كثيرا حتى ضرب في صدري، وقال: «ألا يكفيك آية الصّيف «١» »

.

وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو الإطناب وجدت ضربا «٢» من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصدا للمبالغة، ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره؛ لأن من التأكيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير؛ كتقديم المفعول، وبالاعتراض «٣» ؛ كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٤٥

المعطوف والمعطوف عليه، وأشباه ذلك، وسيأتي الكلام عليه في بابه. وهذا الضرب الذي هو الإطناب ليس كذلك.

ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه؛ فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضد الإيجاز، وهو عنده قسم غيره، فأخطأ من حيث لا يدري؛ كأبي هلال العسكري، والغانمي، حتى إنه قال: إن كتب الفتوح وما جرى مجراها مما يقرأ على عوامّ الناس ينبغي أن تكون مطولة مطنبا فيها؛ وهذا القول فاسد؛ لأنه إن عنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلّم، وإن عني بذلك أنها تكون مكرّرة المعاني مطولة الألفاظ قصدا لإفهام العامة فهذا غير مسلّم، وهو مما لا يذهب إليه من عنده أدنى معرفة بعلم الفصاحة." (١)

"فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم.

الضرب الثاني-

وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا، وفي المعنى فسادا- وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير، وإنما جيء بذكره ههنا مكرّرا لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد، وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين؛ فمما ورد منه قول بعضهم «١» :

فقد والشّكّ بيّن لي عناء ... بوشك فراقهم صرد يصيح

فإن هذا البيت من رديء الاعتراض ما أذكره لك، وهو الفصل بين قد والفعل الذي هو بيّن، وذلك قبيح؛ لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال ألا تراها تعدّ مع الفعل كالجزء منه، ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل، كقوله تعالى: لقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك

وقوله تعالى: ولقد علموا لمن اشتراه

وقول الشاعر «٢» :

ولقد أجمع رجليّ بها ... حذر الموت وإنّي لفرور «٣»

إلا إن فصل بين قد والفعل بالقسم فإن ذلك لا بأس به، نحو قوله: قد والله كان ذاك، وقد فصل في هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذي هو الشّكّ وبين الخبر الذي هو عناء بقوله بيّن لي، وفصل بين الفعل الذي

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١١٩

هو بيّن وبين فاعله الذي هو صرد بخبر المبتدأ الذي هو عناء؛ فجاء معنى البيت كما تراه، كأنه صورة مشوّهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض.." (١)

"فهرس الأبواب الواردة في الجزء الثاني من كتاب «المثل الثائر، في أدب الكاتب والشاعر»

الموضوع الصفحة

"النوع السابع: في المعاظلة اللفظية

والمعاظلة: معاظلتان: لفظية، ومعنوية.

أما المعنوية: فسيأتي ذكرها في باب "التقديم والتأخير" من المقالة الثانية، فليؤخذ من هناك.

وأما المعاظلة اللفظية: فهي١ المخصوصة بالذكر ههنا في باب صناعة الألفاظ، وحقيقتها مأخوذة من

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٧٨/٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت م حيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٣٩٩/٢

قولهم: "تعاظلت الجرادتان"، إذا ركبت إحداهما الأخرى، فسمِّي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه "المعاظلة" مأخوذًا من ذلك، وهو اسم لائق بمسماه.

ووصف عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– زهير بن أبي سلمى فقال: "كان لا يعاظل بين الكلام".

وقد اختلف علماء البيان في حقيقة المعاظلة، فقال قدامة بن جعفر الكاتب٢:

---

١ في الأصل "هي".

٢ هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي، كان نصرانيًّا وأسلم على يد المكتفي بالله "٢٨٩–٢٩٥هـ"، وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء، وممن يشار إليه في علم المنطق، وقيل: هو أول من وضع الحساب، وله تصانيف كثيرة منها نقد الشعر، وكتاب الخراج، وصناعة الكتابة، وتوفي قدامة سنة ٣٣٧هـ. وللدكتور بدوي طبانة دراسة مفصَّلة في حياة قدامة ونقده، طبعت تحت عنوان: "قدامة بن جعفر والنقد الأدبي".." (١)

"النوع التاسع: في التقديم والتأخير

استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان، وسأورد ذلك مبينا.

وهو ضربان:

الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى.

والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

فأما الضرب الأول، فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: يكون التقديم فيه هو الأبلغ.

والآخر: يكون التأخير فيه هو الأبلغ.

فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ، فكتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال، أو الاستثناء على العامل.

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، كقولك: زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإن في قولك: زيدًا ضربت تخصيصا به بالضرب دون غيره، وذلك خلاف قولك: "ضرب زيدا"؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول: خالدا، أو بكرا، أو غيرهما وإذا أخرته لزم الاختصاص

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/٣٠٥

للمفعول.

وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، كقولك: زيد قائم، وقائم زيد، فقولك: "قائم زيد" قد أثبت له القيام دون غيره، وقولك: "زيد قائم" أنت بالخيار في إثبات القيام له، ونفيه عنه، بأن تقول: ضارب، أو جالس، أو غير ذلك.." (١)

"وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتها، وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار إليه، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح، والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به.

ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية، والرومية وغيرها.

واعلم أن هذا الضرب من الكلام هو ضد الفصاحة؛ لأن الفصاحة هي الظهور والبيان، وهذا عار عن هذا الوصف.

أما الضرب الثاني ١ الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فإنه مما لا يحصره حد، ولا ينتهي إليه شرح، وقد أشرنا إلى نبذة منه في هذا الكتاب؛ ليستدل بها على أشباهها ونظائرها.

فمن ذلك تقديم السبب على المسبب، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فإنه إنما قدم العبادة على الاستعانة؛ لأن تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب، وأسرع لوقوع الإجابة، ولو قال: إياك نستعين، وإياك نعبد لكان جائزا إلا أنه لا يسد ذلك المسد، ولا يقع ذلك الموقع.

وهذا لا يخفى على المنصف من أرباب هذه الصناعة.

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ٢.

---

١ سبق للمؤلف في هذا الفصل أن جعل **التقديم والتأخير ضربين**، الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

٢ سورة الفرقان: الآيتان ٤٨ و٤٩.." (٢)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٧٢/٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٨٢/٢

"يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ١.

فإنه إنما قدم الإناث على الذكور من تقدمهم عليهن؛ لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده، ثم عقب ذلك بذكر ملكه، ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان، ولا يختاره أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء.

ولما أخر ذكر الذكور، وهم أحقاء بالتقديم، تدارك ذلك بتعريفه إياهم؛ لأن التعريف تنويه بالذكر، كأنه قال: يهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهن، ولكن لمقتض آخر، فقال: "ذكرانا وإناثا"، وهذه دقائق لطيفة قل من ينتبه لها، أو يعثر على رموزها.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ٢.

فإنه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء ومن حقها التأخير؛ لأنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم، ووصل ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ لاءم بينهما، ليلي المعنى المعنى.

فإن قيل: قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن!!

قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر، فلا بد لتقديمها من سبب اقتضاه، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض!

---

١ سورة الشورة: الآيات ٤٨ و٤٩ و٥٠.

٢ سورة يونس: الآية ٦١.." (١)

"النوع السادس عشر: في الإطناب

مدخل

...

النوع السادس عشر: في الإطناب

هذا النوع من الكلام أنعمت النظر فيه، وفي التكرير، وفي التطويل، فملكتني حيرة الشبه بينها طويلًا، وكنت

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٨٥

في ذلك كعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الكلالة، حيث قال: قد أعياني أمر الكلالة١، وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيرًا، حتى ضرب في صدري، وقال: "ألا يكفيك آية الصيف"؟ وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو "الإطناب"، وجدته٢ ضربا من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصدًا للمبالغة، ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره؛ لأن من التأكيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير، كتقديم المفعول، وبالاعتراض، كالاعتراض بين القسم وجوابه، وبين المعطوف والمعطوف عليه، وأشباه ذلك وسيأتي الكلام عليه في بابه.

وهذا الضرب الذي هو الإطناب ليس كذلك.

اختلاف علماء البيان في الإطناب:

ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه، فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضد الإيجاز٣، وهو عنده قسم غيره، فأخطأ من حيث لا يدري، كأبي هلال

---

١ الكلالة من لا ولد له ولا والد، وما لم يكن من النسب لحا، أو من تكلل نسبه بنسبك كابن العم وشبهه، أو هي الأخوة للأم، أو بنو العم الأباعد، أو ما خلا الوالد والولد، أو هي من العصبة من ورث معه الأخوة للأم، ولهم أحكام يرجع إليها في قواعد الميراث.

٢ في الأصل "وجدت" من غير الضمير، والسياق يقتضيه.

٣ يفرق أبو هلال بين الاسطناب الإطناب، فالإطناب عنده بلاغة، والتطويل على؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة "وانظر الصناعتين ١٩١".." (١)

"النوع الخامس: في توكيد الضميرين "١٥١-١٥٦"

١٥١ بين النحو والبلاغة، معنى توكيد الضميرين

١٥٣ توكيد المتصل بالمتصل "١٥٢" توكيد المتصل بالمنفصل

١٥٥ توكيد المنفصل بالمنفصل

النوع السادس: في عطف المظهر على ضميره، والإفصاح به بعده "١٥٧-١٥٩"

فائدته، أمثلة من كلام العرب، ومن القرآن الكريم

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٧٨/٢

النوع السابع: في التفسير بعد الإبهام: "١٦٠-١٦٥":

١٦٠ فائدته، أمثلة من القرآن الكريم

١٦٠ الفرق بين عطف المظهر على ضميره، والتفسير بعد الإبهام

١٦٣ الإبهام من غير تفسير، أمثلة من القرآن ومن كلام العرب، ومن الشعر

النوع الثامن: في استعمال العام في النفي، والخاص في الإثبات "١٦٦-١٧١":

ما يدخل تحت هذا النوع "١٦٦" الخاص والعام "١٦٦" الأوصاف الخاصة إذا وقعت على شيئين، الأسماء المفردة الواقعة على الجنس "١٦٧"

الصفتان الواردتان على شيء واحد "١٦٨" الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد "١٧٠"

النوع التاسع: في التقديم والتأخير: "١٧٢-١٨٥":

١٧٢ ضرباه: ما يغير المعنى، وما لا يغير المعنى

١٧٢ الضرب الأول: بلاغة التقديم: تقديم المفعول على الفعل -تقديم الخبر على المبتدأ- تقديم الظرف." (١)

"فقوله: وأنت منهم، من محمود الاعتراض ونادره، وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض: لو أن الباخلين رأوك، فاعترض بين اسم أن وهو الباخلين، وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ، أو الخبر الذي هو "وأنت منهم".

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول المضرب السعدي:

فلو سألت سراة الحي سلمى ... على أن قد تلون بي زماني

لخبرها ذوو أحساب قومي ... وأعدائي فكل قد بلاني١

وهذا اعتراض بين لو وجوابها، وهو من فائق الاعتراض ونادره، وتقديره: فلو سألت سراة الحي سلمى لخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي، وفائدة: "على أن قد تلون بي زماني" أي: إنهم يخبرون عني على تلون الزمان، يريد تنقل حالاته من خير وشر، وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه ولا أبان عنه.

ومن ذلك قول أبي تمام:

وإن الغنى لي إن لحظت مطالبي ... من الشعر إلا في مديحك أطوع٢

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٣١٦

١ في الأصل نسبة الشعر للمضرب السعدي، والصواب نسبتهما إلى ابنه سوار "شرح التبريزي للحماسة ١/ ١٢٥".

٢ من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، ومطلعها:

ألا إنه لولا الخليط المودع ... وربع عفا عنه مصيف ومربع

الديوان ٢/ ٣٣٣" قال أبو الفتح عثمان بن جني: الفصل بين المضاف والمضاف إليه كثير، وقد جاء الطائي الكبير **بالتقديم والتأخير فقال**: "البيت" وتقديره أن الغنى -لو لحظت مطالبي- أطوع لي من الشعر، إلا في مديحك، أي: فإنه يطيعني في مديحك ويسارع إلي. وهذا كقوله أيضا معنى ولفظا:

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل." (١)

"الضرب الأول: يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحا ولا حسنا، فمن ذلك قول النابغة:

يقول رجال يجهلون خليقتي ... لعل زيادا لا أبا لك غافل١

فقوله: لا أبا لك، من الاعتراض الذي لا فائدة فيه، وليس مؤثرا في البيت حسنا ولا قبحا.

ومثله جاء قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم٢

وقد وردت هذه اللفظة وهي "أبا لك" في موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة حسنة كقول أبي همام:

عتابك عني لا أبا لك واقصدي٣

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم.

الضرب الثاني: وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا، وفي المعنى فسادا، وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير، وإنما جيء بذكره ههنا مكررا لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد، وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين، فمما ورد منه قول بعضهم:

---

١ من قصيدة في رثاء النعمان بن المنذر، مطلعها:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل ... وكيف تصابي المرء والشيب شامل

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٤٥

٢ من معلقته التي مطلعها.

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

٣ لم نعثر على النص في ديوانه.." (١)

"وكلا الرجلين – أعني الفرزدق وابن مطير – لم يراعيا الترتيب، وإن كان عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص به حسن الكلام البليغ، بل هو عندي نوع من صحة التفسير، ألا ترى إلى قوله تعالى: " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم " ثم قال بعد ذلك: " وأما الذين ابيضت وجوههم " ومثل ذلك قول الله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم " فإنه لما قدم ذكر الأبلغ على ما دونه – وطريق البلاغة الترقي – نعلم من هذا الترتيب أن توخي الملاءمة، وحسن الجوار أولى من حسن الترتيب، إذ كان اسم الله تعالى يختص به دون بقية أسماءه، وكان الرحمن وصفاً مختصاً به دون بقية صفاته، فأتبع الأخص بالأخص، ولتوخي الملاءمة ومراعاة حسن الجوار عدل عن الإيضاح، وتعمد **التقديم والتأخير الذي** هو أحد الوجوه الثلاثة التي يحصل بها الإشكال، فإن التنزيل لو كان في آية الطهارة، " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤسكم " لم تختلف العلماء في المسح والغسل، لكن القصد إلى نظم الكلام على الوجه الأحسن من مجاورة الملائم بالملائم ليكون لفظ الكلام مؤتلفاً مع معناه، عدل عن ذلك الترتيب إلى التقديم والتأخير، لأن كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضوء أصحابه والتابعين لهم بإحسان لم يرو أن أحداً منهم غسل رجليه قبل مسح رأسه، وإذا علم أن مسح الرأس مقدم على غسل الرجلين علم." (٢)

"أن الواجب غسل الرجل من حيث إنه سبحانه قدم ذكر مسح الرأس، ليعلمنا ترتيب غسل الأعضاء في الوضوء كما كانت في الغسل، فإن الغسل يختم فيه بغسل الرجلين، ولما أخر ذكر الرجلين أتى بالتحديد ليعلم أن الأمر فيهما معطوف على الأعضاء المغسولة، لا على العضو الممسوح، فإن المسح لم تضرب له غاية احتراساً ممن يظن أن الرجل ممسوحة، ولعربية الشافعي ومعرفته بكنه بلاغة العرب أوجب الترتيب في الوضوء، لكون الآية جاءت مرتبة للأعضاء، ولم يحفل بالتقديم والتأخير، وإن أوجب لبساً اتكالاً على ما في التحديد من دفع ذلك اللبس. وما سمعت ولا غيري بمستمع كقول الله سبحانه وتعالى: " سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون " فإن صحة التقسيم اندرجت في

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٤٧

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٨٦

صحة التفسير، واندمج الترتيب والتهذيب في صحة التقسيم، وحصل الائتلاف من حصول الترتيب، إذ قدم سبحانه النبات، وثنى بأشرف الحيوان. فكان غيره من الحيوان بطريق أولى، ثم ثلث بقوله: " ومما لا يعلمون " فاندرج تحت هذا العموم كل ما اختص الله بعلمه من المولدات الثلاث، بل من جميع المخلوقات من كل موجود سوى الله، فحصل الترقي على سنن الفصاحة، والمشي على نهج البلاغة وأتت الفاصلة في غاية التمكين، فالآية الكريمة لذلك تصلح أن تكون شاهداً للتفسير، والتقسيم، والتهذيب، والائتلاف، والتمكين، وإنما خصصت بها باب التفسير، لأنه أول مذكور فيها، ومنه تتفرع بقية ما انطوت عليه من." (١)

"باب ائتلاف اللفظ مع الوزن

قال قدامة: هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة، لم يضطر الشاعر الوزن إلى نقصها عن البقية، ولا إلى الزيادة فيها، ولا يقدم منها المؤخر، ولا يؤخر منها المقدم، ولا يدخل فيها ما يلتبس به المعنى، ولم يأت قدامة بأمثلة في هذا الباب، ولم يذكر غير ذلك بل قال أعني قدامة: كل شعر سليم من هذا الذي قدمت ذكره هو مثال لهذا الباب، لكنه أتى في عيوب الوزن بأمثلة يجب ذكرها هاهنا ليعلم أن كل بيت جاء بضدها هو شاهد لهذا الباب، كقول القائل يصف درعاً كامل:

من نسج داود أبي سَلاَّم

فإنه يريد سليمان، لكن الوزن اضطره إلى حذف الياء والنون من سليمان، وتشديد اللام وتقديم الألف على الميم.

ومثل ذلك قول الآخر " رجز ":

حتى إذا خرت على الكلكال

فإنه اضطره الوزن إلى زيادة الألف على بنية هذا الاسم، ومثال ما اضطر الوزن فيه إلى **التقديم والتأخير قول** الفرزدق طويل:." (٢)

"الاستثناء موضوع للحصر، فلا اختيار لهذا الاستثناء على الأول، وما قدرته في الاستثناء الأول يلزم مثله في هذا الاستثناء إذا أزلت منه التقديم والتأخير، وأتيت بالكلام على استقامته، قلت: الذي ميز هذا

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٨٧

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٢٢١

الاستثناء على الأول: هو ما فيه من التقديم والتأخير، فإنه على الصورة التي جاء عليها يفيد حصراً أشد من حصر جنس الاستثناء كله. والله أعلم.." (١)

"باب الإيداع

هذا الباب يسميه من لا يعرف اصطلاح أهل هذه الصناعة تضميناً، وكذلك يسمى الباب الذي بعده، وقد تقدم الفرق بين هذه الأبواب في باب التضمين، وشرح هذه التسمية أن يعمد الشاعر أو المتكلم إلى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدراً أم عجزاً، وأما الناثر فإن أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمى إيداعاً، وإن كان لنفسه سمى تفصيلاً، ومثال ما وقع من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى: " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات " وإن أوقعت الفصاحة مثل هذا غير مقصود، وكان من الأدب ألا يذكر هذا والله أعلم.

والموهم أنه مودع في الكتاب العزيز قول امرئ القيس مجزوء الرمل:

وجفان كالجواب ... وقدور راسيات

إن صحت الرواية أنه كذلك، وإن روى **التقديم والتأخير فبطل** ذلك ومثال ما وقع من ذلك في النثر قول علي عليه السلام في جواب كتابه لمعاوية: " ثم زعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم." (٢)

"من معاني مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد، ولهذا قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، وعنترة إذا كلب، والأعشى إذا طرب.

وإياك وتعقيد المعاني بسوء التركيب، واستعمال اللفظ الوحشي، فإن خير الكلام ما سبق معناه إلى القلب، قبل وصول جملته إلى السمع، فإن علي بن عيسى الرماني ذكر أن أسباب الإشكال ثلاثة وكلها تغير الكلام عن الأغلب، كالتقديم، والتأخير، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك وقد جمع هذه الأسباب الثلاثة قول الفرزدق طويل:

وما مثله في الناس إلا مملك ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

فإن الممدوح: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام ابن عبد الملك، فأبو أم هشام بن عبد الملك وهو المملك أبو إبراهيم ابن هشام بن إسماعيل المخزومي، فجد المملك وهو المملك لأمه أبو الممدوح، فالممدوح على هذا خال المملك، وحاصل معنى هذا البيت: وما مثل هذا الممدوح إلا ابن

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٣٣٨

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٣٨٠

أخته، وأما التقديم والتأخير مع قوله وما مثله البيت فإن صحته وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه، فلما قدم وأخر حصل التعقيد. وأما سلوك الطريق الأبعد، فقوله: أبو أمه أبوه، وكان يجزئه قوله: جده أبوه. وأما المشترك ففي قوله حي لصلاحية اللفظ لضد الميت، وللقبيلة. انتهى كلام الرماني.." (١)

"وائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها، والإيجاز لأنه سبحانه اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشيء في أخصر عبارة، والتسهيم، لأن أول الآية إلى قوله تعالى: أقلعي يقتضي آخرها، والتهذيب، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سمحة سهلة، مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة، مع الخلو عن البشاعة والتركيب، سليمة من التعقيد وأسبابه، والتقديم والتأخير والحذف المخل والزيادة المسهبة وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء من هذا النظام، والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة، والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وينساب انسياب العليل من الهواء، وما في مجموع الآية من الإبداع وهو الذي سمى به هذا الباب من أن كل لفظة لا تخلو عن أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع، فهذه آية عدة ألفاظها سبع عشرة لفظة تتضمن إحدا وعشرين ضرباً من البديع غير ما يتعدد من ضروبها، فإن الاستعارة وقعت منها في موضعين: وهما استعارة الابتلاع للأرض، والإقلاع للسماء. والمجاز في مكانين، في قوله سبحانه " ويا سماء " وفي الإشارة والتمثيل والإرداف لأن المجاز مجازان: مجاز بالحذف، ومجاز بالتغيير، وقد وقعا معاً فانظر رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام، لتعلم ما انطوى عليه نظمه، وما." (٢)

"ومثله في التنزيل: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾ ١ في قول من جعل عاليهم صفة لقوله تعالى: ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ فأما استنباطه زيادة المعنى في التقديم والتأخير فشيء قد تكلمنا عليه.

١٠٤- قال المصنف: ومن المواضع التي تفيد الاختصاص تقديم الظرف إذا كان الكلام إثباتا، كقولك إن إلى مصير هذا الأمر، فإنه يدل على أنه ليس مصير هذا الأمر إلا إليك، بخلاف ما إذا أخرت الظرف، فقلت إن مصير هذا الأمر إلي، فإنه لا يفيد الاختصاص؛ لأنه يحتمل أن توقع الكلام "بعد الظرف" على غيرك فتقول عوض ضميرك إلى زيد أو عمرو.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ٢.

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٤١٩

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٦١٣

أقول: إنه إنم فهم أن الإياب والحساب إلى الله تعالى من دليل آخر لا من مجرد هذا اللفظ، ولو خيلنا ومجرد هذا اللفظ لم يدل على أن الإياب والحساس ليس إلا إليه وعليه سبحانه، فإنك لو قلت إن في الدار زيدا، لم يدل ذلك على أن غيره ليس في الدار، وكذلك لو قلت وعمرا لم يتناقض الكلام.

وقد قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ ٣ ولا يدل ذلك على أن غير الرواسي لم يجعله تعالى في الأرض.

---

١ سورة الإنسان: ٢١.

٢ المثل السائر: ٢/ ٢٢٤.

٣ سورة الأنبياء: ٣١.." (١)

"فما زالَ منهم ذامرٌ ومُطاعِنٌ ... على حالةٍ أو ضارِبٌ ومُطاعِنُ

وقال أعشى عُكْل:

وَقَفْنا بها حتى مضَتْ سَورَةُ الضُحى ... نُقَضّي لُباناتٍ ونَبكي تَصابِيا

ونُهْدي تَحَياتٍ ونُبدي صَبابةً ... ونُخفي من الوجْدِ الذي ليسَ خافيا

أما البيت الأول فلا شاهِد فيه ولكنْ أثبَتْناهُ لوضوحِ البيت الثاني، ويجوز فيه التقديم والتأخير. وأما البيتُ الثاني فوجْهُ المتابعةِ فيه أنّ التحياتِ هي التي يُبدأ بها، ثمّ تبدو الصّبابةُ ويختفي بعضُه، وإنْ كان لا يَخفى كما ذكر. وقال زيادٌ الأعجم:

يالَ لُكَيْزٍ دعوةً غيْرَ ندِمْ ... أعَنَزيٌّ سبّني ثمَّتَ لمْ

يُلْطَمْ ولمْ يفجْدَعْ ولم يُخْضَبْ بدَمْ

وقال عمرو بن الحارث:

فقد يعتَري قِدري وأغْرِفُ لحْمَها ... فأصبحُ ندْماني فأكْسَبُ محمدي

الاعتراء يكون أولاً ثم الغرْف، ثم السّقي وبعد ذلك يُكتسب الحمد. وقال الجَوْنُ النَّمري:

مَنْ مُبلغٌ شيبانَ أن ... ني لم يكُنْ أمري خفِيّا

رامَيْتُه حتى إذا ... ما كان نَبلاناً نفِيّا

طاعَنْتُه حتى إذا ... ما كان رُمحانا شَطِيّا

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد ٤/٢٥٧

ضاربتُه حتى إذا ... ما كان سَيْفانا حنِيّا

أثْخَنتُه غلَباً وكا ... نَ مُمَنَّعاً قِدْماً أبِيّا

أعطيتُه رَحْلي ورا ... حلتي وكُوراً حِمْيريّا

أرأيتَ لو لدَغَتْ أخا ... كُم حيّةٌ في الأرضِ قَيّا

أو نالَهُ مرضُ المنو ... نِ فما عليَّ وما لدَيّا

ولهذه الأبيات حكايةٌ يطولُ شرحُها، وإنما نذكرُ اليسيرَ منه: وذاك أنه لما كان يومُ أوارَة، أسرَ الجَوْنُ النَمَريّ حارثةَ بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، فغلب الملكُ المنذر على الجَوْن، وأخذ منه حارثةَ فقتله وادّعَتْ بنو شيبان أنّ الجَوْنَ قتلَه، فقال هذا الشِعرَ يصف حالَه معه، فابتدأ بذكرِ الرِّماءِ الذي هو أوّلُ الحرب، وثنّى بذكرِ الطِّعان، ثم بذكرِ الضّربِ، ثم الغلَبَة لأحدِ الفريقَيْن تكون؛ فإمّا مَنٌّ أو قتلٌ، فلما استوفى ذلك، أتْبَعَهُ بعتابٍ كالمعتذِرِ إليهم، وفي هذا المثال كفاية. ومنها:

باب المَخْلَص المليح إلى الهجاء والمديح

قال عليّ بن المنجم: سألت أبي، وكان من فرسانِ العِلم بالشعر، عن أحسن مَخْلَص تخلّصَ به شاعر الى مدح أو هجو فقال: يا بُنيّ، هذا مذهبٌ تفرّد به المُحدَثون، فقلّما يتّفق الإحسان فيه لمتقدم. فأما ما وجدتُ أهلَنا ومجمعين عليه منذلك فقول محمد بن وُهَيب:

ما زاليُلْثِمُني مَراشِفَهُ ... ويعلُّني الإبريقُ والقدَحُ

حتى استردّ الليلُ خِلْعتَهُ ... وبدا خِلالَ سوادِهِ وضَحُ

وبدا الصّباحُ كأنّ غُرّتَه ... وجْهُ الخليفةِ حينَ يُمتدَحُ

وإنما نظر من هذا المعنى الى قول الأعرابي:

أقولُ والنّجْمُ قد مالَتْ مياسِرُهُ ... الى الغُروبِ تأمَّلْ نظْرَةً حارِ

ألَمْحَةً من سَنا برْقٍ رأى بصَري ... أم وجْهُ نُعْمٍ بدا لي أم سَنا نارِ

بلْ وجہُ نُعْمٍ بدا والليلُ مُعتكِرٌ ... فلاحَ من بيْنِ حُجّابٍ وأستارِ

وقال حسّان في الهجاء:

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدّثْتِني ... فنَجَوْتِ منْجَى الحارث بن هِشامِ

تركَ الأحبّةَ أن يقاتِلَ دونَهم ... ونَجا برأسِ طِمِرّةٍ ولِجامِ

وللمُحدَثين في هذا الباب أشعارٌ حسنةٌ كثيرة لا حاجةَ بنا الى الإطالة بذكرها ففيما أوردناهُ كفاية، واللهُ

الموفِّقُ للصّواب. ومنها:

باب التضمين

ويُسمّى التسميطُ والتوشيحُ، وهذا في شعار العرب قليلٌ جداً، وقد استعملَ المُحدَثون من ذلك ما لا يأتي عليه الإحصاءُ كثرةً وعدّاً، واليسيرُ منه دليلٌ على الكثير. قال الأخطل:

ولقدْ سَما للخُرَّميِّ فلمْ يَقُلْ ... بعدَ الوَنى لكنْ تضايَقَ مُقْدَمي

ضمّنَ قول عنترة:

إذْ يتّقونَ بيَ الأسنّةَ لم أخِمْ ... عنها ولكنّي تضايَقَ مُقْدَمي

وقال آخر من أبيات:." (١)

"كأنّما ضرَبَتْ قُدّامَ أعيُنِها ... قُطناً بمُسْتَحْصِدِ الأوتارِ محلوجِ

وصوابه محلوجاً. وكل ذلك إنما أتوا به بناءً على ما ورد عن العرب من قولهم: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وليس الخَرِبُ من صفة الضَبّ قال الخليل بن أحمد: قولهم: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، إنما ورد عنهم من طريق الغلط، والدليل على ذلك أنهم ثَنَّوا لم يقولوا إلا جُحرا ضَبٍّ خَربان، لأن الغلط ههنا يَبِينُ، وإنما وقع في الواحد لاجتماع الجحر والضبّ في الإفراد. وكذلك إذا جمعوا فإن الغلطَ يرتفعُ نحو قولِك: هذه جُحْرَة ضِبابٍ خَرِبَة. والمُحقِقون من أهل العلم لا يُجيزونَ العمل على الجوار، وما نحنُ بالمُغَلِّبين قولاً على قول، ولا لنا في ذلك غرَضٌ، وإنما المُولَّدُ من الشعراء لا يجوز له العمل على المجاورة، ولا ود ذلك لأحد من المولّدين المُجيدين، ولا أجاز العلماءُ بالشعر لهم ذلك، سواء كانت العرب أصابَتْ فيه أو أخطأَتْ، المقصودُ أنه محظورٌ على المولّدين.

ومما لا يجوز للمولَّدين استعمالُه، ما استعملَتْه العربُ من التقديم والتأخير، والفصل الذي لا وجهَ لشيء منه، ولا يجوز للمولّد الحذوُ عليه، ولا الاقتداء به، فإنّه لحنٌ مُستَقبَح، كقول الشاعر:

لها مُقلتا حَوراءَ طُلَّ خميلةً ... من الوحشِ ما تنفكُ ترْعى عَرارُها

أراد: لها مُقلتا حوراء من الوحش ما تنفكُ تَرعى خميلةً طُلَّ عُرارُها. وقال الآخر:

فقدْ والشَّكُ بيّن لي عَناءٌ ... بوَشْكِ فِراقِهم صُرَدٌ يصيحُ

أراد: فقد بيّن لي صُرَدٌ يصيحُ بوشْكِ فراقِهم والشّكُ عناءٌ. وقال الآخر:

فأصبحتْ بعد خَطِّ بهجتِها ... كأنّ قفراً رُسومَها قَلَما

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٣٢

أراد: فأصبحتْ بعدَ بهجتِها قفراً كأنّ قلَماً خطّ رسومَها ومثل ذلك كثير. وقد ترى ما في هذه الأبيات من الفصول والتقديم والتأخير، ومثل هذا لا يجوز للأعراب المتقدمين فضلاً عن المولّدينَ المتأخرين. ولا يجوز لأحدٍ أن يتخذهُ رسْماً يعملُ عليه.

ومما لا يجوز للمولّدين الاقتداءُ به ولا العملُ عليه لأنه لحنٌ فاحشٌ الإقواء في القافية، وذاك أن يعمل الشاعرُ بيتاً مرفوعاً وبيتاً مجروراً، كقول النابغة:

أمِن آلِ ميّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ ... عجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ

زعم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً ... وبذاك خبّرَنا الغُرابُ الأسودُ

ويا للعجب كيف ذهب ذلك عن النابغة مع حُسْنِ نقدِه للشّعر وصحّة ذوقِه وإدراكِه لغوامض أسرارِه، وقد عرَفْتَ ما أخذه عن حسان بن ثابت مما تحارُ الأفكارُ فيه، ولمّا نُبِّه على موضعِ الخطأ لم يصل الى فهمِه ولم يأبَه له حتى غنّت به قَينَةٌ وهو حاضر، فلمّا مدّدَتْ، خبّرَنا الغرابُ الأسودُ، وبيّنت الضمة في الأسود بعد الدال فطِنَ لذلك وعلِم أنّه مُقْوٍ فغيّره وقال: وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ. وكقول مُزرّدِ بن ضِرار من أبيات:

ألم تعلمِ الثعلاءُ لا دَرَّ درُّها ... فَزارةُ أنّ الحقَّ للضّيفِ واجبُ

ومنه:

تشازَرْتُ فاستشرفْتُه فرأيتُهُ ... فقلتُ له: آأنتَ زيدُ الأرانبِ؟

وكقول حسان بن ثابت:

لا بأسَ بالقَوْمِ من طولٍ ومن عِظَمٍ ... جِسمُ البِغالِ وأحلامُ العصافيرِ

كأنهم قصبٌ جُوفٌ أسافِلُه ... مثَقَّبٌ نفخَتْ فيه الأعاصيرُ

ولا يكون النصب مع الجرّ ولا مع الرفع في الإقواء. ولعمري إن الجميع لحْنٌ مردود، ولا ورَدَ عنهم شيءٌ من ذلك، وإنما يجتمع الرفعُ والجرُّ لقربِ كل واحد منهما من صاحبِه. ولأنّ الواوَ تُدغَم في الياء، وأنهما يجوزان في الرِّدفِ في قصيدة واحدة، فلما قرُبَت الواو من الياء هذا القُرب تخيّلوا جَوازَها معها وهو خطأ وغلط، وليس للمُقيَّدِ مَجْرى، أعني حركة حرف الروي، وإنما هو للمطلق، وأظنّ أنّ من ارتكبَ الإقواءَ من العرب لم يكنْ ينشِدُ الشِّعرَ مطلقاً، بل ينشدُهُ مُقيَّداً ويقف على قافيتِه. كقول دريد بن الصّمّة:

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشُهُ ... كوقعِ الصّياصي في النسيجِ المُمَدَّدْ

فأرهبتُ عنه القومَ حتّى تبددوا ... وحتى علاني حالِكُ اللون أسْوَدُ." (١)

"فيجب أن يتحفظ في الكلام المقصود به البيان نحو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنها مستندة إلى غير الحيز الذي استندت إليه، فإن الذي مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام.

١٤- تنوير: ومن ذلل الإخلال بوضع الكلام وإزالة ألفاظه عن مراتبها حتى يصير المتأخر متقدما والمتقدم متأخرا فتتداخل الألفاظ بعضها على بعض فتشكل العبارة ولا يتحقق نظامها قبل **التقديم والتأخير ولا** يعلم كيف كان. وهذا المذهب رديء جدا في الكلام.

وكان همام بن غالب الفرزدق يكثر من هذا النوع -كأنه كان يقصده - ومنه قوله: (الطويل -ق- المتدارك)

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد وما مثله فيا لناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه، ويعني بالمملك هاشما والممدوح خاله فأبوه أبو أمه، فقد أساء العبارة عما أراد.

١٥- إضاءة: وإذ قد ذكرنا جملة مما يوقع فيا لمعاني إغماضا من جهاتها أنفسها ومن جهات العبارات، وأتبعت ذكر بعض تلك الوجوه بذكر ما يميط بعض القبح الواقع بها في الكلام، فحقيق أن نصرف عنان القول عما نحن بسبيله من القول في هذا المعلم إلى غير ذلك مما يتعلق بالمعاني، إذ قد تبين أن ما قصد به البيان من القول فواجب أن تجتنب فيه تلك الوجوه المذكورة، وما قصد به الكناية أو الإلغاز والتعمية فهي لائقة به وصالحة له، فليوقع منها في كل نوع من الكنايات وفي كل ضرب من ضروب الإلغاز والتعمية ما يليق ويكون فقيه أكثر غناء من غيره.

يب- معرف دال على طرق المعرفة بأنحاء النظر في المعاني من حيث يكون فهمها متوقفا على أمر من صناعة أو غيرها أو تكون غير متوقفة على شيء من ذلك.

إن معاني منها ما يحتاج في فهمه إلى مقدمة من معرفة صناعة أو حفظ قصة. فالتي لا يحتاج في فهمها إلى مقدمة هي المعاني الجمهورية التي يشترك في فهمها الخاص والعام، وعليها مدار معظم المعاني الواقعة في الأغراض المألوفة من الشعر، وهي مستحسنة فيه.

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٤٢

١- إضاءة: والمعاني التي يحتاج في فهمها إلى مقدمة ضربان: ضرب يتوقف فهمه على المعرفة بصناعة ما لكون المعنى من تلك الصناعة أو لكون العبارة الدالة عليه من عبارات أهل تلك الصناعة وضرب يتوقف فهمه على حفظ قصة ما لكون المعنى متعلقا بتلك القصة.

٢- تنوير: فالمعاني التي يتوقف فهمها على المعرفة بصناعة ما لا يحسن إيرادها في الشعر إذا وجد عنها مندوحة، ولا يحسن فيه أيضاً أن تؤخذ ألفاظ قد نقلت إلى علم ما فتجعل العبارة بها صالحة لما تدل عليه في ذلك العلم والمتكلم لا يريد إلا المعنى الذي تدل عليه في أصل اللغة وإنما فقصد الإلغاز عن مراده. فهذا لا يحسن فيا لمقاصد التصريحية.

٣- إضاءة: وأما ما يتوقف فهمه على قصد فلا يخلو أن تكون تلط القصة مشهورة أو غير مشهورة، فإن كانت القصة مشهورة فذلك حسن، وإن لك تكن مشهورة فإن ذلك لا يستحسن.

٤- تنوير: فأما المعاني أو العبارات المتعلقة بصنائع أهلا لمهن فينبغي ألا يستعمل شيء منها لأن استعمالها فيا لشعر أشد قبحا من استعمال الألفاظ الساقطة المبتذلة.

فأما المعاني الخارجة عن صنائع أهل المهن وعما يحتاج في فهمه إلى مقدمة فهي التي يجب أن يكثر من استعمالها، فإن منزلها من المعاني منزلة الألفاظ المستعملة المفهومة التي ليست بعامية ساقطة، ولا متوعرة وحشية. وأما المعاني التي يتوقف فهمها على القصص الشهيرة عند الأدباء ومن جرى مجراهم ممن طالع التواريخ والأخبار فمنزلتها من المعاني منزلة استعمال الألفاظ التي ارتفعت عما يفهمه جميع العامة وكان علمها مقصورا على الخاصة. فأما المعاني التي يتوقف فهمها على المعرفة بعلم أو صناعة فمنزلتها من المعاني منزلة استعمال اللفظ الحوشي الذي لا يفهمه إلا الأقل من خاصة الأدباء، وكذلك الإحالة على ما لم يشتهر من الأخبار.." (١)

"٢- تنوير: ثم يقسم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ويستمر هكذا على الفصول فصلا فصلا، ثم يشرع ي نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بان يزيد الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بان ينقص منه ما لا يخل به أو بأن يعدل من بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدم بعض الكلام ويؤخر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه.

٣- إضاءة: ولا يخلو عروض الشعر من أن يكون طويلا أو قصيرا أو متوسطا: فأما الطويل فكثيرا ما يفضل

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٦٠

مقداره عن المعاني فيحتاج إلى الحشو، وأما القصير فكثيرا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها فيحتاج إلى الاختصار والحذف، وأما المتوسط فكثيرا ما تقع فيه عبارات المعاني مساوية لمقادير الأوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج فيه إلى حذف ولا حشو، لكنه يشارك الطويل والقصير في الاحتياج فيه إلى الوجوه الباقية إلى: العدل والبدل **والتقديم والتأخير أو** مجموع أكثر من واحد من ذلك.

٤- تنوير: وللأعاريض اعتبار من جهة ما تليق به من الأغراض واعتبار من جهة ما تليق به من أنماط النظم: فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط وفئة وكثير من مقصرات ما سواه من الأعاريض.

ومنها أعاريض تليق مقاصد التي تحتاج إلى جزالة نمط النظم يجب أن تنظم في سلك الأعاريض التي من شأن الكلام أن يكون نظمه فيها جزلا نحو عروض (الطويل) والكامل.

وأما المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو والاكتئاب، فقد يليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقة، وقلما يخلو الكلام (الرقيق) من ضعف مع ذلك، لكن ما قصد به من الشعر هذا المقصد، فمن شانه أن يصفح فيه عن اعتبار القوة والفخامة، لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تحاكى الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن. فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض، وذلك نحو المديد والرمل. وسيأتي لهذا زيادة بيان.

٥- إضاءة: واعلم أن الخواطر إذا تصورت فصول القصائد ومعانيها قبلا لشروع فيا لنظم، وقامت بها العبارات عن تلك المعاني قياما وهميا متخيلا، فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كل عبارة منها فيها كلمة في كل ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع، ويوجد فيها أيضاً كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأولى ولا تبلغ الثواني مبلغ الأولى فيا لكثرة، ويوجد فيها أيضاً كلم لها مقطع ثالث إلا أنها في قليل من تلك العبارات.

٦- تنوير: فللشعراء بالنظر إلى ما يجب في المطالع وما يجب في القوافي، وبالنظر إلى ملاحظة ما يجب فيها ثلاثة مذاهب: أحدها مذهب المعتنين بالمبادئ. وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالا على مقصده، ويفتتح القول بما هو عمدة في غرضه، وينظر في العبارة عن ذلك المعنى أصلح لفظة منها بالقافية؛ فإن كان مقطعها مماثلا لما تكاثر في معاني القصيدة من المقاطع المتماثلة حصلت له البغية في المبدأ والقوافي وتمكن مما أراد، وإن كان المقطع فيا لمبدأ مماثلا للمقاطع المتوسطة في مستأنف العبارات عن معاني القصيدة حصل له أيضاً كثير مما أراد واحتال في ما لم يكن فيه من العبارات ما يماثل مقطع المبدأ باجتلاب

ما يماثله على جهة إلحاقه بالعبارة ويتحرى أن يكون ذلك مفيدا، فإن لم يماثل مقطع المبدأ إلا المقاطع التي وقعت قليلة فيا لعبارات احتال في وصل ما عز فيه وأبدل المقطع بما يوجد فيه تحرى الإفادة والبعد عن التكلف ما استطاع وأبدل مكان بعض المعاني التي كان يريد أن يقولها معاني مناسبة لها في ما وقع فيها عمدة أو فضلة مفيدة مقطع مماثل لمقطع المبدأ وحذف ما لم يجد منه بدلا. فهذا مذهب.." (١)

"إنسان من غير أب ولا أم وهو آدم – عليه السلام – خلقه من تراب، وركب فيه روحا مؤيدا بالعقل ليقارن في العبادة من جعلت السماء مركزاً له وهم الملائكة، ونفسا متسلطة بالشهوة ليقارن في التناسل من جعلت الأرض مركزا له وهم الحيوانات، ومبدأ خلقه أن الله تعالى لما أراد إبرازه من العدم إلى الوجود، وامتحان إبليس له بالسجود قلبه في سنة أطوار، طور التراب وهو قوله تعالى:) ومن آياته أن خلقكم من تراب إذا أنتم بشر تنتشرون (وطور الحمأ وذلك قوله تعالى:) ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون (، وهذا الكلام يقتضي التقديم والتأخير، لأن الطين لا يكون صلصالا إلا بعد أن يكون حمأ، يقتضي ذلك، قال الزمخشري معناه) من صلصال كائن من حمأ (فيكون صفة لصلصال، وطور الطين اللازب وذلك قوله تعالى:) فاستفتهم أهم أشد خلقا من خلقنا، إنا خلقناهم من طين لازب (، وطور الصلصال وذلك قوله تعالى:) خلق الإنس ا ن من صلصال كالفخار (، ولما كان في هذا الطور كان إبليس إذا مر به، وقف ليتأمله، وفي رواية يركذه برجله، ويقول: لقد خلقت لأمر عظيم، ويقال كان يدخل من فيه، ويخرج من دبره لأنه كان أجوف، وطور التسوية وهو جعل الخزفة التي هي الصلصال عظما ولحما ودما، وإنما كانت الأطوار على هذا الترتيب لأن التراب الذي هو المبدأ الأول كان متفرق الأجزاء فجبل بالماء حتى اجتمعت أجزاؤه، فصار حمأ مسنونا أي طينا مائعا متغير الرائحة إذ من عادة الماء إذا خالطه شيء غير لونه وطعمه وريحه لا سيما إذا كان ما خالطه ترابا، ثم ترك الحمأ برهة حتى نقصت رطوبته، واشتد فصار طينا وهو المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة، واللازب الذي يلصق بما لامسه، وهو اللازم أيضا، وفي هذا الطور كان تخطيط الصورة وتشكيلها، وتقدير أعضائها، وتفصيلها، ثم ترك الطين حينا صار صلصالا كالفخار، وهو الطين الذي أصبح خزفا وترك حتى جف وسمعت له صلصلة، أي صوت كما يسمع للفخار إذا طبخ بالنار، ثم كانت التسوية وهي إحالة هذه الخزفة إلى جسم حيواني يصلح مسكنا للروح الروحاني وكل طور من هذه الأطوار على ما حكاه ابن منده، أربعون سنة فيكون مجموع كونه حمأ مسنونا إلى أن صار طينا لازبا، إلى أن صار صلصالا كالفخار ثم إلى سوي مائة وعشرون سنة من سني

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٦٥

الدنيا، ثم نفخ فيه الروح فصار حيا ناطقا وقال علي عليه السلام، مشيرا إلى ما أودع جسد آدم عليه السلام من أسرار التخليق: جمع سبحانه من حزن الأرض، وسهلها وعذبها، وسبخها تربة شنها بالماء حتى اختلطت، ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمعها حتى استمسكت، وأجلدها حتى صلصلت لوقت معدود وأجل محدود ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يتخيلها وفكر يتصرف فيها، وجوارح يختدمها وأدوات تقلبها، فيعرف بها الأذواق والمشام والألوان، والأنواع والأجناس، وبهذا الاعتبار تكون تمام الحكمة الآلهية في تخليق الإنسان أظهر مما في سائر المخلوقات، لأنه خلقه من ضدين متباينين، وجوهرين متغايرين، وذلك أن الروح علوي، والبدن سفلي والعلوي والسفلي ضدان، والروح نوراني، والجسد ظلماني والنور والظلمة ضدان " والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان " والروح سماوي والبدن أرضي، والسماوي والأرضي ضدان، ويستظرف قول أبي إسحاق الصابي في معنى هذا:

جملة الإنسان جيفة ... وهيولاه سخيفة

فبماذا ليت شعري ... قبل النفس الشريفة

إنما ذلك فيه ... حكمة الله اللطيفة

وقال آخر:

من أين للطين القيام بنفسه ... أو أين للفخار أن يتكلما

لو لم يكن روح الحياة تمده ... ما كان من أسمائه يتعلما

وقال آخر:

لم يكن الون غير نكر ... سلافة الكرم عرفته

فآدم أصله تراب ... ونفخة الروح شرفته

الضرب الثاني." (١)

"الجزء الثامن عشر

[تتمة الفن الخامس في التاريخ]

[تتمة القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية]

[تتمة الباب الأول من القسم الخامس في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله]

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما يتّصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى السنة التاسعة من الهجرة؛ ولذلك سمّيت سنة الوفود. وذلك أنّ العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة وإسلام هذا الحىّ من قريش؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلّى الله عليه وسلّم مكة- شرفها الله تعالى- وأسلم من أسلم من قريش، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة، ودخلوا فى دين الله أفواجا، كما قال الله تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً.

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع فى طبقاته الكبرى، ونذكر ما أورده ابن سعد ممّن ذكرهم أبو محمد عبد الملك ابن هشام رحمه الله، إلا أنّا نبدأ من ذلك بذكر من وفد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، ثم نذكر من وفد عليه صلّى الله عليه وسلّم بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكّة، نقدّمهم على حسب السابقة، ثم نذكر من عدا هؤلاء من الوفود الذين وفدوا فى سنة تسع وما بعدها؛ نرتّبهم على ما رتّبهم محمد ابن سعد فى طبقاته فى التقديم والتأخير، ونستثنى منهم من تقدّم ذكره؛ فنقول وبالله التوفيق:." (١)

"المشرق، إلا أنا لما ذكرنا أخبار الدولة الأموية بالأندلس ومن ملك الأندلس بعد بنى أمية، احتجنا إلى ذكر إفريقية «١» وبلاد المغرب، لتكون الأخبار يتلو بعضها بعضا. ولم نقدم أيضا ذكر الأندلس على إفريقية، مع كون إفريقية فتحت قبل الأندلس إلا للضرورة التى دعت إلى ذكر أخبار الدولة الأموية بالأندلس تلو الدولة العباسية. ولا ضرر فى التقديم والتأخير، لأنا لم نجعل التاريخ على حكم مساق السنين بل على الدول.

وأول دولة قامت على الدولة العباسية الدولة الأموية بالأندلس.

ولنذكر الآن فتوح إفريقية، ومن وليها.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤/٦

"ويصرف فيما تحتاج إليه المدرسة المذكورة من الحصر والقناديل والبصاقات الزّجاج والأطباق النحاس والسلاسل والأباريق والجرار وجميع ما يحتاج إليه بالمدرسة المذكورة ما يراه، ويؤدى إليه اجتهاده.
ويصرف الناظر فى كل سنة فى ملء الصهريج من بحر النيل المبارك ثمن ستمائة راوية ما يراه ويؤدى إليه اجتهاده.
وجعل الواقف أعز الله نصره النظر فى هذا الوقف لعتيقه الطواشى شجاع الدّين عنبر بن عبد الله الحرّ اللّالا [١] أيام حياته، ثم من بعده يكون النظر للأمثل فالأمثل من عتقاء الواقف فإن استوى اثنان فأكثر قدّم الأكبر سنا مع ظهور الأهلية لذلك، فإن استووا أقرع بينهم ثم بعدهم يكون النظر لعتقاء والد الواقف للمذكور الأمثل فالأمثل صح منهم فإن استوى اثنان فأكثر قدّم الأكبر سنّا مع ظهور [٢] أهليته لذلك، فإن استووا أقرع بينهم، فإن انقرض عتقاؤه وعتقاء والده أو تعذر نظر أحد منهم كان النظر فى ذلك والولاية عليه لحاكم المسلمين، فإن عاد إمكان نظر من تعذّر نظره عاد النظر إليه، فإن تعذر أيضا كان لحاكم المسلمين يجرى الحال فى ذلك أبد الآبدين.
وفى ظهر كتاب الوقف المذكور إسجال على قاضى القضاة شمس الدين أحمد السّروجى الحنفى، يتضمّن أن الحاكم الآيل النظر إليه يكون مالكّى المذهب. وشرط الواقف أن لكل من له وظيفة فى هذا الوقف المذكور أن يستنيب عنه عند ضرورة لسفر أو مرض، وأن لكلّ من المدرسين والطلبة والمعيدين البطالة المعروفة فى رجب وشعبان ورمضان وعشر ذى الحجة من كل سنة على جارى العادة فى مثل ذلك، وأن من شرط هذا الواقف أن يتعاهد إثباته عند الحكام، ويحفظ بتواتر الشهادات، كل ذلك بعد البدأة بعمادة الوقف ومرمّته وصلاحه وإصلاحه [٣] وما فيه الإفضاء إلى بقاء عينه، ودوام منفعته، ونموّ غلّته، وما فضل بعد ذلك يصرف فى المصارف المعينة فيه على أنّ الناظر فيه يؤجّره وما شاء منه مدة سنة فمادونها بأجرة المثل فما فوقها،

---

[١] اللالا: أى المربى.
[٢] فى ك «من ظهور» وما أثبته من ص.
[٣] فى ص «وإصلاحه وصلاحه» بالتقديم والتأخير.." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٧١

"واستهلت سنة [٩٣] ست عشرة وسبعمائة بيوم الجمعة

فى هذه السنة فى يوم السبت الثالث والعشرين من المحرم الموافق للثانى والعشرين من برمودة من شهور القبط بعد العصر سمع بالقاهرة هدّة عظيمة تشبه الصاعقة ورعد وبرق، ووقع مطر كثير وبرد على قلعة الجبل والقاهرة وضواحيها ولم يكن مثل ذلك بمصر، وقع مطر كثير بمدينة بلبيس حتى خرّب كثيرا من البنيان بها، وكان ذلك كلّه فى مضىّ ساعة ونصف ساعة.

وفى هذه السنة فوّض قضاة القضاء الحنابلة

بدمشق إلى شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح محمد بن مسلم بن مالك ابن مزروع [١] الحنبلى أعاد الله من بركته ووصل إليه بتقليد القضاء من الأبواب السلطانية فى يوم السبت ثامن صفر، وقرئ بجامع دمشق بحضور القضاة والأعيان، وخرج القاضى شمس الدين المذكور من الجامع ماشيا إلى دار السعادة، فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلعة السلطانية وتوجّه إلى جبل الصالحية، وجلس للحكم فى سابع عشر صفر وما غير هيئته ولا عادته فى مشيه وحمل حاجته، ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط، بل يضعه [٢] بيده ويجلس عليه، ويكتب فى محبرة زجاج، ويحمل نعله بيده فيضعه على مكان، وإذا قام من مجلس الحكم حمله بيده أيضا حتى يصل إلى آخر الإيوان فيلقيه ويلبسه، هكذا أخبرنى من أثق بأخباره، واستمر على ذلك، وهذه عادة السلف.

ذكر حادثة السيول والأمطار [٣] ببلاد الشام وما أثر [٤] ما وقع من العجائب التى لم تعهد

وفى هذه السنة فى أوائل صفر وقع بالشام مطر عظيم على جبال قارا [٥] وبعلبك، وعلى مدينة حمص والمناصفات، وامتد إلى بلاد حماه، وحلب، وسقط مع المطر برد كبار، البردة منها قدر النارنجة وأكثر منها وأصغر، ووزن بعضها بعد يومين أو ثلاثة فكان وزن البردة ثلاث أواقى [٦] بالشامى، وجرى من ذلك

---

[١] انظر ترجمته فى ذيول العبر ص ١٤١، ١٤٩، والبداية والنهاية ١٤: ١٢٦، والدرر الكامنة ٤: ٢٥٨، وشذرات الذهب ٦: ٧٣، وقد توفى فى سنة ٧٢٦ هـ.

[٢] كذا فى ك، وف. وفى ص «بل نصفه فى يده» .

[٣] فى ص «ذكر حادثة الأمطار والسيول» بالتقديم والتأخير.

[٤] كذا فى ك، وف. وفى ص «وما أمل» .

[٥] جبال قارا وبعلبك تقع فى الطريق بين حمص ودمشق (معجم البلدان) .
[٦] كذا فى الأصول.." (١)

"العين وطويت القدور النحاس والصاجات الحديد فصار بعضها على بعض، وحملت الريح جارية طوالى من مكان إلى مكان آخر مسافة وكان إلى جانب بيوت طوالى بيوت عرب فاحتملت الريح لهم أربعة أجمال وارتفعت فى الجو وعادت قطعا، وهلك دواب كثيرة، ووقع بعد ذلك برد ومطر [١] زنة القطعة من البرد ثلاث أواق ودونها ورسم نائب السلطنة بكشف هذه الحادثة، وندب من جهته من توجه لكشفها فكشفت ونظم بصورة الحال محضرا وقع الأشهاد فيه على من شاهده وجهزت نسخة المحضر إلى الأبواب السلطانية وغيرها.

ذكر هدم الكنيسة [٢] بحارة الروم

وفى يوم الاثنين الخامس من شهر ربيع الآخر أمر السلطان بهدم الكنيسة المعروفة بكنيسة بربارة بحارة الروم بالقاهرة، وكان سبب ذلك أن النصارى أنهوا أنه قد استهدم بعضها وسألوا تمكينهم من [٣] إعادته واعتنى لهم [٤] من اعتنى ممن كان منهم فرسم لهم بذلك فلم يقتصروا على إعادة ما رسم لهم بإعادته بل تحيلوا وتمحلوا وعمروها ظاهرا بالأسرى [٥] والآلات العظيمة والمشدين من جنس المسلمين [٦] تجاهر النصارى بذلك ولا يكتمونه ولا يتحاشون من فعله فانتدب المسلمون لذلك ورفعوا قصصا للسلطان وأنهوا فيها صورة الحال فأمر بهدمها فهدمها العوام [٧] فى ساعة واحدة وبنوا بصدرها محرابا وعلقوا فيه قنديلا وأقاموا شعار الإسلام من الأذان والصلاة والتسبيح وقراءة القرآن، ثم رسم بعد ذلك بمنع المسلمين من الصلاة فيها وسد بابها فى بقية الشهر، وجعلت مزبلة ألقى السكان من المسلمين الذين حولها زبائل بيوتهم فيها، فلما كان فى سلخ جمادى الأولى من السنة رسم [٨] بإعادة ماهدمه المسلمون فيها بالقصب دون البناء وسد بابها وعطلت.

---

[١] فى ص، وف «مطر وبرد» بالتقديم والتأخير.
[٢] انظر السلوك ٢/١: ١٨٢.
[٣] فى ص «على» .
[٤] فى ص، وف «بهم» .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٣/٣٢

[٥] لم يشر المقريزى إلى استخدام الأسرى ولا أحب أن الأسرى كانوا يستخدمون فى بناء الكنائس.
[٦] كذا فى ك. وفى ص، وف «جند» .
[٧] يقول المقريزى فى السلوك ٢/١: ١٨٢ «إن السلطان رسم لمتولى القاهرة علم الدين سنجر الخازندار بخراب ما جدد فيها من البناء، فنزل إليها علم الدين واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله وهدم ما جدد فيها.
[٨] ويقول المقريزى فى نفس المرجع «وإن صدور مرسوم الإعادة كان بمسعى كريم الدين فاستجاب السلطان له» .." (١)

"بذلك [١] لتربية الشيخ جمال الدين بن الصابونى له، وكان قد تزوج خالته ورباه وقرأ عليه شيئا من الحديث ولازمه فعرف به، وغلبت عليه [٢] هذه النسبة.
سمعت عليه- رحمه الله تعالى- كتاب السنن لأبى داود وسليمان بن الأشعث السجستانى [٣] بالقاهرة بالمدرسة الناصرية بقراءة ولده الشيخ جمال الدين أحمد فى جماعة.
وسمعت عليه أيضا وعلى الشيخ زين الدين أبى محمد عبد الحق ابن فتيان بن عبد المجيد القرشى [٤] جمعا كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم بسندها إلى مؤلفه القاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبى، وذلك بالمدرسة الناصرية أيضا بقراءة الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين الهكارى، فى مجالس ثمانية آخرها فى اليوم الثانى عشر من شعبان عام ثمانية وسبعمائة، وتوفى القاضى زين الدين ابو بكر بن بدر الدين نصر بن شمس الدين الحسين الأسعردى وكيل بيت المال بالديار المصرية وناظر الحسبة بالقاهرة وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان وكان كثير السكون والعقل رحمه الله تعالى وإيانا.
ذكر إراقة الخمور بالمدينة السلطانية وتبريز وغيرها من ممالك التتار [٤]
وفى العشر الأول من شعبان أمر أبو سعيد بإراقة الخمور فأريقت، وكان سبب ذلك أنه وقع فى شهر رجب بالمدينة السلطانية برد كبار وزنت واحدة [٥] منها فكانت ثمانية عشر درهما، وأهلك ذلك مواشي كثيرة، وأعقبه سيل خيف منه على البلد، واشتد الخوف ولجأ الناس إلى الله تعالى ثم سلم البلد فسأل

---

[١] فى ك «من ذلك» والتصويب من ص، وف.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٢٨٧

[٢] هذا اللفظ زيادة من ص، وف.

[٣] فى ك «السختيانى» والمثبت من ص، وف.

[٤] من هنا إلى آخر الجزء ساقط من ك، والمثبت من ص، وف. وانظر خبر إراقة الخمر بعاصمة التتار فى ذيول العبر ١١٠، والبداية والنهاية ١٤: ٩٧.

[٥] كذا فى ص. وفى ف «وزنت منها واحدة» بالتقديم والتأخير.." (١)

"لينفق من تلك المواد، وليسلك فى الوصول إلى صناعته تلك الجواد «١» ، وإلا فليعلم أنه فى واد والكتابة فى واد.

قال: وأمّا الأمور الخاصّة التى تزيد معرفتها قدره، ويزين العلم بها نظمه ونثره،

فإنّها من المكمّلات لهذا الفنّ وإن لم يضطرّ إليها ذو الذهن الثاقب، والطبع السليم، والقريحة المطاوعة، والفكرة المنقّحة، والبديهة المجيبة، والرويّة المتصرّفة، لكنّ العالم بها متمكّن من أزمّة المعانى، يقول عن علم، ويتصرّف عن معرفة، وينتقد بحجّة، ويتخيّر بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب؛ فمن ذلك علم المعانى والبيان والبديع، والكتب المؤلّفة فى إعجاز الكتاب العزيز، ككتب الجرجانىّ والرمّانىّ والإمام فخر الدين السكّاكىّ والخفاجىّ وابن الاثير وغيرهم؛ وذكر فى كتابه جملا بهذه المعانى [وأورد أيضا أمورا أخرى تتصل بذلك «٢» من خصائص] الكتابة وهى الاقتباس والاستشهاد والحلّ، وأتى عدى ذلك بشواهد وأمثلة، وسأذكر فى هذا الكتاب ملخّص ما اورده فى ذلك باختصار «٣» وزيادة عليه.

فأمّا علوم المعانى والبيان والبديع،

فمنها: ذكر الفصاحة، والبلاغة والحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والخبر وأحكامه، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار، ومباحث إنّ وإنّما، والنظم والتجنيس، والطباق، والمقابلة، والسجع، وردّ العجز على «٤» الصدر، والإعنات «٥»." (٢)

"كذّبت القائل فى قوله: زيد بن عمرو كريم، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما.

وأما التقديم والتأخير

- قال: اذا قدّم الشيء على غيره فإما أن يكون فى نيّة التأخير، كما اذا قدّم الخبر على المبتدإ؛ وإما أن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٣٥/٣٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٥/٧

يكون فى نية التأخير ولكن انتقل الشيء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى اسمين جاز أن يكون كلّ واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ، كقولك: زيد المنطلق، والمنطلق زيد. قال الجرجانىّ: قال صاحب الكتاب: كأنهم يقدّمون الذى بيانه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم، مثاله: أن الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجىّ مفسد ولا يبالون من صدر القتل منه، وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدّم ذكر الخارجىّ [فيقول «١»] قتل الخارجىّ زيد، ولا يقول: قتل زيد الخارجىّ لأنه يعلم أن قتل الخارجىّ هو الذى يعنيهم، وإن كان قد وقع قتل من رجل يبعد فى اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدّم المخبر ذكر الفاعل فيقول: قتل زيد رجلا لاعتقاد الناس فى المذكور خلاف ذلك. انتهى كلام الجرجانىّ.

قال: ولنذكر ثلاثة مواضع يعرف بها ما «٢» لم يذكر:

الأوّل الاستفهام

- فإذا أدخلته على الفعل وقلت: أضربت زيدا؟

كان الشكّ فى وجود الفعل، وإذا أدخلته على الاسم وقلت: أأنت ضربت زيدا؟

كان الفعل محقّقا والشكّ فى تعيين الفاعل. وهكذا حكم النكرة، فإذا قلت: أجاءك رجل؟ كان المقصود: هل وجد المجىء من رجل؟ فإذا قلت: أرجل جاءك؟ كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجىء من إنسان؛ وقس عليه." (١)

"أو لتنديم الفاعل، كما تقول لمن يركب الخطر: أتخرج فى هذا الوقت؟.

وإن أدخلته على الاسم فهو لإنكار صدور الفعل من ذلك الفاعل إما للاستحقار كقولك: أأنت تمنعنى؟. أو للتعظيم كقولك: أهو يسأل الناس؟. أو للمبالغة إما فى كرمه، كقولك: أهو يمنع سائله؟؛ وإما فى خساسته، كقولك: أهو يسمح بمثل هذا؟. وقد يكون لبيان استحالة فعل ظنّ ممكنا، كقوله تعالى: أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ

وكذلك إذا أدخلته على المفعول، كقوله تعالى: أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا

وأَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ

وأَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ.

الثانى فى **التقديم والتأخير فى** النفى

- إذا أدخلت النفى على الفعل فقلت:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٣/٧

ما ضربت زيدا فقد نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد، وهذا لا يقتضى كون زيد مضروبا.
وإذا أدخلته على الاسم فقلت: ما أنا ضربت زيدا اقتضى من باب دليل الخطاب كون زيد مضروبا، وعليه قول المتنبى:
وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كلّه ... ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر
ولهذا يصح أن تقول: ما ضربت إلا زيدا، وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس، ولا يصح أن تقول: ما أنا ضربت إلا زيدا، وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس.
أما الأوّل فلأنّ نقض النفى بإلّا يقتضى أن تكون ضربته، [وتقديمك «١» ضميرك وإيلاءه حرف النفى يقتضى ألا «٢» تكون ضربته] فيتدافعان.]." (١)
"وأما الثانى فلأن أوّل الكلام يقتضى أن يكون زيد مضروبا، وآخره يقتضى ألا يكون مضروبا فيتناقضان.
إذا عرف هذا فى جانب الفاعل فإنه مثله فى جانب المفعول، فإذا قلت: ما ضربت زيدا لم يقتض أن تكون ضاربا لغيره، وإذا قلت:
ما زيدا ضربت اقتضى ذلك، ولهذا صحّ ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح [ما «١»] زيدا ضربت ولا أحدا من الناس.
وحكم الجار والمجرور حكم المفعول، فإذا قلت: ما أمرتك بهذا لم يقتض أن تكون قد أمرته بشىء غير هذا، وإذا قلت: ما بهذا أمرتك اقتضاه.
وإذا قدّمت صيغة العموم على السلب وقلت: كلّ ذا لم أفعله، برفع كلّ كان نفيا عامّا، ويناقضه الإثبات الخاصّ، فلو فعلت بعضه كنت كاذبا.
وإن قدّمت السلب وقلت: لم أفعل كلّ ذا كان نفيا للعموم ولا ينافى الإثبات الخاصّ، فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا، ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كلّ ونصبه فى قول أبى النجم:
قد أصبحت أمّ الخيار تدّعى ... علىّ ذنبا كلّه لم أصنع
فإن رفعته كان النفى عامّا، واستقام غرض الشاعر فى تبرئة نفسه من جملة الذنوب، وإن نصبته كان النفى نفيا للعموم، وهو لا ينافى إتيان بعض الذنب فلا يتم غرضه.
الثالث فى **التقديم والتأخير فى** الخبر المثبت

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧/٦٥

– ما تقدّم فى الاستفهام والنفى قائم هنا، فإذا قدّمت الاسم وقلت: زيد فعل وأنا فعلت فالقصد الى الفاعل، إما لتخصيص ذلك الفعل به، كقولك: أنا شفعت فى شأنه مدّعيا الانفراد بذلك." (١)

"الذى تعلق بها من المنفىّ «١» عاما فى كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة، فإذا قلت: ما فى الدار كريم، كنت نفيت الكينونة فى الدار عن كل شيء يكون الكرم صفة له، وحكم الإنكار «٢» أبدا حكم النفى، فأما إذا أخرت شركاء فقلت: وجعلوا الجنّ شركاء [لله «٣» فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالإنكار جعل الجنّ شركاء] لا جعل غيرهم، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، فقدّم شركاء نفيا لهذا الاحتمال.

فصل فى مواضع التقديم والتأخير

قال: أما التقديم فيحسن فى مواضع:

الأول أن تكون الحاجة إلى ذكره أشدّ،

كقولك: قطع اللّصّ الأمير.

الثاني: أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده،

كقوله تعالى:

وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ

فإنه أشكل بما بعده وهو قوله: فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ*

وبما قبله وهو: مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ*.

الثالث: أن يكون من الحروف التى لها صدر الكلام،

كحروف الاستفهام والنفى، فإنّ الاستفهام طلب فهم الشيء، وهو حالة إضافية فلا تستقلّ بالمفهومية فيشتدّ اتصاله بما بعده.

الرابع: تقديم الكلىّ على جزئياته،

فإن الشيء كلما كان أكثر عموما كان أعرف فإن الوجود لما كان «٤» أعمّ الأمور كان أعرفها عند العقل.

الخامس: تقديم الدليل على المدلول.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٦/٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٩/٧

"تنبيه

قال: كاد تقرّب الفعل من الوقوع، فنفيها ينفى القرب، فإن لم يكن فى الكلام دليل على الوقوع فيفيد نفى الوقوع ونفى القرب منه، كقوله تعالى: لَمْ يَكَدْ يَراها

[أى لم «١» يراها] ولم يقارب وأيتها، وكقول ذى الرمد:

إذا عير النأى المحبين لم يكد «٢» ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

المعنى أن براح حبّها «٣» لم يقارب الكون فلا عن أن يكون.

وأما النظم

- فهو عبارة عن توخى معانى النحو فيما بين الكلم، وذلك أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر فى كل باب إلى قوانينه والفروق التى بين معانى اختلاف صيغه «٤» ، وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير، ومواضع الفصل والوصل، ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها، وتعتبر الإصابة فى طريق التشبيه والتمثيل.

وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم، وأن لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام فى غرابة معناه إلى ما بلغ، وأنّ سبب فساده [ترك «٥»] العمل بقوانين النحو واستعمال الشيء فى غير موضعه.

ثم قال: الجمل الكثيرة إذا نظمت نظما واحدا فهى على قسمين:

الأوّل: أن لا يتعلّق البعض بالبعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر ورويّد فى استخراجه، بل هو كمن عمد إلى اللآلئ ينظمها فى سلك، ومثاله قول الجاحظ." (١)

"فى مصنّفاته: جنّبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعروف نسبا، وبين الصدق سببا، وحبّب اليك التثبّت، وزيّن فى عينك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحقّ، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذلّ الطمع، وعرّفك ما فى الباطل من الذّلة، وما فى الجهل من القلّة. وكقول النابغة للنّعمان وتفضيله إياه على ذى فائش يزيد «١» بن أبى جفنة، وكقول حسّان ابن ثابت للحارث الجفنّى يفضّله على النعمان بن المنذر، وكقول ضرار بن ضمرة لمعاوية فى وصف علىّ؛ وقد تقدّم شرح أقوالهم فى الباب الأوّل من القسم الثالث من هذا الفن فى المدح، وهو فى السفر الثالث فلا حاجة بنا الى إعادته. وهذا النظم لا يستحق الفضل إلا بسلامة معناه وسلامة «٢» ألفاظه، إذ ليس فيه معنى دقيق لا يدرك إلا بثاقب الفكر.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٧/٧

قال: وربما ظنّ بالكلام أنه من هذا الجنس ولا يكون منه، كقول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا ... أنصاره بوجوه كالدنانير

فإن الحسن فيه ليس مجرّد الاستعارة، بل لما فى الكلام «٣» من التقديم والتأخير، ولهذا لو أزلت ذلك وقلت: سالت شعاب الحيّ بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة.." (١)

"يقتضى «١» آخرها؛ والتهذيب، لأنّ مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، عليها رونق الفصاحة، سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير؛ والتمكّن، لأن الفاصلة مستقرّة فى قرارها، مطمئنّة فى مكانها؛ والانسجام، وهو تحدّر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء؛ وما فى [مجموع «٢»] الآية من الإبداع، وهو الذى سمّى به هذا الباب. فهذه سبع عشرة لفظة تضمّنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها.

وأما الانفصال-

فهو أن يقول المتكلّم كلاما يتوجّه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدّخل، كقول أبى فراس:

ولقد نبّيت إبليس ... إذا راك يصدّ

ليس من تقوى ولكن ... ثقل فيك وبرد

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلوّ «٣» الاحتراس من الدّخل عليه من كلّ وجه.

وأما التصرف-

فهو أن يتصرّف المتكلّم فى المعنى الذى يقصده، فيبرزه فى عدّة صور: تارة بلفظ الاستعارة، وطورا بلفظ التشبيه، وآونة بلفظ الإرداف وحينا بلفظ الحقيقة، كقول امرئ القيس يصف الليل:

وليل كموج البحر مرخ سدوله ... علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لمّا تمطّى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل

فإنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة، ثم تصرّف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال:." (٢)

"بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه- جلّ ثناؤه- أمره ونهيه ومراده، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دخلاء «١» على اللغة لا علم لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنّب اللفظ المشترك، والمعنى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧/٨٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧/١٧٧

الملتبس، فإنه إن ذهب ليكاتب على معنى قول الله تعالى: وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وكقوله تعالى:

بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ

احتاج أن يبيّن أن معناه: اسأل أهل القرية، وأهل العير، وبل مكركم باليل والنهار؛ قال: وكذلك لا يجوز أيضا فى الرسائل والبلاغات المنثورة ما يجوز فى الأشعار الموزونة، لأن الشاعر مضطرّ، والشعر مقصور مقيّد بالوزن والقوافى، فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يحذف منها، واغتفروا «٢» فيه سوء النّظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار فى موضع الإظهار، وذلك كله غير سائغ فى الرسائل، ولا ج ائز فى البلاغات؛ فمما أجيز فى الشعر من الحذف قول الشاعر:

قواطنا مكّة من ورق الحما

يريد الحمام، وكقول الآخر:

صفر الوشاحين صموت الخلخل

يريد الخلخال، وكقول الحطيئة:

فيها الرماح وفيها كلّ سابغة ... جدلاء مسرودة من فعل «٣» سلّام

يريد سليمان، وكقول الآخر:

وسائلة بثعلبة بن سير ... وقد علقت بثعلبة العلوق «٤»." (١)

"ومقدّمى الحلقة، ومضافيهم إلى مقدّم كبير من أمراء المائة، ويسمّى هذا الأمير: مقدّم الألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين «١» جريدة عدّة، يضع فيها اسم مقدّم الألف وعدّته من غير تفصيل لأسمائهم وقبالة اسمه عبرة «٢» إقطاعه، ما هو لخاصّه، وما هو لأصحابه؛ ثم أمراء الطّبلخاناه كلّ أمير وعدّته، وعبرة إقطاعه، على ما تقدّم فى مقدّم الألف، ويرتّبهم فى **التقديم والتأخير على** مراتبهم؛ ثم أمراء العشرات كذلك؛ ثم يذكر مقدّمى الحلقة فيعيّن اسم المقدّم ونسبته وأتباعه إن كان له أتباع، وعبرة إقطاعه، ثم يذكر مضافيه من الحلقة على هذا الحكم، ويرتّبهم بحسب مراتبهم، يبدأ فى كلّ تقدمه باسم المقدّم، ويختم باسم النقيب، ليسهل عليه طلب كلّ جندىّ من مقدّمه، ويطلبه مقدّمه من نقيبه؛ وإن انتقل أمير أو جندىّ من مقدّم ألف أو مقدّم حلقة وانضاف إلى مقدّم آخر نقله لوقته لئلّا يضطرب عليه حالهم، ويلتبس أمرهم؛ وكذلك أيضا يفعل فى المماليك السلطانيّة من إضافة كلّ جماعة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٧/٧

منهم إلى مقدّم من أعيانهم، ويميّز أرباب الوظائف منهم: من السلاحداريّة «٣» والحربداريّة والرّمحداريّة والجمقداريّة «٤» والزّردكاشيّة «٥»." (١)

"ونقصا فى صناعته؛ ويقبح به أن يعتمد على غيره فيه ويقلّده، ويرجع اليه فى المجلس الذى هو ممّن يشار اليه فيه، فيصير فى ذلك المجلس تابعا بعد أن كان متبوعا، ومقلّدا لغيره، ومسطّرا بقلمه ما لم يعرفه وما هو أجنبىّ عنه؛ هذا إن اتّفق أن يحضر المجلس من له معرفة بهذا العلم؛ فأمّا إن خلا المجلس ممن يعلم ذلك جملة كان أشدّ لتوقيف «١» الأمر وتعطيله، ودفعه من وقت الى آخر، وفى هذا من النقص والتقصير والإخلال برتبته، وعدم الاتصاف بالكمال فى صناعته، ما لا يخفى على متأمّل.

وأما معرفة صناعة الوراقة فى الأمور التى ذكرناها

- فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذى لبّ، لأنّ الكاتب إذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقرّ عليه الاصطلاح: من **التقديم والتأخير ومتابعة** الكلام وسياقته، وترصيعه وترصيفه، حسن موقعه، وعذبت ألفاظه، واشرأبّت له النفوس، ولو بلغ الكاتب فى الفقه والعربيّة واللغة ما عساه أن يبلغ ولم يدر المصطلح، وخرج الكتاب من يده وقد حرّره على قواعد الفقه والعربيّة من غير أن يسلك فيه طريق الكتّاب واصطلاحهم، مجّته الأسماع، ولم تقبله النفوس كلّ القبول، وثقل على قارئه وسامعه؛ والله أعلم.

فهذه لمعة كافية من فوائد ما قدّمناه ممّا يحتاج الكاتب الشّروطىّ الى معرفته؛

[ذكر ما اصطلح عليه الكتاب من أوضاع الوراقة]

فلنذكر الآن صورة ما اصطلح عليه الكتّاب من أوضاع الوراقة فى الأمور التى قدّمنا ذكرها على ما استقرّ عليه الحال فى زماننا هذا، ممّا يضطرّ إليه المبتدئ، ولا يكاد يستغنى عنه المنتهى؛ فنقول:." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠٤/٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦/٩

فأما علوم المعانى والبيان والبديع ٣٥

وأما الحقيقة والمجاز ٣٧

وأما التشبيه ٣٨

وأما الاستعارة ٤٩

فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله ٥٢

فصل فى أقسام الاستعارة ٥٦

وأما الكناية ٥٩

وأما التعريض ٦٠

وأما التمثيل ٦٠

وأما الخبر وأحكامه ٦١

وأما **التقديم والتأخير ٦٣**

فصل فى مواضع التقديم والتأخير– أما التقديم ٦٩

وأما التأخير ٧٠

وأما الفصل والوصل ٧٠

وأما الحذف والاضمار ٧٥

فصل فى حذف المبتدا والخبر ٧٧

فصل– الإضمار على شريطة التفسير الخ ٧٩

وأما مباحث إن وإنما. أما إنّ ٨٠

وأما إنما ٨٣." (١)

"هذه الكلمات جريا على مصطلح كتّاب الدواوين فى استعمالها؛ كما أننا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف فى هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغويّة فى صيغ الجموع وتعدية الأفعال، كأن يعدّى الفعل بنفسه ومقتضى اللغة أن يتعدّى بالحرف، أو العكس، أو أن يعدّيه بحرف واللغة تقتضى تعديته بحرف آخر؛ وغير ذلك مما استعمله المؤلف متّبعا فيه اصطلاح كتّاب الدواوين فى ذلك العهد ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولم نغيّر بعض هذه الاستعمالات، بل أبقينا الأصل فيها على حاله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمةج ٤/٧

لعلمنا أنها ترد كثيرا فى عبارات كتّاب الدواوين، وأوّلنا ما يستطاع تأويله منها.

أمّا الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجد صفحة من أصوله التى بين أيدينا خالية من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض، يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل، وبحث غير قليل، وتحفّظ من الخطإ، وحسن اختيار فى المحو والإثبات، وتفهّم لما يقتضيه السياق من المعانى والأغراض، ومعرفة بأساليب الكتّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر، ليكون المحو والإثبات تابعين لما تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها، ومكان الفائدة منها، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفّح جملتها.

أمّا طريقتنا فى التصحيح فقد كنّا نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما يستطاع حملها عليه من المعانى، ونقلّبها على ما تحتمله من الوجوه، ونقرأ مادّة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانّها، فاذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلّبنا حروفها بين التحوير والتغيير، والتقديم والتأخير، والحذف والزيادة،." (١)

"الفن الأول: علم المعاني ١.

تعريف الخطيب:

وهو علم٢ يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال٣.

---

١ قدم المعاني على البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب، فاتصال المعاني بالبيان كاتصال المفرد بالمركب، ونسبته إليه من جهة التوقف، وإن كان توقف المركب على المفرد من جهة كونه جزءًا له، بخلاف توقف البيان على المعاني فعلم المعاني كالمفرد والبيان بمنزلة المركب، وذلك؛ لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان "من حيث أنها شرط في الاعتداد بمثمرته التي هي الإيراد، فليس المراد اعتبارها في البيان على سبيل الجزئية له؛ لأنه ليس مركبًا من اعتبار المطابقة وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، فإن الرعاية أمر خارج عن البيان ليست جزءًا منه ولا فائدة له، وإنما هي شرط للاعتداد بفائدته، فاعتبرت فيه من تلك الحيثية، وأما الإيراد فهو فائدة علم البيان ومقصود منه، فاعتبر فيه من تلك الحيثية، مع زيادة شيء آخر هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة.. فثمرة علم المعاني تشبه الجزء من علم البيان لتوقفه عليها من حيث اعتبار ثمرته، فالرعاية والإيراد يشبهان أجزاء علم البيان لتوقفه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمة ج ٦/٨

عليهما، فكان علم المعاني بمنزلة الجزء، لكونه ثمرته المقصودة منه كالجزء. وإنما قلنا من حيث اعتبار ثمرته؛ لأن تحققه لا يتوقف على رعاية المطابقة، ومنه يمكن تحقق ملكة يقتدر بها على إيراد المعنى بطرق مختلفة وضوحًا وخفاء من غير رعاية للمطابقة، ولا شك أن هذه الملكة تسمى علم البيان.

٢ أي ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية، ويجوز أن يراد به الأصول والقواعد المعلومة.

٣ أي يطابق بها اللفظ مقتضى الحال، وذلك احتراز من الأحوال التي ليست بهذه الصفة، مثل الإعلال والإدعام والرفع والنصب وما أشبه ذلك مما لابد منه في تأدية أصل المعنى، وكذا المحسنات ،البديعية من التجنيس والترصيع ونحوهما مما يكون بعد رعاية المطابقة ... والمراد أنه علم تعرف به هذه الأحوال من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال، لظهور أن ليس علم المعاني عبارة عن قصور معاني التعريف والتنكير مثلًا، وبهذا يخرج عن التعريف علم البيان إذ ليس البحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الحيثية......
والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من **التقديم والتأخير والإثبات** والحذف وغير ذلك.

ومقتضى الحال على التحقيق هو الكلام الكلي للتكيف بكيفية مخصوصة على ما أشير إليه في المفتاح وصرح به الشيرازي في شرحه - وذلك حيث يقول السكاكي في تعريف علم المعاني: هو تتبع خواص تراكيب البلغاء إلخ، فهو يشير إلى أن المقتضى هو الكلام المتكيف بتلك الكيفيات؛ لأ ن الذي يذكر إنما هو الكلام لا الحذف والتقديم إلخ.. وأورد أن الذي يذكر إنما هو الكلام الجزئي لا الكلي فهو كالكيفيات لا يذكر، إلا إ ن قلنا أنه شاع وصف الكلي بوصف جزئياته-، لا نفس الكيفيات من **التقديم والتأخير والتعريف** والتنكير على ما هو ظاهر عبارة المفتاح وغيره، ولو أريد بمقتضى الحال الكيفيات لا الكلام، لما صح القول بأنها أحوال بها يطابق اللفظ مقتضى الحال؛ لأنها عين مقتضى الحال.. وأحوال الإسناد أيضًا من أحوال اللفظ باعتبار أن التأكيد وتركه مثلًا من الاعتبارات الراجعة إلى نفس الجملة. وتخصيص اللفظ بالعربي مجرد اصطلاح؛ لأن الصناعة إنما وضعت لذلك.." (١)

"ولم يقدر تقديم وتأخير، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسمًا١ ظاهرًا. فإنه لا يفيد إلا تقوي الحكم.

واستثني٢ المنكر كما في نحو رجل جاءني، إن قدر أصله جاءني رجل، لا على أن "رجل" فاعل جاءني بل على أنه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في جاءني، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إن الذين ظلموا بدل من الواو في أسروا، وفرق بينه وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٥٢/١

انتفي تخصيصه، إذ لا سبب لتخصيصه سواه، ولو انتفي تخصيصه لم يقع مبتدأ بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف.

ثم قال: وشرطه أن لا يمنع من التخصيص مانع كقولنا: رجل جاءني، أي لا امرأة أو رجلان، دون قولهم: شر أهر ذا ناب، أما على التقدير الأول فلامتناع أن يراد المهر شر لا خير٤ وأما على

---

١ أي معرفة نحو: زيد قام، هذا ويلاحظ أن مثل "أنا قمت" على رأي السكاكي يفيد التقوي عند انتفاء الشرط الثاني ويفيد التخصيص عند وجود الشرط الثاني مع وجود الشرط الأول اللازم له.

٢ أي السكاكي. هذا ومراد السكاكي بالمنكر الذي استثناه هو المنكر الذي لا يفيد الحكم عليه حال تنكيره وهو الخالي عن مسوغ الابتداء به؛ لأنه المحتاج إلى اعتبار التخصيص وإلا بأن كان المنكر يصح الكم عليه بدون اعتبار **التقديم والتأخير نحو**: كوكب انقض: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ فلا حاجة لاعتبار التخصيص فيه **بالتقديم والتأخير ولا** بغيره.

٣ أي السكاكي.

٤ فيه نظرًا؛ لأن التخصيص قد يكون في المنزل منزلة المجهول وقد يكون لمجرد التوكيد، فاختصاص الشر بالهرير وإن كان معلومًا يجوز أن ينزل منزلة المجهول ويستعمل فيه القصر أو أنه استعمال فيه على سبيل التأكيد أو لجهل المخاطب عن أن المهر لا يكون إلا شرًّا.." (١)

"تنبيه:

كثير مما في الباب١ والذي قبله٢ غير مختص بالمسند إليه والمسند، كالذكر والحذف وغيرهما٣ مما تقدمت أمثلته، والفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما٤ لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما٥.

---

١ يعني باب المسند.

٢ يعني باب المسند إليه.

٣ من التعريف والتنكير **والتقديم والتأخير والإطلاق** والتقييد وغير ذلك.

٤ أي في البابين.

٥ من المفاعيل والملحقات بها والمضاف إليه، وإنما قال: "كثير مما في هذا الباب إلخ"ولم يقل: "كل

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٢/٦٥

ما في هذا الباب"؛ لأن بعضها مختص بالبابين كضمير الفصل المختص بما بين المسند إليه والمسند وككون المسند مفردًا فعلا فإنه مختص بالمسند إذ كل فعل مسند دائمًا، وقيل هو إشارة إلى أن جميعها لا يجري في غير البابين كالتعريف فإنه لا يجري في الحال والتمييز وكالتقديم فإنه لا يجري في المضاف إليه، وفيه نظر؛ لأن قولنا: "جميع ما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بهما" لا يقضي أن يجري شيء من المذكورات في كل واحد من الأمور التي هي غير المسند إليه والمسند فضلًا عن أن يجري كل منها فيه إذ يكفي لعدم الاختصاص بالبابين ثبوته في شيء مما يغايرهما.." (١)

"الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت﴾ ، وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعول فيذكران، وهذا النوع الذي لم يذكر مفعوله قيل له محذوف نحو: ﴿مَاْ وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاْ قَلَى﴾ - وحذف المفعول لغرض لفظي كتناسب الفواصل مثل ما ودعك ربك وما قلى وكالإيجاز مثل فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، أو لغرض معنوي كاحتقاره مثل كتب الله لأغلبن أي الكافرين أو استهجان التصريح به مثل قول عائشة: ما رأيت منه ولا رأى مني أي العورة أو العلم به أو الجهل به أو تعظيمه أو الخوف منه.

ويقول السكاكي: "واعلم أن للفعل وما يتعلق به اعتبارات مجموعها راجع إلى الترك والإثبات والإظهار والإضمار والتقديم والتأخير، فلا بد من التكلم هناك وعلى الخصوص في تقييده -أعني الفعل- بالقيود الشرطية، فتقول: أما الترك فلا يتوجه إلى فاعله كما عرف في علم النحو وإنما يتوجه إلى نفس الفعل أو إلى غير الفاعل، لكنه لا يتضح اتضاحًا ظاهرًا إلا في المفعول به كما ستقف عليه١. ثم تكلم السكاكي على الحالة المقتضية لترك الفعل٢، وعلى الحالة المقتضية لإثباته٣ -ثم تكلم على الحالة المقتضية لترك مفعوله٤- ثم تكلم على اعتبار **التقديم والتأخير مع** الفعل بأنواعه الثلاثة:

فأحدها: أن يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل له معنى مثل: هو عرف.

وثانيها: أن يقع بينه وبين غير ذلك مثل: زيدًا عرفت.

وثالثها: أن يقع بين ما يتصل به كنحو: عرف زيد عمرًا وعرف عمرًا زيد.

---

١ ٩٧ المفتاح.

٢ ٩٧-٩٩ المرجع.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١٣٧/٢

٣ ٩٩ المرجع.

٤ ٩٩-١٠٠ المرجع.." (١)

"أ- لأنه مسند إليه فذكره في باب المسند إليه أليق.

ب- ثم الأحوال التي يريدها هنا الذكر والترك والتقديم والتأخير، والترك لا يأتي في الفاعل؛ لأنه لا يحذف. ولكن قال العصام: إن المتعلق في عرف العربية كأنه مختص بما سوى الفاعل ولهذا قال نلبسه دون تعلقه؛ لأن الفاعل ملابس لا متعلق.

وقال أيضًا: ينبغي أن يقول: أحوال متعلقات الفعل وما في معناه مما يعمل عمله. وقال أيضًا: المتكلم: تارة يريد الإخبار عن الفعل أي الحدث من غير تلبس فاعل ولا مفعول فيقول وقع ضرب ونحوه وليس في هذا التركيب شيء من متعلقات الضرب- وتارة يراد فاعله فيؤتى بالفعل الصناعي الذي هو مشتق من الحدث الذي يريد الإخبار به فيذكر فاعله أبدًا عند البصريين إلا في مواضع مستثناه، ويجوز الحذف عند الكسائي. ثم إن كان متعديًا: فتارة يقصد الإخبار بالحدث والمفعول دون الفاعل فيبنى للمفعول فيقال ضرب زيد، وتارة يقصد الإخبار بالفاعل ولا يذكر مفعوله فهو على ضربين:

أ - أن يقصد إثبات المعنى للفاعل أو نفيه عنه على الإطلاق، إلخ، فالمتعدي حينئذ كاللازم فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار بتعلقه بالمفعول ولا يقدر؛ لأن المقدر كالمذكور. وهذا القسم لا يتأتى في الفاعل بل متى ذكر الفعل الصناعي وجب الإتيان بالفاعل أو نائبه. ثم قال السبكي: وهذا حقيقة اللازم فلا ينبغي أن يقال هو كاللازم وكأنهم يعنون باللازم حقيقة. ثم هذا القسم نوعان كما قال الخطيب: أن يجعل إطلاق الفعل كناية عنه متعلقًا بمفعول مخصوص دلت عليه القرينة، أو لا يجعل كذلك.

ب- أن لا يكون كذلك بأن لم يقطع النظر عن المفعول بل قصد ولم يذكر لفظًا فيقدر بحسب القرائن.

٣- وفي لام متعلقات الفعل وجهان: أنها بكسر اللام أي أحوال.." (٢)

"وقبح "هل زيدًا ضربت١" لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قدم عليه، ولم يقبح "هل زيدًا ضربته" لجواز تقدير المحذوف والمفسر مقدمًا كما مر٢.

وجعل السكاكي٣ قبح "هل رجل عرف" لذلك٤ أي لما قبح له "هل زيدًا ضربت"، ويلزمه أن لا يقبح نحو

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١٧٤/٢

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١٧٦/٢

"هل زيد عرف٥" لامتناع تقدير **التقديم والتأخير فيه** عنده على ما سبق٦.

---

١ أي من كل مثال تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة وهو ما يتقدم فيه المفعول على الفعل. وسر القبح كما ذكر أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل فيكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال. وإنما لم يمتنع لاحتمال أن يكون زيدًا مفعول فعل محذوف أو أن تقديمه للاهتمام لا للتخصيص وحينئذ فلا يكون التقديم مستدعيًا للتصديق بحصول الفعل فلا تكون هل لطلب حصول الحاصل، لكن ذلك خلاف الظاهر –قال السعد: وفيه نظر؛ لأنه لا وجه لتقبيحه حينئذ سوى أن الغالب في التقديم هو الاختصاص وهذا يوجب أن يقبح "وجه الحبيب أتمنى" على قصد الاهتمام دون الاختصاص ولا قائل به، وعلى هذا يكون القبح مخصوصًا بتقدير الفعل وحينئذ يراعي ما حصل في نفس الأمر فإن قصد التخصيص امتنع وإن قصد تقدير الفعل قبح وإن قصد الاهتمام لم يقبح ولا يراعي في القبح المظنة كما في ابن يعقوب.

٢ فيكون التقدير هل ضربت زيدًا ضربته فيكون السؤال حينئذ عن أصل ثبوت الفعل لا عن المفعول.

٣ راجع ١٣٣ من المفتاح.

٤ أي؛ لأن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل لما سبق من مذهبه من أن الأصل "عرف رجل" على أن "رجل" بدل من الضمير في "عرف" قدم للتخصيص.

٥ لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل مع أنه قبيح بإجماع النحاة للفصل بين هل والفعل بالاسم مع أنها إذا رأت الفعل في حيزها لا ترضى إلا بوجوده بجوارها، قال الشاعر:

مليحة عشقت ظبيا حوى حورا ... فمذ رأته سعت فورًا لخدمته

كهل إذا ما رأت فعلًا بحيزها ... حنت إليه ولم ترض بفرقته

٦ فإن التقديم فيه ليس للتخصيص المستدعي لحصول التصديق بأصل للفعل. بل للا هتمام قالوا: وفيه نظر؛ لأن ما ذكره من اللزوم ممتنع لجواز أن لا يقبح لعلة أخرى فانتفاء علة من علل القبح وهي كون التقديم للتخصيص لا يستلزم انتفاء جميع العلل بل يجوز أن يقول فيه بالقبح لعلة أخرى.." (١)

"البناء على الابتداء١ دون تقدير **التقديم والتأخير كما** مر في نحو أنا ضربت فلا يفيد في تقوي الإنكار.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٥٨/٣

ومن مجيء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه﴾ ٢؟، وقول جرير:
ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح
أي الله كاف عبده وأنتم خير من ركب المطايا؛ لأن نفي النفي إثبات، وهذا مراد من قال أن الهمزة فيه للتقرير أي للتقرير بما دخله للنفي لا للتقرير بالانتفاء٣ وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى٤.

---

١ فهي عنده للتقوي لا للتخصيص.
٢ راجع ص٢٥ ما اتفق لفظه للمبرد.
٣ فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذي دخلت عليه الهمزة بل بما يعرف المخاطب من ذلك الحكم إثباتًا أو نفيًا، فالحكم السابق -وهو أن الهمزة يليها المقرر به- أغلبي لا كلي، وقيل هو كلي والمجيز لكونها للتقرير هو الزمخشري والمصنف ليس على مذهبه بل عقده للإنكار. ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه﴾ ، قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه﴾ ؟ فالهمزة فيه للتقرير بما يعرفه عيسى عليه السلام مما يتعلق بهذا الحكم وهو أنه لم يقل: "اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" لا بأنه قد قال ذلك -هذا وقد تكلم السبكي على الآية في "٢٩٣ و٣٠٧/ ٢ من الشروح".
٤ أي لا يلي فيها الفعل الهمزة التي هي للإنكار كالصورة السابقة -ومثل الفعل ما في معناه كاسم الفاعل- وهذه الصورة هي أن يلي الهمزة معمول الفعل ثم يعطف على ذلك المعمول بأم أو بغيرها.." (١)

"وهي نحو قولك أزيدًا ضربت أم عمرًا، لمن يدعي أنه ضرب إما زيدًا وإما عمرًا دون غيرهما؛ لأنه إذالم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفي من أصله لا محالة وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْن﴾ ؟ أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرم مع أن المراد إنكار التحريم من أصله. وكذا قوله: ﴿آللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ ، إذ معلوم أن النهي على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله، إلا أن اللفظ أخرج مخرجه إذا كان الأمر كذلك ليكون أشد لنفي ذلك وإبطاله، فإنه إذا نفي الفعل عما جعل فاعلًا له في الكلام ولا فاعل له غيره لزم فيه من أصله، قال السكاكي رحمه١ الله: وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذي سبق في نحو أنا ضربت وأنت ضربت وهو ضرب. من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في الوجهين، فلا تحمل

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٧٤/٣

نحو قوله تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُم﴾ على التقديم٢، فليس المراد أن الإذن ينكر من الله دون غيره، ولكن أحمله على الابتداء مرادًا منه تقوية حكم الإنكار. وفيه نظر؛ لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب أعني ما يكون الاسم الذي يلي الهمزة فيه مظهرًا لا يفيد توجه الإنكار إلى كونه فاعلًا للفعل الذي بعده فهو ممنوع، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قدر تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم٣.

---

١ ١٣٦ من المفتاح.

٢ اعترض على السكاكي بأن مذهبه يجيز في المعرف الحمل على التقديم فكيف يقول: "فلا تحمل على التقديم" فكأنه بنى هذا على مذهب القوم لا على مذهبه هو.

٣ لأنه الاسم هنا ظاهر معرف فلا داعي عندہ لتقدير التقديم والتأخير؛ لأنه يجوز الابتداء به دون هذا التقدير فيحمل عنده على الابتداء لإفادة التقوي.." (١)

"الفصل الرابع فى [التقديم والتأخير]

اعلم أن الألفاظ تابعة للمعانى كما سنقرره فى خاتمة هذا الكتاب بمعونة الله تعالى، والمعانى لها فى التقديم أحوال خمسة:

الحالة الأولى [تقدم العلة على معلولها] عند القائلين بها

، وهذا كتقدم الكون على الكائنية، والعلم على العالمية، وهكذا سائر العلل والمعلولات عند من أثبتها، وهم أكثر المعتزلة وطوائف من الأشعرية، فأما نحن فلا نراها، بل الكون هو نفس الكائنية، والعلم هو نفس العالمية، من غير أمر وراء ذلك، واستقصاء الرد على من أثبتها قد قررناه فى الكتب الكلامية، وأنهينا فيه القول نهايته، ونحو تقدم الأسباب على مسبباتها، وهذا نحو تقدم السراج على ضوئه، فإن تقدم هذه الموجبات على موجباتها يكون تقدما ذهنيا، لا زمانيا، لأن الموجب لا يتراخى عن موجبه.

الحالة الثانية [التقدم بالذات] ،

وهذا نحو تقدم الواحد على الاثنين على معنى أن الوحدة لا يمكن تحقق الاثنينية إلا بعد سبقها، وليس من باب العلة والمعلول، فإن الوحدة ليست علة فى الاثنينية بخلاف ما قررناه فى الحالة الأولى.

الحالة الثالثة [التقدم بالشرف] ،

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٧٥/٣

وهذا نحو تقدم الأنبياء على الأتباع، والعلماء على الجهال، فهذا تقدم معقول يخالف ما تقدم.

الحالة الرابعة [التقدم بالمكان]

، وهذا نحو تقدم الإمام على المأموم، ونحو تقدم من يقرب إلى الحائط دون من تأخر عنه، فمن يلى الحائط فإنه يقال: إنه سابق على من تأخر عنه، وهكذا القول فى غيره من الأمكنة.

الحالة الخامسة [التقدم بالزمان]

، وهذا نحو تقدم الشيخ على الشاب، والأب على الابن، فإن الوالد." (١)

"مختصا بها من غيرها من سائر صفاته، بخلاف ما لو قلت: جاء زيد راكبا، فإنه كما يجوز أن يجىء على هذه الصفة فإنه يجوز مجيئه على غيرها من الصفات فافترقا.

الصورة الخامسة [الاستثناء]

فى نحو قولك: ما ضربت إلا زيدا أحدا، فإنك إذا قدمته فإنه يفيد الحصر، وأنه لا مضروب لك سواه، وهكذا لو قلت: ما ضربت أحدا إلا زيدا؛ فالصورتان دالتان على الحصر لما كان الاستثناء متصلا بالمفعول، بخلاف قولك: ضربت زيدا، فإنه غير مفيد للحصر، فكما يجوز أن تضربه يجوز أن تكون ضاربا لغيره وهكذا القول فى غيره من المسائل فإنها تختلف حالها باختلاف التقديم والتأخير.

التقرير الثانى فى بيان ما يجوز تقديمه ولو أخر لم يفسد معناه

اعلم أن الشيئين إذا كان كل واحد منهما مختصّا بصفة تقتضى تقديمه على الآخر فأنت بالخيار فى تقديم أيهما شئت، وهذا كقوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ

[فاطر: ٣٢] فإنما قدم الظالم لنفسه لأجل الإيذان بكثرتهم وأن معظم الخلق على ظلم نفسه، ثم ثنى بعدهم بالمقتصدين لأنهم قليل بالإضافة إلى الظالمين، ثم ثلث بالسابقين وهم أقل من المقتصدين، فلا جرم قدم الأكثر، ثم بعده الأوسط، ثم ذكر الأقل آخرا لما أشرنا إليه، ولو عكست هذه القضية فقدم السابق لشرفه على الكل، ثم ثنى بالمقتصد لأنه أشرف ممن ظلم نفسه لم يكن فيه إخلال بالمعنى، فلا جرم روعى فى ذلك تقديم الأفضل فالأفضل، ومما ينسحب ذيله على ما قررناه من الضابط قوله تعالى: وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً (٤٩)

[الفرقان: ٤٩] فقدم حياة الأرض لأنها سبب فى حياة الخلق، فلأجل هذا قدمت لاختصاصها بهذه

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/٣٣

الفضيلة، ثم قدم حياة الأنعام على حياة الناس، لما فيها من المعاش للخلق والقوام لأحوالهم، فراعى في التقديم ما ذكرناه، ولو قدم سقى الخلق على سقى الأنعام لاختصاصهم بالشرب، وقدم سقى الأنعام على الأرض لكان له وجه؛ لأن الحيوان أشرف من غيره، فكل واحد منهما مختص بفضيلة يجوز تقديمه لأجلها، فلأجل هذا ساغ فيه الأمران كما ترى، ومما نورده من ذلك." (١)

"«إلا» سواء تقدم الفاعل أو تأخر عن المفعول، ومما جاء فى حصر الفاعل قوله تعالى:

إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ

[فاطر: ٢٨] فالمعنى أنه لا خاشى لله إلا هم، وأنهم هم المستبدون بمراقبة الله تعالى: وتعظيم شأنه من بين سائر الخلق، ولو كان الحصر واقعا فى المفعول لانعكس المعنى، فلو قال إنما يخشى العلماء الله، لكان تقديره ما خشى العلماء إلا الله، وعلى هذا يكون الحصر فى المخشّى لا فى الخاشى ويفيد أن المخشى هو الله دون غيره، وعند هذا لا يمتنع أن يشارك العلماء غيرهم فى خشية الله، فعلى المعنى الأول الخشية محصورة فى العلماء، وعلى المعنى الثانى الله المخشى دون غيره، ومع هذا يكون مخشيا للعلماء ولغيرهم، وسرّ التفرقة بين المعنيين إنما يحصل من جهة ما ذكرناه من انحصار الفاعل، والمفعول بعد «إلا» كما قررناه، وإنما كان الحصر مختصا بإلا، ولم يكن حاصلا قبلها؛ لأن الحصر من أثر «إلّا» وأثر الحرف لا يحصل إلا بعده، ولا يكون حاصلا قبله، الوجه الثانى الحصر فى الصفات، أما حصر الأسماء عليها، فكقولك: ما زيد إلا قائما، فإنك نفيت أن يكون زيد على صفة من الصفات إلا صفة القيام، وأما حصرها على الأسماء فكقولك: ما قائم إلا زيد فإنك نفيت أن يكون القيام لأحد إلا لزيد، فالحصر إنما يتناول ما بعد «إلا» كما قررناه، فعلى هذا يكون اعتبار المسائل فى الأسماء والصفات فى الحصر، فإن قال قائل هل يكون قوله تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَ

[الأنعام: ١٠٠] من باب التقديم والتأخير، أو يكون من باب الحصر، فإن كان من باب الحصر فليس هنا ما يوجب الحصر ويقتضيه من الأحرف التى تدل عليه، وإن جعلتموه من باب التقديم والتأخير، فأظهروا التفرقة بين المعانى فى التقديم والتأخير، والجواب أما الحصر فلا مدخل له ههنا، لفقد ما يكون دالا على الحصر من أحرف المعانى وهى، إنما، وما، وإلا، وإذا بطل أن تكون الآية من باب الحصر وجب جعلها من باب التقديم والتأخير، وعلى هذا يكون لها فى الإعراب تفسيران، ويكون المعنى فيها تابعا للإعراب

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/ ٤١

كما نوضحه.

التفسير الأول أن يكون الجعل من باب التصيير كقوله تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً." (١)

"وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً

[النمل: ٦١] وهو كثير الدور والاستعمال فى كتاب الله تعالى، وعلى هذا يكون له مفعولان، فالمفعول الأول هو الشركاء، والثانى هو الظرف، وهو قوله «لله» وعلى هذا يكون الإنكار متوجها على أن يكون لله تعالى: شركاء على الإطلاق، ويكون انتصاب «الجن» على إضمار فعل محذوف، كأنه قيل فمن جعلوا لله شركاء؟ قيل جعلوا الجن، فالأولى جملة على حيالها، والثانية جملة على حيالها، وعلى هذا لا يكون فيه تقديم ولا تأخير بالإضافة إلى الجن والشركاء، لانقطاع أحدهما عن الآخر كما ترى، نعم يمكن تقدير **التقديم والتأخير بالإضافة** إلى الظرف نفسه، فيقال: هل من فرق بين تقديم الظرف على الشركاء وتأخيره، والذى يمكن من التفرقة فيه هو أن يقال: إن الظرف إذا كان متقدما كما فى نظم الآية وسياقها، فإن الإنكار متوجه من الله حيث جعلوا له شريكا مع أن فيه دلالة على أنهم لم يجعلوا لغيره شرڪاء، بخلاف ما لو قال: وجعلوا شركاء لله، فإن الإنكار حاصل فيه، لكن ليس فيه دلالة على أنهم ما جعلوا لغيره شركاء، ونظير ذلك قولك: ما أمرتك بهذا، وما بهذا أمرتك، فإنك إذا أخّرت الظرف كان حاصله نفى الأمر عن نفسك من غير أن يكون فيه دلالة على أنك أمرته بشيء آخر، بخلاف ما إذا قلت: ما بهذا أمرتك، فإنه كما هو دال على نفى الأمر عن نفسك، فإنه دال على أنك قد أمرته بشيء آخر، وهكذا تكون الآية كما قررته.

التفسير الثانى أن يكون المفعول الأول لجعل، هو الجن، والمفعول الثانى هو الشركاء، وعلى هذا يكون الظرف ليس بمعتمد ويكون متعلقا بشركاء ومن ههنا يظهر سر التفرقة بين التفسيرين، فأنت على التفسير الأول يظهر لك أن الإنكار إنما توجه عليهم من جهة إضافة الشركاء إلى الله تعالى على جهة الإطلاق، سواء كان من جهة الجن، أو من جهة غيرهم؛ لأن المعنى أنه لا شريك لله فى الإلهية، لا من الجن، ولا م ن غير الجن، بخلاف المعنى الثانى، فإن الإنكار إنما كان متوجها من جهة مشاركة الجن لا غير، ولا شك أن الإطلاق مخالف للتقييد، وعلى هذا يكون التفسير الأول أخلق بالآية وأدلّ على المبالغة من التفسير الثانى، وبما ذكرناه تدرك التفرقة بينهما. ولقد كان إيراد هذه الآية حقيقا بفصل **التقديم والتأخير**

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/ ١١٥

لكونها منه وأخص به، والذى جر من إيرادها ههنا هو ما عرض فيها من الإشكال، هل هى من باب الحصر، أو من." (١)

"باب التقديم والتأخير، فقس على هذا ما يرد عليك من أسرار النظم، فإن تحته أسرارا جمة، ونكتا غزيرة، تنبهك على كثير من الفوائد، وتطلعك على المناظم والمعاقد، هذا إذا لحظت من الله بتوفيق، يهدى إلى كل طريق من الخير والتحقيق.

الصورة السابعة بيان فوائد [«إنّ»]

وجملتها أربع الفائدة الأولى أنها كما أشرنا إليه تربط الجملة الثانية بالأولى، وبسببها يحصل التأليف بينهما، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، ولو أسقطتها ظهر التنافر بينهما وبطلت الملاءمة، وهذا كقوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقامٍ أَمِينٍ (٥١)

[الدخان: ٥١] بعد قوله: إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)

[الدخان: ٥٠] فلو قال: فالمتقون فى مقام أمين، كان من حسن النظام بمعزل.

الفائدة الثانية أن لضمير الشأن والقصة معها من حسن الموقع، وجودة النظام، ورشاقة التأليف، ما لا يمكن وصفه، وهذا كقوله تعالى: إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ

[يوسف: ٩٠] وقوله تعالى: أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

[التوبة: ٦٣] وقوله تعالى: أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ

[الأنعام: ٥٤] وقوله تعالى: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (١١٧)

[المؤمنون: ١١٧] .

الفائدة الثالثة أنها تهيىء النكرة وتجعلها صالحة لأن يحدّث عنها وهذا كقوله «١» :

إنّ دهرا يضمّ شملى بسعدى ... لزمان، يهمّ بالإحسان

وكقوله «٢» :

إنّ شواء ونشوة ... وخبب البازل الأمون

وسر ذلك هو أنها لما كانت موضوعة لتأكيد الجملة الابتدائية لا جرم اغتفر دخولها على النكرات وهيئاتها للحديث عنها كما ذكرناه.." (٢)

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١١٦/٢

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١١٧/٢

"الباب الثالث فى مراعاة أحوال التأليف وبيان ظهور المعانى المركبة

اعلم أن جميع ما أسلفناه إنما هو كلام فى الأمور الإفرادية إلا أن يعرض عارض فيجرى فى الأمور المركبة، والذى نذكره الآن إنما هو كلام فى الأمور المركبة، إلا أن يعرض ما يوجب الإفراد، وقبل الخوض فيما نريده من ذلك نذكر تمهيدا لما نريد ذكره من بعد، وينبنى على قواعد ثلاث.

القاعدة الأولى [مراعاة ما يقتضيه علم النحو]

يجب على الناظم والناثر فيما يقصد من أساليب الكلام مراعاة ما يقتضيه علم النحو أصوله وفروعه من تعريف المبتدأ وتقديمه وجوبا، إذا كان استفهاما، أو شرطا، وجوازا فى غير ذلك، ومراعاة تنكير الخبر، وتقديمه إذا كان المبتدأ نكرة، وأن يراعى فى الشرط والجزاء، كون الجملة الأولى فعلية وجوبا، والثانية بالفاء إذا كانت جملة اسمية، أو فعلية إنشائية، كالأمر والنهى، أو خبرية ماضية، وأن يأتى بالواو فى الجملة الاسمية إذا وقعت حالا، وتحذف مع المضارع المثبت، وأن يضع كل حرف لما يقتضيه معناه بالأصالة، فيأتى «بما» لنفى الحال و «بلا» لنفى الاستقبال و «بإن» الشرطية فى المواضع المحتملة المشكوك فيها و «بإذا» فى المواضع الصريحة و «بإذ» لما مضى وينظر فى الجمل، وما يجب من مراعاة عود الضمير فيها وما لا يجب، ويتصرف فى التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والإضمار، والإظهار ومواضع الاتصال والانفصال فى الضمائر، وتعلقات الحروف إلى غير ذلك مما توجبه صناعة علم الإعراب، ويوجبه حكمه.

القاعدة الثانية [مراعاة ما يقتضيه اللفظ من الحقيقة والمجاز]

يجب عليهما مراعاة ما يقتضيه اللفظ من الحقيقة والمجاز، واعلم أن المجاز يدخل دخولا أوليا، وله مدخل عظيم، وهو أحق بالاستعمال فى باب الفصاحة والبلاغة، وقد شرحنا قوانينه فيما سبق فأغنى ذلك عن الإعادة، والذى نريد ذكره ههنا هو أن فائدة الكلام الخطابى إنما يكون لإثبات الغرض المقصود فى نفس السامع، وتمكنه فى نفسه على جهة التخيل والتصور، حتى يكاد ينظر إليه عيانا، وبيان ذلك أنا إذا قلنا زيد أسد، فإنه يفيد فائدة قولنا زيد شجاع، لكن التفرقة بين القولين فى التصور والتخيل ظاهرة، فإن." (١)

"البحث الثانى بالإضافة إلى موقعها من علم المعانى

اعلم أن منزلة المعنى من اللفظ هى منزلة الروح من الجسد، فكل لفظ لا معنى له فهو بمنزلة جسد لا روح فيه ومفهوم علم المعانى، هو إدراك خواص مفردات الكلم بالتقديم والتأخير، وفهم مركباتها، ونعنى بقولنا إدراك خواص المفردات فى **التقديم والتأخير ما** يفهم من قولنا زيد منطلق، ومنطلق زيد، ومن الكرام زيد،

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١١٩/٢

وزيد من الكرام، وبقولنا وفهم مركباتها، وهو ما فى قولك زيد قائم، وإن زيدا لقائم، فكل واحد من هذه الصور يفيد معنى غير ما يفيده الآخر من أجل التركيب، وهكذا القول فى جميع التراكيب، فإنها دالة على معان بديعة، ومرشدة إلى أسرار عجيبة، فإذا عرفت هذا فالنظر فى هذه الآية من جهة من علوم المعانى إما أن يكون نظرا فى مفرداتها، وتقديم ما يقدم منها، وتأخير ما يؤخر، وإما أن يكون نظرا فى تركيب جملها، فهذان نظران نتصدى للنظر فيهما.." (١)

"النظر الثالث فى التعلقات الفعلية

اعلم أن الفعل يذكر وله تعلقات تخصه، من الذكر والحذف، والشرط، ويذكر الفاعل، وله تعلقات تخصه أيضا، ويذكر المفعول، وله تعلقات من الذكر والحذف، فهذه ضروب ثلاثة نذكر ما يخص كل واحد منها، وإنما صدرنا هذا النظر بذكر تعلقات الأفعال، لما كان أصل التعلق لها، فلهذا كان مصدّرا بها والله الموفق.

الضرب الأول فى بيان ما يكون مختصا بالأفعال أنفسها،

والأصل هو ذكر الفعل، لأنه هو الأصل فى البيان، كقوله تعالى: وَجاءَ رَبُّكَ

[الفجر: ٢٢] وقال الله تعالى: وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

[غافر: ٦٠] ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

[البقرة: ١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات التى يذكر فيها الفعل، مما لا يحصى كثرة، ولكن يعرض له التقديم والتأخير، والحذف، وتعلق الشرط به، فهذه حالات ثلاث نذكرها بمعونة الله.

الحالة الأولى: تقديمه وتأخيره،

وذلك يكون على أوجه ثلاثة، الوجه الأول أن يكون مؤخرا، وإنما حسن فيه ذلك لأمرين، أما أولا: فلأن تقديم المفعول ربما كان من أجل الاهتمام به، والعناية بذكره، ومثال هذا من يكون له محبوب يتغيب عنه، فيقال له: ما تتمنى، فيقول معاجلا وجه الحبيب أتمنى، وكمن يمرض كثيرا فيقال له: ما تسأل الله تعالى، فيجيب تعجلا للإجابة: العافية أسأل، وأما ثانيا: فبأن يكون أصل الكلام هو التقديم، لكن فى مقتضى الحديث ما يقتضى تأخيره لعارض لفظى، ففى هذين الوجهين إنما حسن تأخيره من جهة الاهتمام بغيره، فهذا كان أحق بالذكر، وإذا حسن تقديم مفعوله كان مؤخرا، وثانيها: تقديمه وهو الأصل كقولك: ضربت زيدا، وأكرمته، فتقدم الفعل لما كان الأصل هو تقديمه، قال الله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

[المائدة: ٩] وقال الله تعالى: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ

---

(١) الطراز ل أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٣/١٣١

[الأحزاب: ٢٥] إلى غير ذلك، وهو كثير، فاكتفينا بالأمثلة القليلة، فحصل من مجموع ما ذكرناه أن الفعل إذا كان مقدما فهو الأصل، لأنه عامل، ومن حق العامل أن يكون مقدما على معموله، وإذا كان مؤخرا فهو على خلاف الأصل لغرض وفائدة كما نبهنا عليه، وثالثها توسطه بين مفعوليه، وإنما كان كذلك من أجل الاهتمام بالمقدم منهما.." (١)

"وأما إذا كان فعل للامتداء وحرارة البطن فهو فعلان بسكون العين مثل: شبع فهو شبعان، وعطش فهو عطشان، وصدي فهو صديان، وروي فهو ريان وسكر فهو سكران. وأما الثالث فهو فعل بضم العين. فقد تقدم الكلام على اسم فاعله.

فهذه القاعدة في أبنية أسماء الفاعلين من الصيغ الثلاثة، لا ما ادعاه وأطلقه.

حول المعاظلة اللفظية

قال في المعاظلة اللفظية: ومن ذلك بعضهم:

وقبر حربٍ في مكانٍ قفر ... وليس قرب قبر حربٍ قبر

فهذه القافات والراءات كأنها سلسلة في تتابعها، ولا خفاء بما في ذلك من الثقل.

وهكذا ورد قول الحريري في مقاماته فقال:

وازورّ من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

أقول: أما البيت الذي ذكره أولا فهو معذور فيه، وكل أرباب المعاني والبيان ذكروه ونصوا عليه ولم يقرنوه بقول الحريري. وهذا من تعسفه وتعنته. فإن البيت الذي للحريري ما فيه غير كثرة الجناس، وهذه صناعة فكيف يعدها عيبا. وإن كان كذلك فكل جناس تردد في بيت أو فقرة يكون معاظلة على رأيه وليس كذلك. ولو لمح السر في ثقل ذلك البيت، لما قرنه بقول الحريري. وسبب الثقل في ذلك البيت، ما هو تكرار الحروف ولا بد فإن ذلك جزء علة، وإنما هو تقديم الحروف بعضا على بعض، مع التكرار في قوله: قرب قبر. حتى إن هذا البيت اشتهر بأن الأذكياء يمتحنون بإنشاده ثلاث مرات متواليات على نفس واحد، فما يكاد يسلم أحد من التخبيط فيه.

والسبب في ذلك تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيرها. وليس هذا مخصوصا بهذا البيت، بل بكل ما ترددت حروفه متقدمة ومتأخرة.

وهذا ابن سناء الملك من أرق المتأخرين شعرا وألطفهم قد جاء له مثل هذا في قوله:

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١٦٣/٣

وصفتك واللاّحي يعاند بالعذل ... فكنت أبا ذرٍ وكان أبا جهل

له شاهدا زورٍ من النهي والنّهى ... عليك ومن عينيك لي شاهدا عدل

حبيبة هذا القلب من قبل خلقه ... يحبك قلبي قبل خلقك بل قبلي

انظر البيتين المتقدمين ما أرفهما وما أثقل هذا الثالث، وما سببه غير تقديم الحروف تارة، وتأخيرها تارة في قبلي وقلبي، وقلب وقبل. وأما بيت الحريري فما فيه غير تردد حروف جناسه، **والتقديم والتأخير معدومان** فيه. ألا ترى أن العين قبل الفاء في المرتين والعين قبل الراء والراء قبل الفاء في المرتين وهذا ظاهر.

وهذا شرف الدين ابن الفارض رحمه الله في تائيته يأتي بالجناس في البيت كثيراً مرددا كقوله:

أيا زاجرا حمر الأوراك تارك ال ... موارك من أكوارها كالأريكة

وليس فيه من التعاظل والثقل على اللسان ما في قوله:

ولا حلم لي في حمل ما فيك نالني ... يؤدي لحمدي أو لمدح مودّتي

وعاد دعاوي القيل والقال وانج من ... عوادي دعاوي صدقها قصد سمعة

وكلّفتها لا بل كفلت قيامها ... بتكليفها حتى كفلت بكلفتي

وما السبب في ذلك غير تقديم الحروف في هذا تارة، وتأخيرها تارة، وسردها على الترتيب في الأول من غير تقديم وتأخير فاعرف ذلك.

وأنا ما أنكر أن كثرة التجنيس المتردد في البيت أو الفقرة لا يخلو من ثقل ما، وإنما شاححته في كونه جعل قول الحريري من باب البيت الذي كأنه رقى العقرب، أو بعض العزائم الروحانية، وقد أكثر الناس من الاستشهاد به وصار في قلق الألفاظ مثلا. وتقعير الألفاظ معلوم وقد ذكره الناس. من ذلك أن عيسى بن عمر النحوي أو أبا علقمة النحوي سقط عن حماره وأغمي عليه، فلما أفاق ورأى اجتماع الناس عليه، قال: ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤ على ذي جنة، افرنقعوا عني يرحمكم الله فقال بعضهم: دعوه فإن عفريته يتكلم بالهندية.

ومن ذلك خبر أم الهيثم مع المرأة التي شكت إليها ألما في ظهرها، فسألتها عن السبب فقالت: كنت وحمى بدكة، فحضرت مأدبةً، فأكلت حيزبة من فراص هلعة فاعترتني زلخة. فقالت لها أم الهيثم: إنك لذات خزعبلات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون المتشدقون. هذه الألفاظ كلها يراد بها المتنطعون في الكلام. فالثرثار من قولهم عين ثرثارة إذا كثر ماؤها، والمتفيهق من

تفيهق الغدير إذا امتلأ، والمتشدق الذي يفتح شدقيه.

من أنواع المعاظلة." (١)

"الضرب الأول أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فينثره بلفظه، وهو أدنى مراتب الحل

قال في «المثل السائر» : وهو عيب فاحش، إذ لم يزد في نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير. قال ومثله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه، وأحسن تأليفه، فأوهاه وبدّده؛ وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضا فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء.

وبالجملة فحلّ الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين.

الحال الأول- أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها، وله في حله طريقان.

الطريق الأول- أن يحله **بالتقديم والتأخير من** غير زيادة في لفظه

: كما ذكر صاحب «الصناعتين» عن بعض الكتاب أنه حلّ قول البحتريّ:

أطل جفوة الدّنيا وتهوين شأنها ... فما الغافل المغرور فيها بعاقل

يرجّي الخلود معشر ضلّ سعيهم ... ودون الذي يرجون غول الغوائل

إذا ما حريز القوم بات وماله ... من الله واق فهو بادي المقاتل

فقال في نثرها: أطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها، فما المغرور الغافل فيها بعاقل. ويرجو معشر ضلّ سعيهم الخلود، وغول الغوائل دون ما يرجون.

وإذا بات حريز القوم وماله من الله واق فهو بادي المقاتل. فلم يزد في ألفاظها شيئا.

الطريق الثاني- أن يحلّه بزيادة على لفظه

كما حكى الجاحظ عن قليب المعتزلي أنه سمع منشدا ينشد للعتبيّ:

أفلت بطالته وراجعه ... حلم وأعقبه الهوى ندما." (٢)

"ألقى عليه الدّهر كلكله ... وأعاره الإقتار والعدما

فإذا ألم به أخو ثقة ... غضّ الجفون ومجمج الكلما

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله: جعلني الله فداك ليس هو اليوم كما كان، إنه

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٣٩

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٣١/١

وحياتك أفلت بطالته، إي والله وراجعه حلمه، وأعقبه وحقك الهوى ندما. أحنى الدهر عليه والله بكلكله، فهو اليوم إذا رأى أخا ثقة غضّ بصره ومجمج كلامه. فزاد في نثره ألفاظا على ألفاظ الشعر.

ونحو ذلك ما حكاه ضياء الدين بن الأثير «١» عن بعض العراقيين أنه نثر قول بعض شعراء الحماسة:

وألدّ ذي حنق عليّ كأنما ... تغلي عداوة صدره في مرجل

أرجيته عني فأبصر قصده ... وكويته فوق النّواظر من عل

فقال في نثره: فكم لقي ألدّ ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل وتغلي عداوة صدره في مرجل، فكواه فوق ناظريه، وأكبّه لفمه ويديه.

الحال الثاني- أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها

، فيحتاج في نثره إلى الزيادة فيه، والنقص منه، وتغيير بعض ألفاظه حتى يستقيم كقول الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلّا صورة اللّحم والدّم

فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حلّه **بالتقديم والتأخير لأنك** تقول في المصراع الأول: فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف ولا يمكن ذلك في المصراع الثاني حتى تزيد فيه أو تنقص منه فتقول مثلا: فؤاد الفتى نصف." (١)

"ودرأه، اعتمد إلحاقه في ذلك بمن اتّصل إليه صوب الإحسان ودرّه، ومن لم يكن له جرم وتظهر صحّة شاهده ودليله، قدّم الأمر في إطلاقه وتخلية سبيله، وإن غدا لأحدهم سعي في الفساد واضح وبان، وغوى به في محاربة الحقّ وخان، قوبل بما أمر الله تعالى به في كتابه حيث يقول: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ

«١» . وأمره باختيار المرتّب للعرض والعطاء، والنّفقة في الأولياء؛ من ذوي المعرفة والبصيرة، والمشهورين في العفّة بتساوي العلانية والسّريرة؛ وممن تحلّى بالأمانة جيده، واعتضد بطرفيه في الرّشاد تليده؛ وكان بما يسند إليه قيّما، وفي مقرّ الكفاية ثاويا مخيّما. وأن يتقدّم إليه بضبط حلى الرّجال وشيات الخيول، وأن يقصد في كل وقت من تجديد العرض ما يشهد بالاحتياط السابغ الأهداب والذّيول، فإذا وضح وجه الإطلاق، وسلم مال الاستحقاق؛ كانت التفرقة على قدر المنازل في **التقديم والتأخير وبحسب** الجرائد «٢» التي تدلّ على الصغير من ذلك والكبير، ومتى طرق أحدهم ما هو محتوم على خلقه، أعاد على بيت

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٣٢/١

المال من رزقه بقدر قسطه وحقّه. وأن يلزمهم إحضار جياد الخيول وخيار الشّكك «٣» ، ويأخذهم من ذلك بأوضح ما نهج المرء الطريق فيه وسلك؛ فإن أخلّ أحدهم بما يلزمه البروز فيه يوم العرض، أو قصّر في القيام بالواجب عليه الفرض، حاسبه بذلك من الثابت باسمه والمطلق برسمه؛ تنبيها له على تلافي الفارط، وتبصيرا لغيره في البعد، عن مقام المخطيء الغالط؛ إذ كان في قوّتهم وكمال عدّتهم إرهاب للأعداء والأضداد، وإرهاف للبصائر فيما يؤدّي إلى المصالح الوافية." (١)

"وتكون الثالثة متعلّقة بالنّعم الشاملة لأمير المؤمنين، ثم يقال: «وإنّ أمير المؤمنين لما اختصّه الله به من كذا وكذا» ويذكر ما سنح من أوصاف الخليفة، ويذكر أنه تصفّح الناس وسبرهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلّا هو، ويذكر من صفته ما اتّفق ذكره، ثم يذكر تفويض الولاية إليه، ويوصيه بما يناسب، ويختم بالدعاء ثم بالسلام مع التفنّن في العبارة، واختلاف المعاني والألفاظ، **والتقديم والتأخير بحسب** ما تقتضيه حال المنشيء، وتؤدّي إليه قريحته.

وهي على ضربين:

الضرب الأوّل (سجلّات أرباب السيوف «١»)

وعلى ذلك كتب سجلّات وزرائهم أصحاب السيوف القائمين مقام السلاطين الآن، من لدن وزارة أمير الجيوش بدر الجماليّ وزير المستنصر:

خامس خلفائهم وإلى انقراض دولتهم. وقد تقدّم منها ذكر عهدي المنصور: أسد الدين شيركوه بن شادي، ثم ابن أخيه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب بالوزارة عن العاضد في جملة عهود الخلفاء والملوك، حيث أشار في «التعريف» إلى عدّهما من جملة عهود الملوك.

ومن أحسنها وصفا، وأبهجها لفظا، وأدقّها معنى، ما كتب به الموفّق بن الخلّال «٢» صاحب ديوان الإنشاء عن العاضد المتقدّم ذكره، بالوزارة لشاور السّعديّ «٣» ، بعد أن غلبه ضرغام «٤» عليها ثم كانت له الكرّة عليه. وهذه نسخته:." (٢)

"اللّعب، وأليف هذا المرام الّذي ينشط إليه اللّاعب ويستروح إليه التّعب- اقتضى الرأي الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علّم منها، فاصلا بين أهلها بمعرفته الّتي ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها- فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٩/١٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣١٩/١٠

فليستقرّ في هذه الرتبة الّتي تلقّاها، بيمين كفايته ويمنه، وارتقاها، بتفرّده في نوعه وتقدّمه في فنّه، وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها، وينافس المعروفين بها على التّحلّي بآدابها، والتّمسك من المروءة والأخوّة بأفضل أهدابها، وينصف بينهم فيما يعتدّ به من واجبها، ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرقها والمعروف من مراتبها، ولا يحكم في **التقديم والتأخير بهوى** نفسه، ولا يقبل من لم يتحرّ الصّدق في يومه أنّه قبل منه في أمسه؛ فإنّ استدامة شروطها أمان من السّقوط عن درجها، وإذا حكّمت نفوس أهلها الصّدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها؛ وليرع لذوي التقدّم فيها قدم هجرتهم، واشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرتهم؛ وقد خبر من أوصافه الحسنة، وسابق رتبته الّتي لم تكن عين العناية عنها وسنة، ما اقتضى استقرار رتبته على مكانتها ومكانها، واكتفي له من مبسوط الوصايا بعنوانها؛ فليتّق الله في قوله وعمله، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما يكتب به في إلباس الفتوّة.

اعلم أنّ طائفة من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوّة، ويقيمون لذلك شروطا وآدابا جارية بينهم. ينسبون ذلك في الأصل إلى أنّه مأخوذ عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه.

والطريق الجاري عليه أمرهم الآن أنّه إذا أراد أحدهم أخذ الطّريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسّر جمعه، وتقدّم ذلك الكبير." (١)

"فتمسّكوا بأوتادها وتعلّقوا بسببها، والأمثال الغريبة التي انتقوها، ودوّنوها ورووها، واستيضاح القسمين واستكشاف غوامضهما، واستظهار النّوعين واستمطار عوارضهما، والاطّلاع على خطب البلغاء، ورسائل الفصحاء، وما وقع لهم في مخاطباتهم، ومكاتباتهم، والعلم بأيّام العرب وحروبهم، وما كان من الوقائع بين قبائلهم وشعوبهم، والنّظر في التّواريخ وأخبار الدّول الماضية، والقرون الخالية، وسير الملوك وأحوال الممالك، ومعرفة مكايدهم في الحرب المنقذة من المهاوي والمنجية من المهالك، مع سعة الباع في اللّغة التي هي رأس ماله، وأسّ مقاله، وكنزه المعدّ للإنفاق، ومعينه بل مغيثه وقت الضّرورة على الإطلاق، والنّحو الذي هو ملح كلامه، ومسك ختامه، والتّصريف الذي تعرف به أصول أبنية الكلمة وأحوالها، وكيفيّة التّصرّف في أسمائها وأفعالها، وعلوم المعاني والبيان والبديع التي هي حلية لسانه، وآية بيانه، ومعرفة أبوابها وفصولها، وتحقيق فروعها وأصولها: من الفصاحة وطرائقها، والبلاغة ودقائقها، واختيار المعاني وترتيبها، ونظم الألفاظ

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٨/١٢

وتركيبها، والفصل والوصل ومواقعهما، **والتّقديم والتّأخير ومواضعهما**؛ ومواطن الحذف والإضمار، وحكم الرّوابط والأخبار، وغير ذلك من الحقيقة والمجاز، والبسط والإيجاز، والحلّ والعقد، وتمييز الكلام جيّده من رديّه بصحّة النّقد، مع معرفة أنواع البديع وطرائقها، والاطّلاع على غوامض أسرارها وفرائد دقائقها.
على أن آكد شيء يجب تحصيله قبل كلّ حاصل، ويستوي في الاحتياج إلى معرفته المفضول من الكتّاب والفاضل، العلم بالخطّ وقوانينه: من الهجاء والنّقط والشّكل، والفرق بين الضّاد والطّاء المتخالفين في الصّورة والشّكل، مع المعرفة بآلات الكتابة وصفاتها، وتباين أنواعها واختلاف صفاتها.
هذه أصوله التي يبنى عليها، وقواعده التي يرجع إليها؛ فإذا أحاط بهذه الفنون علما، وأتقنها فهما، غزرت عنده الموادّ، واتّضحت له الجوادّ." (١)

"فيها على الأموال مآتم، والجود في أيديكم خاتم، ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم» .

فهذا هو السّحر الحلال، والمعاني التي تخضع لها شمّ الجبال، ولا يقال فيه قيل ولا قال.
الصنف الثاني ما كان مستقيما قبيحا كقولك قد زيدا رأيت
قال في «الصناعتين» : وإنما قبح لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير. وهذا النوع يسميه علماء المعاني: التعقيد. وسماه ابن الأثير في «المثل السائر» المعاظلة «١» المعنوية، وهو تقديم ما الأولى به التأخير، كتقديم الصفة أو ما يتعلّق بها على الموصوف، وتقديم الصّلة على الموصول ونحو ذلك؛ وهو من المذموم المرفوض عند أهل الصنعة، لأن المعنى يختلّ به ويضطرب. قال في «المثل السائر» : وهو ضدّ الفصاحة، لأن الفصاحة هي الظّهور والبيان، وهذا عار عن هذا الوصف؛ فمن ذلك قول بعضهم:
فأصبحت بعد خطّ بهجتها ... كأن قفرا رسومها قلما
يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأنّ قلما خط رسومها فقدم خبر كأنّ وهو خطّ عليها فجاء مختلّا مضطربا، وأقبح منه وأكثر اختلالا قول الفرزدق:
إلى ملك ما أمّه من محارب ... أبوه، ولا كانت كليب تصاهره
يريد إلى ملك أبوه ما أمّه من محارب، والمعنى ما أم أبيه من محارب، يمدحه بذلك ذمّا لمحارب. وكذلك قوله، يمدح خال «٢» هشام بن عبد الملك:." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٣٥/١٤
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٠٩/٢

"وما مثله في الناس إلا مملّكا ... أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه

يريد وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملّكا أبو أمه أبوه؛ وهو خاله، فلما استعمل فيه التقديم والتأخير في غير موضعه جاء مشوّها رثّا كما تراه. قال الوزير «ضياء الدين بن الأثير» : وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه يقصد ذلك ويتعمّده لأن مثله لا يجيء إلا متكلّفا مقصودا، وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيّتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد؛ ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا النوع، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى؛ فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به. ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما.

الصنف الثالث ما كان مستقيما ولكنه كذب كقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر، وما أشبه ذلك

واعلم أن المعاني المستعملة في الشعر والكتابة أكثرها جار على هذا الأسلوب خصوصا المعاني الشعريّة، فإنه مقدّمات تخييلية توجب في النفس انقباضا وانبساطا على ما هو مقرّر في علم المنطق. وقد قال في «الصناعتين» :

إن أكثر الشعر مبني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادة، والألفاظ الكاذبة: من قذف المحصنات، وشهادة الزّور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهليّ الذي هو أقوى الشعر وأفحله. قال: وليس يراد منه إلا حسن اللفظ وجودة المعنى؛ فهذا الذي سوّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه. وقيل لبعض الفلاسفة: فلان يكذب في شعره، فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء عليهم السلام.

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع رحمه الله في كتابه «تحرير." (١)

"نغمة لذيذة كنغمة الأوتار، وصوتا منكرا كصوت الحمار، وأن لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل. ولا حجة لاستعمال العرب لهذه الألفاظ، فإن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب، لأنه ليس للتقليد فيه مجال؛ وإنما له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه والله أعلم.

الأصل الثالث من صناعة إنشاء الكلام، تركيب الكلام، وترتيب الألفاظ والنظر فيه من وجوه

الوجه الأوّل في بيان فضل المعرفة بذلك، ومسيس حاجة الكاتب إلى معرفته، والإشارة إلى خفي سره وتوعّر

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٢١٠

مسلكه

قال أبو هلال العسكريّ: وأجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر؛ جميعها يحتاج إلى حسن التأليف، وجودة التركيب؛ وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التعمية؛ فإذا كان المعنى سيّئا، ورصف الكلام رديئا «١» ، لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. فإذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا، كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائقا في المرأى، وإن لم يكن مرتفعا نبيلا «٢» ؛ وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا؛ وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن من أماكنها، ولا يستعمل فيها **التقديم والتأخير والحذف** والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يعمّي المعنى، وتضم كل لفظة." (١)

"الْأُمُورُ

«١» فالأولى عشرون لفظة، والثانية تسع عشرة، وهذا غاية ما انتهى إليه الطّول في القرآن الكريم. وينبغي أن يكون ذلك نهاية الطول في السجع وقوفا مع ما ورد به القرآن الكريم الذي هو أفصح كلام، وأقوم نظام، وإن كان الوزير ضياء الدين بن الأثير، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما، قد صرحوا بأنه لا ضابط لأكثره.

واعلم أنه قد جرت عادة كتّاب الزمان ومصطلحهم أن تكون السجعة الأولى من افتتاح الولاية من تقليد أو توقيع أو غير ذلك قصيرة بحيث لا يتعدّى آخرها السطر الثاني في الكتابة ليقع العلم بها بمجرّد وقوع النظر على أوّل المكتوب.

وعلى هذا فيختلف القصر فيها باختلاف ضيق الورق وسعته في العرض.

الغرض الخامس في ترتيب السجعات بعضها على بعض في **التقديم والتأخير باعتبار** الطول والقصر وله حالتان

الحالة الأولى ألا يزيد السجع على سجعتين؛ وله ثلاث مراتب

المرتبة الأولى- أن تكون ا لقرينتان متساويتين لا تزيد إحداهما على الأخرى

كقوله تعالى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ

«٢» ، وقوله:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/ ٢٨٠

وَالْعادِياتِ ضَبْحاً فَالْمُورِياتِ قَدْحاً فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً

«٣» وأمثال ذلك.

المرتبة الثانية– أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى بقدر يسير

كقوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ." (١)

"بوقت معين، بل يتغير **بالتقديم والتأخير قليلا** على ما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى، ونحن نقتصر في هذا الفصل على المشهور من أعيادهم دون غيره، ونبين أوقاتها، ونشرح أسبابها. وهي أربعة عشر عيدا. وهي على ضربين: كبار وصغار.

الضرب الأوّل الكبار، وهي سبعة

العيد الأوّل البشارة

، ويعنون به بشارة غبريال، (وهو جبريل على زعمهم) لمريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه، يعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط.

الثاني الزّيتونة

، وهو عيد الشّعانين، وتفسيره بالعربيّة التّسبيح، يعملونه في سابع أحد من صومهم؛ وسنّتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور «١» ، (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبّحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر «٢» .

الثالث الفصح

، وهو العيد الكبير عندهم، يعملونه يوم الفطر من صومهم ال أ كبر، يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصّلبوت بثلاثة أيام، وخلّص آدم من الجحيم، وأقام في الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس، ثم صعد إلى السماء. قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ*

«٣» .

الرابع خميس الأربعين

، ويسميه الشاميّون السّلّاق «٤» ، وهو الثاني." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣١٠/٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٥٤/٢

"القسم الثاني (مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم والتأخير، وهو نوعان)

النوع الأوّل (الألقاب المفردة، وهي على ستة أنماط)

النّمط الأوّل (الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقرّ والجناب والمجلس، كالأشرف والشريف والكريم والعالي والسامي. فالأشرف يلي المقام والمقرّ، فيقال: المقام الأشرف، والمقرّ الأشرف، والشريف يلي المقام والمقرّ والجناب، فيقال: المقام الشريف، والمقرّ الشريف، والجناب الشريف. والكريم يلي المقرّ والجناب، فيقال: المقرّ الكريم، والجناب الكريم. والعالي يلي المقام والمقرّ والجناب والمجلس، فيقال: المقام العالي، والمقرّ العالي، والجناب العالي، والمجلس العالي. والسامي يلي المجلس خاصّة، فيقال: المجلس السّامي.

والعالي يلي الأشرف والشريف والكريم، فيقال: الأشرف العالي، والشريف العالي، والكريم العالي.

النمط الثاني (م١ يلي العالي أو السامي من الألقاب)

وهو اللقب الذي يميّز نوع المكتوب له، كالأميريّ لأرباب السيوف، والصاحبيّ للوزراء من أرباب الأقلام، والقضائيّ والقاضويّ لسائر أرباب الأقلام، والشّيخيّ للصوفيّة وأهل الصّلاح، والصّدريّ للتّجّار ومن في معناهم، مثل أن يقال: المقرّ الكريم العالي [الأميريّ] «١» والجناب العالي الصاحبيّ، أو." (١)

"كتب الحاكميّ. قال في «التثقيف» : وإن كان وزيرا كتب في آخر ألقابه الوزيريّ. والذي ذكره في «عرف التعريف» أن الوزيريّ يلي لقب الوظيفة، فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب الأميريّ الوزيريّ؛ وإن كان من أرباب الأقلام كتب الصاحبيّ الوزيريّ. وما ذكره في «التثقيف» متّجه فيما إذا كان الوزير صاحب قلم، فإن التعريف في الوظيفة يعرف أولا من قوله الصاحبيّ. وما ذكره في «التعريف» ظاهر فيما إذا كان الوزير من أرباب السيوف، فإنه يتعين تقديم الوزيريّ فيذكر بعد الأميريّ ليدل من الابتداء على الوظيفة، إذ مطلق الإمرة لا يدلّ على وزارة ولا عدمها، فلو أخّر إلى آخر الألقاب لما عرف أنها ألقاب وزير إلى حين ذكر هذا اللقب، وإنما رتّب هذا الترتيب ليدلّ باللقب الذي هو أوّل الألقاب بعد العالي أو السامي على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقلام أو غير ذلك، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصّة به.

النمط الخامس (ما يقع فصلا بين الألقاب المفردة والمركّبة)

وهو لقب التعريف كالفلانيّ وفلان الدين، فقد جعلوه فاصلا بينهما.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١١٣/٦

النمط السادس (ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأميريّ ونحوه، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالميّ والعادليّ ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان **بالتقديم والتأخير على** ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب.." (١)

"النوع الثاني (مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير، الألقاب المركبة المعبّر عنها بالنّعوت، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الأوّل (ما يلي لقب التعريف الذي هو الفلانيّ أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعزّ الإسلام والمسلمين وما أشبه ذلك، فقد اصطلحوا على أن يكون ذلك أوّل الألقاب المركّبة، وتوجيهه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه، ولا أشرف عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره.

النمط الثاني (ما يقع في آخر الألقاب المركّبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له، فإن كان ممن يكتب له المجلس السامي بغير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين، مثل أن يقال: صفوة الملوك والسلاطين، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك. وإن كان ممن يكتب له الساميّ بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى أمير المؤمنين، مثل عضد أمير المؤمنين، ووليّ أمير المؤمنين، وخالصة أمير المؤمنين، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له. والمعنى فيه أنّ حسن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة.

النمط الثالث (ما بين أوّل الألقاب المركّبة وبين آخرها)

فقد اصطلحوا على أن يكون المقدّم منها مما يقتضي تقديم المكتوب له على أبناء جنسه، مثل: سيّد الأمراء في العالمين، وسيّد العلماء والحكّام في." (٢)

"الممالك وما شاكل ذلك بالمقرّ والجناب الكريم ونحو ذلك. ويعرف الألقاب النازلة، فيخرج منها ما يجرّده عن الياء ويلحقه بالسامي بغير الياء فما دونه كالعضد والذّخر وما أشبه ذلك.

الأصل الخامس

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٦/١١٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٦/١١٦

- أن يعرف مراتب الألقاب في التقديم والتأخير، مثل أن يعلم أن الشريف والكريم يليان المقرّ والجناب، والعالي يليهما؛ ثم العالي يلي المقرّ والجناب والمجلس، والسامي يلي المجلس حيث لا يليه العالي. وأن النعت المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عضد أمير المؤمنين، وسيف أمير المؤمنين، وحسام أمير المؤمنين، يكون آخر النّعوت. وأن المضاف إلى الملوك والسلاطين مثل عضد الملوك والسلاطين، وظهير الملوك والسلاطين، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان في رتبة يثبت فيها ما يضاف إلى أمير المؤمنين، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلاطين هو آخر الألقاب. وأن يعلم أن لقب التّعريف، وهو الفلانيّ أو فلان الدين يكون واسطة بين الألقاب والنعوت، فاصلا بينهما. وأن لقب الوظيفة كالكافليّ والحاكميّ وما أشبههما يكون قبل لقب التعريف غالبا على ما تقدّم بيانه؛ فيضع هذه الألقاب في مواضعها ولا يخرجها عنها، بخلاف ما يجوز فيه **التقديم والتأخير من** الألقاب والنّعوت.

الجملة العاشرة (في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرّقة قد جرت في عرف الكتّاب، وهي على ضربين)

الضرب الأوّل (فيما يجري من ذلك مجرى التفاؤل، ويختلف باختلاف الأحوال والوقائع، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول (ما يوصف بالنّصر، كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال في الجيوش والعساكر: «الجيوش المنصورة، والعساكر." (١)

"العسكري: فهذه اليمين، لو سمعها عامر بن الظّرب، لقال هي اليمين الغموس لا القسم باللات والعزّى «١» ومناة الثالثة الأخرى، ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى.

قلت: واعتبار هذه الأصول [الأحد عشر] «٢» بعد ما تقدّم اعتباره في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آيات القرآن الكريم، من الاختصار، والحذف، ومخاطبة الخاصّ بمخاطبة العامّ، ومخاطبة العامّ بمخاطبة الخاصّ، ولا ما يختصّ بالشّعر من صرف ما لا ينصرف، وحذف ما لا يحذف، وقصر الممدود، ومدّ المقصور، والتقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار، وتصغير الاسم في موضع التعظيم، مثل دويهية، وما شاكل ذلك مما تقدّم التنبيه عليه في موضعه، فلا بدّ من اعتباره هنا.

الأصل الثاني عشر (أن يعرف مقادير قطع الورق، وسعة الطّرّة والهامش، وسعة بيت العلامة ومقدار ما بين السّطور وما يترك في آخر الكتاب)

أما مقدار قطع الورق، فقد تقدّم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المكتوب إليهم عن السلطان،

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٧٤/٦

فكلّما عظم قدر المكتوب إليه، عظم مقدار قطع الورق؛ وربما روعي في ذلك قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه جميعا.." (١)

"أتعب مطلبا وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه، لا سيما إذا كان الخطاب محتملا «١» للاعتذار والاعتلال عن امتثال الأوامر والنواهي، والتّورية عن نصوص الأحوال، والإعراض عن ظواهرها، قائدا إلى استعمال المغالطة، موجبا للانفصال عن الاحتجاج والإلزام، ونحو ذلك مما يؤدّي إلى الخلاص من المكاره.

واحتجّوا لترجيح ذلك بوجوه.

منها- أن المبتديء محكّم في كتابه، يبتديء بألفاظه كيف شاء، ويقطعها حيث يشاء، ويتصرّف في التقديم والتأخير، والحذف والإثبات والإيجاز والإسهاب؛ ويبني على أساس يؤسسه لنفسه، والمجيب ليس له تقديم ولا تأخير، وإنما هو تابع لغرض المبتديء، بان على أساسه.

ومنها- أنّ المجيب- إذا كان جوابه محتملا للإشباع والتوسّع- مضطرّ إلى اقتصاص ألفاظ المبتديء واتّباعها للإجابة عنها، وذلك يؤدّي إلى تصفّح كلام المبتديء والمجيب ويصل ما بين الكلامين، لأن الكلامين يتقابلان فلا تخفى رتبتهما والفاضل منهما من الرّذل، وهذا مرفوع عن المبتديء.

ومنها- أن تأليف الكلام وانتظامه واتّساقه والتئامه يقدر منها المبتديء على ما لا يقدر عليه المجيب؛ لأن الجواب يفصّل أجزاء الكلام ويبدّد نظامه ويقسّمه أقساما، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول وأمّا كذا وأمّا كذا، فظهور الصورة المستحسنة، في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل. أما إذا كان الجواب مقتضبا مبنيّا على امتثال مأمور، أو انتهاء عن منهيّ عنه، فإنه سهل المرام، قريب المتناول؛ لأنه إنما يشتمل على ذكر وصول الكتاب والعمل بما فيه.." (٢)

"النمط الثاني- ما يقع التفاوت فيه بحسب لحوق ياء النسب وتجرّده منها ٩٩ النمط الثالث- ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب ١٠٠ النمط الرابع- ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء التشريف لعلوّ متعلقه ورفعته ١٠٠ الصنف الثاني- الألقاب المركبة؛ وهي على ضربين ١٠١ الضرب الأوّل- ما يترتب بعضه على بعض لقبا بعد لقب؛ وله اعتباران ١٠١ الاعتبار الأوّل- أن يشترك في رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (صوابه أربعة) ١٠١ النمط

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٠١/٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣١١/٦

الأوّل- ما يضاف إلى الإسلام ١٠١ النمط الثاني- ما يضاف إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ١٠٣ النمط الثالث- ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ١٠٥ النمط الرابع- ما يضاف لأمير المؤمنين ١٠٦ الاعتبار الثاني- أن يختص الترتيب في الألقاب بنوع من المكتوب له؛ وهو أربعة أنماط ١٠٧ النمط الأوّل- ما يختص بأرباب السيوف ١٠٧ النمط الثاني- ما يختص بالوزراء ومن في معناهم ١٠٩ النمط الثالث- ما يختص بالقضاة والعلماء ١٠٩ النمط الرابع- ما يختص بالصلحاء ١٠٩ القسم الثاني- مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم والتأخير؛ وهو نوعان ١١٣ النوع الأوّل- الألقاب المفردة؛ وهي على ستة أنماط ١١٣ النمط الأوّل- الألقاب التي تلي الألقاب الأصول ١١٣ النمط الثاني- ما يلي العالي أو السامي من الألقاب ١١٣ النمط الثالث- ما يلي لقب الوظيفة ١١٤ النمط الرابع- ما يقع قبل لقب التعريف ١١٤ النمط الخامس- ما يقع فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ١١٥ النمط السادس- ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة ١١٥." (١)

"النوع الثاني- مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب **بالتقديم والتأخير الألقاب** المركبة؛ وهي على ثلاثة أنماط ١١٦ النمط الأوّل- ما يلي لقب التعريف ١١٦ النمط الثاني- ما يقع في آخر الألقاب المركبة ١١٦ النمط الثالث- ما بين أوّل الألقاب المركبة وبين آخرها ١١٦ الجملة الثامنة- في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاص به ١١٧ الجملة التاسعة- في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول على قدر طبقاتها؛ وهي قسمان ١١٨ القسم الأوّل- الألقاب الإسلامية ١١٨ الضرب الأوّل- الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها؛ وهي ثلاثة أنواع ١١٨ النوع الأوّل- ألقاب الخلفاء ١١٨ النوع الثاني- ألقاب ولاة العهد بالخلافة ١١٩ النوع الثالث- ألقاب إمام الزيدية باليمن ١١٩ الضرب الثاني- الألقاب الملوكية؛ وهي نوعان ١٢٠ النوع الأوّل- الألقاب التي اصطلح عليها السلطان بالديار المصرية ١٢٠ النوع الثاني- الألقاب التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك؛ وهي على ثلاثة أصناف ١٢١ الصنف الأوّل- ألقاب ولاة العهد بالسلطنة ١٢١ الصنف الثاني- ألقاب الملوك المستقلين بصغار البلدان ١٢١ الصنف الثالث- ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية؛ وهي نمطان ١٢٢ النمط الأوّل- ما يصدّر بالألقاب المذكرة ١٢٢ النمط الثاني- ما يصدّر بالألقاب المؤنثة ١٢٥

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٧٨/٦

الضرب الثالث– من الألقاب الإسلامية، الألقاب العامّة لسائر الطوائف؛ وهي ثمانية أنواع ١٢٦ النوع الأوّل– ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم ١٢٦." (١)

"المهيع الأوّل (في رتب المكاتبات المصطلح عليها)

وقد اختلفت مقاصدهم في ترتيبها اختلافا متقاربا في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير، مع مراعاة أصول المراتب. وها أنا أذكر ما استقرّ عليه الحال من ذلك، وأنبّه على ما خالفه من ترتيبهم المتقدّم الذّكر، لتحصل الإحاطة به، ويعلم ما جرى عليه أهل كلّ عصر منهم مما لعلّ مختارا يختاره، أو ينسج على منواله، منبّها على وهم من وهم في شيء من ذلك.

واعلم أنهم قد بنوا هذا النوع من الإخوانيّات على قاعدتين، تتعيّن معرفتهما قبل الخوض في رتب المكاتبات:

القاعدة الأولى– فيما يتعلّق بورق هذه المكاتبات.

قد جرت العادة أن تكون جميع هذه المكاتبات من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، ومن النظير إلى النّظير، في ورق قطع العادة دون ما فوقه من مقادير قطع الورق المتقدّمة الذكر، غير أنّ أعيان أهل الديار المصرية يكاتبون في الورق المصريّ، وأعيان أهل الشأم يكاتبون في الورق الشاميّ؛ لكثرة وجوده عندهم، والمعنى في ذلك أنّ كتب السلطان الصادرة عنه إلى جميع أهل المملكة من النّوّاب وغيرهم في هذا القطع، فلا جائز أن تعلو مكاتبة أحد منهم على مكاتبة السلطان في ذلك.

ثم قد اصطلحوا على أن يكون في أعلى المكاتبة عن كلّ أحد من أعيان الدولة قبل البسملة وصل واحد بياضا، إذ كان أقلّ ما يجعل بياضا في كتب السلطان وصلين فاقتصروا على وصل واحد، كي لا يساويه غيره في ذلك، واصطلحوا أيضا على أن لا تنقص المكاتبات المذكورة عن ثلاثة أوصال: الوصل الأبيض في أعلى المكاتبة على ما تقدّم، ووصلان مكتوبان، إذ لو نقص عن ذلك، لخرج الكتاب في القصر عن الحدّ فيزدرى، أما لو دعت الضرورة إلى الزيادة على الثلاثة لزيادة الكلام فلا مانع منه. واصطلحوا على أن يترك للكتاب حاشية بيضاء تكون بقدر ربع الدّرج على ما تقدّم ذكره في غير هذا الموضع.." (٢)

"يكتب: يقبّل الأرض التي هي ملجأ العفاه، وملثم الشّفاه، ومحلّ الكرم الذي لا يخيب من اقتفاه، ومقصد الراجي الذي إذا عوّل عليه كفاه، وينهي كيت وكيت» . ودونه «يقبّل الأرض ويدعو لها «١» ، مثل أن يكتب: يقبّل الأرض لا زالت محروسة الرّحاب، هامية السّحاب، فسيحة الجناب، لمن أناب؛

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٧٩/٦

(٢) صبح ال أعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٧٣/٨

وينهي كيت وكيت» .

وجرى في «التثقيف» «٢» على الترتيب المتقدّم في المرتبة الأولى والثانية والثالثة والرابعة على ما تقدّم في المراتب الخمس السابقة، وجعل المرتبة الخامسة «يقبّل الأرض» مع وصفها على ما تقدّم في الدّستور المنسوب لبعض بني الأثير مع العنونة بالباب العالي، وجعل «يقبّل الأرض بالمقرّ الشريف» مرتبة سادسة مع العنونة بالباب العالي أو المقرّ الشريف.

وفي غير هذه الدّساتير ما يخالف بعض ذلك في الترتيب والتقديم والتأخير، وفي بعض الدّساتير بعد تقبيل الأرض تقبيل العتبات، مثل أن يكتب: يقبّل العتبات الكريمة، لا برحت مطلع السّعود، ومنبع الجود، ومهيعا للمقام المحمود. أو: يقبّل العتبات الكريمة، لا زالت الأفلاك تتمنّى أنها بها تحفّ، وأنها لنجومها إليها بحوض الوالدين (؟) تزف. أو: يقبّل العتبات الكريمة، لا زالت الآمال بها مطيفة، والسّعود لها حليفة، وسعادتها لاستخدام كلّ ذي إلمام مضيفة.

ولا يخفى أنّ بعض هذه الاختيارات غير محكم الأساس، ولا موضوع على أصل يقتضي صحة الترتيب فيه، بل الكثير من ذلك راجع إلى التشهّي، كلّما تقدّم متقدّم في دولة من الدّول أحبّ أن يؤثر مخالفة غيره، ويجعل له شيئا يحدثه لينسب إليه ولا يبالي وافق في ذلك غرضا صحيحا أم لا، وقلّ من يصيب الغرض في ذلك.." (١)

"كان قدّمه من تكفيلك أمر مملكته، وإعادة القول فيما أسلفه من ردّه إليك تدبير ما وراء سرير خلافته التذاذا بتكرار ذلك وترديده، وابتهاجا بتطرية ذكره وتجديده، فأمور الملّة والدّولة معدوقة بتدبيرك، وأحوال الأداني والأقاصي موكولة إلى تقريرك، وقد جمع لك أمير المؤمنين من استخدام الأقلام، وجعل السيادة لك على سائر القضاة والدّعاة والحكّام، وأسجل لك بالاختصاص بالمعالي والانفراد، والتّوحّد بأنواع الرّياسات والاستبداد، ولك الإبرام والنّقض، والرّفع والخفض، والولاية والعزل، والتقديم والتأخير، والتّنويه والتأمير، فالمقدّم من قدّمته والمحمود من حمدته، والمؤخّر من أخّرته، والمذموم من ذمته، فلا مخالفة لما أحببته، ولا معدلة عما أردته، ولا تجاوز لما حدّدته، ولا خروج عمّا دبّرته، وأين ذلك ممّا يضمره لك أمير المؤمنين وينويه، ويعتقده فيك فلا يزال مدى الدّهر يعيده ويبديه؟ ولو لم يكن من بركاتك على دولة أمير المؤمنين، ويمن تدبيرك العائد على الإسلام والمسلمين، إلّا أنّ أوّل عسكر جهّزته إلى جهاد الكفرة الملاعين- وكان له النّصر العزيز الذي تبلّج فجره، والفتح المبين الذي جلّ قدره وانتشر ذكره، والظّفر المبهج

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٨٧/٨

للدّين- العسكر المنصور على الطائفة الكافرة، قتلا لأبطالها وأسرا لأعناق رجالها، وأخذا لقلاع الملسرة «١» منها، وأنه لم يفلت من جماعتها إلّا من يخبر عنها، ولو علم أمير المؤمنين تعظيما يخرج عما تضمّنه هذا السّجلّ لما اقتصر عليه، إلّا أنه عاجله ما يسرّه فجاهر «٢» لك بما هو مستقرّ لديه، والله عزّ وجلّ يخدمك السّعود، ويخصّك من مواهبه بما يتجاوز المعهود، ويمدّك بموادّ التوفيق والتأييد، ويقضي لك في كلّ أمورك بما لا موضع فيه للمزيد، إن شاء الله تعالى، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قلت: وهذا الصّنف من الكتب السلطانية قد رفض وترك استعماله في." (١)

"فالماء منه يفيض على العمران، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران، فأتى على كثير من التّلال والرّوابي، فضلا عن الرّساتيق «١» والقرى، وصار الوادي على اتّساع عرضه، وامتداد طوله، وسعة مصبّه، وفسحة مغيضه، لا يفي بهضمه، ولا يقوم بحمله، ففاض منه ما عطّل العمران ونسق الدّور ومحق الزّروع، فعظم به البلاء، وكثر له الجلاء، وشمل الفساد، وعظم الخراب.

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة:

كتبت، ومولانا أمير المؤمنين في توطّد من خلافته، وتمهّد من دولته، وعلوّ من رأيه، ونفاذ من كلمته، وعزّ من سلطانه، وارتفاع من شانه، ونعم سابغة عليه وعلى أهل طاعته، قالصة عن أعدائه وأهل مخالفته، واستقامة من أطرافه وثغوره، واستتباب من أحواله وأموره، الحمد لله على إحسانه حمدا لا يقف دون رضاه، ولا يحيط بمقداره سواه.

صدر بإخبار عن الوزير:

كتبت، وحضرة الوزارة السامية في نعم مخصبة الأكناف، بعيدة الأطراف، سادرة الويل، ساحبة الذّيل، وما أنظر فيه من أمر دولته منتظم، وأراعيه من أحوال رعيّته ملتئم، وقد وطّأ الله له أوعار السّياسة والتّدبير، ووقفه على جوادّ المصلحة في التقديم والتأخير، والحمد لله حمدا يستقلّ بحقّه فيقضيه، وبواجبه فيؤدّيه، وينتهي إليه عزّ سلطانه فيرضيه.

صدر بإخبار عن أمير:

كتبت، والأمير في علوّ من سلطانه، وارتفاع من شانه، وظفر يواكب ألويته، ونصر يصاحب دولته، ووافى

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٤٨/٨

عليّ من ظلّه، وشملني من فضله، ما سبغ لباسه، وطابت أغراسه، والحمد لله اعترافا بنعمته، حمدا يوجب شمول منّته." (١)

"أقول: قال الخليل: سُمي بذلك لأنه اقتضب من الشعر، أي اقتطع منه. وقيل: لأنه اقتضب من النسرح على الخصوص، وذلك لأن المنسرح كما سبق مبنيّ في الدائرة من مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن ومثلها، والمقتضب مبنيّ في الدائرة من مفعولات مستفعلن مستفعلن ومثلها، وليس بينهما إلا تقدم مفعولات في المقتضب وتوسطه في المنسرح، فكأن المقتضب مقتطع منه إذا حذف من أوله مستفعلن. قال ابن بري: ويحتمل أن يكون هذا تفسيراً لقول الخليل. قال:

وما أقبلتْ إلا أتانا بوصلها ... مبشرنا يا حبذا ما به أتى

أقول: الواو من قوله ((وما)) ملغاة ولا يقع بها التباس، لأن اعتبار الترتيب في الأحرف المرموز بها للبحور قاضٍ بإلغاء الواو في هذا المحلّ ضرورة أنّ اللام التي فرغ منها ليس بعدها الواو، وإنما بعدها الميم، فحينئذ تكون الواو لغواً والميم هي المرموز بها فتكون إشارة إلى أن هذا البحر هو البحر الثالث عشر. والألف من ((وما)) إشارة إلى أن له عروضاً واحدةً، والألف من ((أقبلت)) إشارة إلى أن له ضرباً واحداً وكلاهما مجزوء مطوي، وبيته:

أقبلتْ فلاحَ لها ... عارضانِ كالبرَد

فقوله ((لاح لها)) هو العروض، وقوله ((كالبرد)) هو الضرب، وزن كلّ منهما مفتعلن. وأشار إلى هذا الشاهد بقوله ((أقبلت)) . وهذا من عجيب صنع الناظم في هذه المقصورة، فإن بعض هذه الكلمة وهو الألف رَمَزَ بها للضرب كما سلف وكلها رمز بها للشاهد. وفي هذ البحر المراقبة بين فاء مفعولات وواوها فلا يحذفان معاً ولا يثبتان معاً. وسببُ ذلك أما في مفعولات الأولى فلأن ساكني سببها ليس لهما ما يعتمدان عليه إلا الوتد المفروق فلم يقوَ لاعتمادها عليه جميعاً، وأما في مفعولات التي في الحشو فكأنهم قصدوا تشبيهاً بالأولى فأجروها في المراقبة مجراها. وقد حكى بعضهم سلامة مفعولات الأولى والأخيرة فلم يراع المراقبة في شيءٍ منهما، وأنشدوا منه:

لا أعوك من بعدٍ ... بل أدعوك من كثبِ

ويدخل هذا البحر من الزحاف الخبن والطيّ في مفعولات، وأما العروضُ والضرب فقد تقدم أن طَّيهما واجب. وبيت الزِّحاف في مفعولاتُ:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٢٠/٩

أتانا مبشرنا ... بالبيان والنذُّرِ

فقوله ((أتانام)) وزنه فعولات، فهذا مفعولات خبن بحذف فائه فصار معولات فنقل إلى فعولات، وقوله ((بلبيان)) وزنه فاعلات، وأصله مفعولات طوى بحذف واوه فصار مفعُلات فنقل إلى فاعلاتُ. وأشار إلى هذا الشاهد بقوله ((أتانا مبشرنا)) وقد تقدم أن الأخفش أنكر هذا البحر كالمضارع، وقد تقدم الكلام معه في ذلك.

المجتثُّ

أقول: قال الخليل: سُمي بذلك لأنه اجتث أي قطع من طويل دائرته. وقال الزجاج: هو من القطع، وهو ضدّ المقتضب لأن المقتضب اقتضب له الجزء الثالث بأسره والمجتثُّ اجتث منه أصل الجزء الثالث فنقص منه. وقال ابن واصل إنما سُمي مجتثاً أخذاً من الاجتثاث الذي هو الاقتطاع، فلما كان منّقطعاً في دائرة المشتبه من بحر الخفيف كان مجتثاً منه، والمخالفة بينه وبين الخفيف من حيث التقديم والتأخير. وهذا البحر، أعني المجتث، مبني في الدائرة من ستة أجزاء على هذه الصورة: مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن، مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن قال:

نقاً أمْ هلالٌ من علقتَ ضمارهمْ ... أولئكَ كلٌّ منهم السيِّدُ الرضا

أقول: النون من قوله ((نقا)) إشارة إلى أن هذا البحر هو الرابع عشر، والقاف ملغاة والألف منها إشارة إلى أن له عروضاً واحدة، والألف من قوله ((أم)) إشارة إلى أن له ضرباً واحداً، وبيته:

البطنُ منها خميصٌ ... والوجهُ مثلُ الهلالِ

وأشار إلى هذا الشاهد بقوله ((هلال)) . ويجري في هذا البحر ما جرى في الخفيف من خبن وكفّ وشكل، وتجري فيه المعاقبة والصدرُ والعجزُ والطّرفان. والمعاقبة هنا بين نون مستفع لن وألف فاعلاتن. وحذفُ ألف فاعلاتن لاعتمادها على وتدٍ مجموع بعديّ وتقع بين نون فاعلاتن وسين مستفع لن. ويمكن أن يكون حذفُ النون أولى لأن الوتد الذي اعتمدتْ عليه السين وغن كان بعدياً فإنه مفروق. وقد استبان لك بما ذكرناه تصورُ الطرفين إما في العروض أو في الجزء الذي بعدها. فبيت الخبن:

ولو علقتَ بسلمى ... علمتَ أن ستموتُ

أجزاؤه كلها مخبونة. وأشار إلى هذا الشاهد بقوله ((علقت)) . وبيت الكف:." (١)

---

(١) العيون الغامزة على خبايا الرامزة البَدْر الدَّمَامِيني ص/٧١

"فإن الممدوح إبراهيم بن هشام المخزومي، خال هشام بن عبد الملك وأما **التقديم والتأخير ففي** قوله وما مثله، البيت، فإن تقديره: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه. وسلوك طريق التعقيد في قوله أبو أمه أبوه، وكان يجزيه قوله جده. وهذا لعمري هو التعقيد الذي بينه وبين التهذيب والتأديب الذي قررناه، بعد المشرقين. وقد تقدم قولي: إن البديعيين أجمعوا على أن هذا النوع ليس له شاهد يخصه؛ لأنه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد، ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات في هذا النوع، أعني التهذيب والتأديب.

ولكن رأيت العلامة زكي الدين بن أبي الأصبع قد استحسن من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضي السعيد بن سنا الملك.

تغنى عليها حليها طربًا بها ... وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال: وقوله صحيح، لو لم تقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء، حصل بها في البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها، وكان البيت خاليًا من التهذيب، فإن بوجودها حصل في بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب، وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية، وبذلك تقدم التهذيب فإنه لو قال:

زهت بأزاهير الجمال وحسنها ... وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع، يقول فيه عن النبي، صلى الله عليه وسلم:

هو النبي الذي آياته ظهرت ... من قبل مظهره للناس في القدم

قد تكرر قولي أنني لم أكثر من شواهد هذا النوع، إلا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات. والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

والله هذبه طفلًا وأدبه ... فلم يحل هديه الزاكي ولم يرم[1]

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي، صلى الله عليه وسلم:

تهذيب تأديبه قد زاده عظمًا ... في مهده وهو طفل غير منفطم

---

١ لم يحل: لم يتغير.." (١)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٤/٢

"وعطف بعضهما على بعض، بحسن ترتيب، وائتلاف المعنى؛ لأن كل لفظة لا يصلح معها غيرها، والإيجاز؛ لأنه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة، والتسهيم؛ لأنه من أول الآية إلى قوله: أقلعي، يقتضي آخرها، والتهذيب؛ لأن مرادات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير، والتمكين؛ لأن الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها، والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة، كما ينسجم الماء، وباقي مجموع الآية الشريفة هو الإبداع الذي هو المراد هنا، مع تكرار الأنواع البديعية.

وسهوت عن تقديم حسن البيان، وهو أن السامع لا يتوقف في معرفة معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء من هذه النظائر، وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر.

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على الإبداع قوله:

ذل النضار كما عز النظير لهم ... بالفضل والبذل في علم وفي كرم١

الشيخ صفي الدين في بيته من أنواع البديع: التجنيس، والتسجيع، واللف والنشر، والكناية عن الكرم، في قوله: ذل النضار، وائتلاف المعنى مع المعنى.

والعميان ما نظموا هذا في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي ذكر فيه ستة عشر نوعًا، ما أمكن العبد استيعابها، وتركته لحذاق الأدب، وهو قوله:

كم أبدعوا روض عدل بعد طولهم ... وأترعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتي، أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

إبداع أخلاقه إبداع خالقه ... في زخرف الشعر فاسجع بها وهم

الشطر الأول من هذا البيت مشتمل على: التورية، وعلى جناس التصحيف، وعلى الجناس المطلق، وعلى الترصيع، والمماثلة، والتسجيع، وائتلاف المعنى مع المعنى، والسهولة. والشطر الثاني فيه: التورية، ومراعاة النظير، والاعتراض، والانسجام ظاهر في البيت بكماله، والإبداع الذي هو المراد هنا، والله أعلم.

---

١ النضَار: الجود والكرم.." (١)

"والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته ... تبارك الله منشي الدرّ في الكلم

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٢٩٢

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر، وبيت الشيخ صفي الدين خراب؛ لأنه غير صالح للتجريد، ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت، وعلى هذا التقرير لم يحصل في بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى.

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته ... والجسم عندي بغير الروح لم يقم

٢- ائتلاف اللفظ مع الوزن:

واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا ... فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع، أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن، قال قدامة: هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها في البنية، ولا إلى الزيادة، ولا إلى التقديم والتأخير. ومنهم من قال: هذا النوع لا مثال له بصورة معينة؛ لأنه عبارة عن أنه لا يضطر إلى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا ملكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

وفي رواية: أخو أمه: فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك، فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة، ولو قال: ما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله، لسهل مأخذه وقرب تناوله.

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله:

في ظل أبلج منصور اللواء له ... عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله:

أؤلف اللفظ مع وزن بمدحة مو ... لانا وذم عدوّ بين الثلم

قلت: ثقل الهمزة في اللفظة أؤلف، والوقوف لتحرير الوزن عند قوله: بمدحة مولانا، كان سببًا في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين." (١)

"﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ١. والنقصان ما تقدم من قول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب، فإنه أسقط لفظة هو، إذ الآية الكريمة لفظها: ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ٢. والتقديم والتأخير، كقول الشاعر:

قال لي إن رقيبي ... سيئ الخلق فداره

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٤٣/٢

قلت دعني وجهك ... الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث، فإنه تقدم أن الإجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن في الكلام من الحديث النبوي اقتباسًا، وزاد هنا الطيبي في الاقتباس من مسائل الفقه، والشاعر قدم في لفظ الحديث وأخر؛ لأن لفظ الحديث: "حفت الجنة بالمكاره"، ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه، ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن، والنقص منه، ولكنهم يأتون به على أنه لفظ القرآن، ومن أمثلته الشعرية قول الحماسي:

إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر

سيبقى لها في مضمر الحب والحشا ... سرائر تبقى يوم تبلى السرائر3

ومنه:

أهدى إليكم على بعد تحيته ... حيّوا بأحسن منها أو فردوها

ويعجبني هنا قول ابن سنا الملك في بعض مطالعه:

رحلوا فلست مسائلًا عن دارهم ... أنا باخع نفسي على آثارهم4

ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم:

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذي أتلو لهم ﴿يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسولا سبيلا﴾ 5

ومثله في الحسن، قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى:

---

1 البقرة: 2/ 156.

2 النحل: 16/ 77.

3 السرائر: الأولى: الأسرار، والثانية: النوايا أو مكان الأسرار وتبلى: تختبر وتجرّب.

4 باخع نفسه: قاهرها وقاتلها غيظًا وغمًّا.

5 الفرقان: 25/ 26. بزيادة "كنت" عليها.." (1)

"ذكر الجهشياري في كتاب الوزراء، عن رجاء بن أبي الضحاك، أنه في سنة مائتين، أحصى ولد العباس، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا [1] . قال العباس بن طرخان أبو الينبعي، يخاطب بعض الخلفاء: [السريع]

---

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة 2/457

لزمت [في] دهليزكم جمعة ... ولم أكن آوي الدهاليزا [٢]

خبزي من السوق ومدحي لكم ... تلك لعمري قسمة ضيزى

ذكر الوزير المغربي في كتاب أدب الخواص أنّ البطيخ العبدلاوي الذي بالديار المصرية، منسوب إلى عبد الله بن طاهر بن الحسين/ الخزاعي أمير مصر، مات سنة ٢٣٠ هـ[٣] .

قال أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، يصف عبده [٤] : [البسيط]

ما هو عبد لكنه ولد ... خوّلنيه المهيمن الصمد

وشدّ أزري بحسن خدمته ... فهو يدي والذراع والعضد

صغير سنّ كبير منفعة ... تمازج الضعف فيه والجلد

في سنّ بدر الدّجى وصورته ... فمثله يصطفى ويعتقد

معشق الطرف كحله كحل ... مغزل الجيد حليه الجيد

وورد خديه والشقائق ... والتفاح والجلنار منتضد

رياض حسن زواهر أبدا ... فيهنّ ماء النعيم مطّرد

وغصن بان إذا بدا وإذا ... شدا فقمريّ بانه غرد

مبارك الوجه مذ حظيت به ... بالي رخيّ وعيشتي رغد [٥]

أنسي ولهوي وكل مأربتي ... مجتمع فيه لي ومنفرد [٦]

مسامري إن دجا الظلام عليّ منه ... حديث كأنه الشهد [٧]

ظريف مزح مليح نادرة ... جوهره حسن شرارة تقد [٨]

---

[١] نكت الهميان ص ١٧٨.

[٢] ورد صدر البيت في كل النسخ ناقصا وغير موزون، ولعله يستقيم بإضافة (في) .

[٣] وفيات الأعيان ٢/٢٧٤.

[٤] جاءت القصيدة مع التقديم والتأخير في بعض الأبيات في فوات الوفيات ١/٣٤٧- ٣٤٨.

[٥] في ب، ط، ل: مبارك الطرف.

[٦] في ب، ط، ل: أمسي ويهوى.

[٧] هذا البيت انفردت به نسخة ع.

[٨] في ب، ط، ل: ظريف مدح.." (١)

"خازن ما في يدي وحافظه ... فليس شيء لديّ يفتقد

ومنفق مشفق إذا أنا أس ... رفت وبذّرت فهو مقتصد

يصون كتبي فكلّها حسن ... يطوي ثيابي فكلها جدد

وأبصر الناس بالطبيخ فكال ... مسك القلايا والعنبر الثرد

وهو يدير المدام إن جليت ... عروس دنّ نقابها الزّبد

يمنح كأسي يدا أناملها ... تنحلّ من لينها وتنعقد

ثقّفه كيسه فلا عوج ... في بعض أخلاقه ولا أود

وصيرفيّ القريض وزّان ... دينار المعاني الجياد منتقد

ويعرف الشعر مثل معرفتي ... وهو على أن يزيد مجتهد

وكاتب توجد البلاغة في ... ألفاظه والصواب والرشد

وواجد بي من المحبة وال ... رأفة أضعاف ما به أجد

إذا ابتسمت فهو مبتهج ... وإن تنمّرت فهو مرتعد [١]

ذا بعض أوصافه وقد بقيت ... له صفات لم يحوها أحد

وقال الشهاب محمود الكاتب في عكس هذا المعنى [٢] : [البسيط]

ما هو عبد كلا ولا ولد ... إلا عناء يضنى به الكبد

وفرط سقم أعيا الأساة فلا ... جلد عليه تبقى ولا جلد

أقبح ما فيه كلّه فلقد ... تساوت الروح فيه والجسد

أشبه شيء بالقرد فهو له ... إن كان للقرد في الورى ولد

ذو مقلة حشو جفنها عمص ... تسيل دمعا وما بها رمد

ووجنته مثل صبغة الورس ... ولكن ذاك صاف ولونها كمد

كأنه الخد في نظافته ... قد أكلت فوق صحنه غدد

يقطر سمّا فضحكه أبدا ... شرّ بكاء وبشره حرد

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٣١

يجمع كفيه من مهانته ... كأنّه في الهجير مرتعد

يطرق لا من حياء ولا خجل ... كأنّه للتراب منتقد

---

[١] في ع: وإن نهرت.

[٢] القصيدة في فوات الوفيات ٣٤٩/١، مع التقديم والتأخير في بعض الأبيات.." (١)

"هذا ١:

كأن مُثارَ النَّقع فوق رؤوسنا ... وأسْيافَنا، ليل تَهَاوى كواكبه

ومراد صاحب المفتاح من الصياغة /س ٩٦ب/ حيث قال ٢: " مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب (إن زيدا منطلقٌ) إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام.. " هذه الصياغة المستعارة للنظم. ولذلك أضافها إلى الكلام دون المعاني كما أضافها إليها في موضع آخر على ما تقف عليه بإذن الله تعالى.

وقد تستعار الصياغة لترتيب المعاني وإحداث الصورة فيها كما هو الظاهر من كلام الشيخ حيث قال في كتابه المذكور سابقا ٣: " واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس /ع ٢٠٩ب/ تكون ٤ من جهة الصورة، فكان تبين ٥ إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون ٦ في صورة هذا لا تكون ٧ في صورة ذاك. وكذلك الأمر في المصنوعات، وكان تبين ٨ خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين ٩، وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: " إنما الشعر صياغة ١٠ وضرب من التصوير " انتهى كلامه.

وهذا المعنى من الصياغة أيضا لا يتوقف على الاتساع /س ٩٧أ/ والتجوز، بل يتحقق بهما تارة، وبمجرد التصرف في النظم أخرى. صرَّح الشيخ بذلك، حيث قال ١١: " جملة الأمر أنَّ صورَ المعاني لا تتغير ١٢ بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار إلى معان أخر.

واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحدا، فأما إذا تغيَّر النظم فلا بد حينئذ من أن تتغير ١٣ صورة المعنى

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٣٢

على ما مضى من البيان في ١٤ مسائل التقديم والتأخير " إلى هنا كلامه.
إلا أنه في الغالب يكون بنوع من الأتساع والتجوز، ولذلك قال الجاحظ: وإنما الشعر صياغة، ولم يقل: وإنما الكلام صياغة؛ فإن الشعر كالعلم لما اتُّسع فيه وتجوّز من الكلام، وإلا فحقه التعميم كما فصله ١٥ الشيخ، حيث قال ١٦: " ومعلوم أم سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى /ع ٢١٠أ/ الذي يعبر عنه سبيل الشيء ١٧ الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار " انتهى كلامه ١٨.." (١)

"إن الآية الكريمة ما أنزلت إلا للتحدي وحقيقة التحدي هو طلب المثل عمن لا يقدر على الإتيان به، فإذا قال المتحدي: فأتوا بسورة بدون قوله من مثله، كل أحد يفهم منه أنه يطلب سورة من مثل كل القرآن، وإذا قال: أيتوا من مثله بدون قوله بسورة كل أحد يفهم منه أنه يطلب من مثل القرآن ما يصدق عليه أنه مثل القرآن، أي قدر كان، سورة أو أقل منها أو أكثر، وإذا أراد المتحدي الجمع بين قوله بسورة وبين قوله من مثله فحق الكلام أن يقدم من مثله ويؤخر بسورة، ويقول: فأتوا من مثله بسورة، حتى يتعلق الأمر بالإتيان من المثل أولاً بطريق العموم وكان بحيث لو اكتفى به لكان المقصود حاصلاً، والكلام مفيداً لكن تبرع ببيان قدر المأتي به فقال بسورة فيكون من قبيل التخصيص بعد التعميم في الكلام والتبيين بعد الإبهام في المقام. وهذا الأسلوب مما يعني به البلغاء.
وأما إذا قال فأتوا بسورة من مثله على أن يكون من مثله متعلقاً بفأتوا يكون في الكلام حشوأن وذلك لأنه لما قال بسورة: عرف أن المثل هو المأتي منه، فذكر من مثله على أن يكون متعلقاً بفأتوا يكون في الكلام حشواً وكلام الله منزه عن هذا. فلهذا حكم بأنه وصف للسورة.
وتلخيص الكلام أن التحدي بمثل هذه العبارة يقع على أربعة أساليب: الأول تعيين المأتي فقط، الثاني تعيين المأتي منه فقط، الثالث الجمع بينهما على أن يكون المأتي منه مقدماً والمأتي به مؤخراً، والرابع العكس ولا يخفى على من له بصيرة في نقد الكلام أن الأساليب الثلاث الأول مقبولة عند البلغاء، والأخير مردود ويبقى ذكر المأتي منه بعد ذكر المأتي به حشواً هذا إذا جعل المأتي منه مفهوم المثل.
وأما إذا كان المأتي منه مكاناً أو شخصاً أو شيئاً آخر مما لا يدل عليه التحدي فذكره مفيد قدم أو أخر، ولذلك جوز العلامة صاحب الكشاف أن يكون من مثله متعلقاً بفأتوا حيث كان الضمير راجعاً إلى عبدنا.
والحاصل أنه إذا جعل المثل المأتي منه فإذا أريد الجمع بين المأتي منه والمأتي به فلا بد من تقديم المأتي

(١) رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة ابن كَمَال باشا ص/١٨٦

منه على المأتي به، ولا يكون الكلام ركيكاً وأما إذا كان المأتي منه شيئاً آخر **فالتقديم والتأخير سواء**. وما يؤيد هذا المعنى ما أفاده المحققون في قول القائل عند خروجه من بستان المخاطب، أكلت من بستانك من العنب أنه لو: قال أكلت من العنب من بستانك، يكون الكلام ركيكاً بناء على أنه لما قال أكلت من العنب علم أنه أكل من البستان، فقوله من بستانك يبقى لغواً وأما إذا قال: أولاً من بستانك أفاد أنه أكل من البستان بعد أن لم يكن معلوماً ولكن بقي الإبهام في المأكول منه فلما قال من العنب." (١)

"فيما يتعلق بغرايب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة وما يتعلق به من الإختصار والحذف والإضمار، **والتقديم والتأخير والمجاز**، فمن لم يحكم ظاهر التفسير، وبارد إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، مثاله قوله تعالى: " وآتينا ثمود الناقة مبصرة، فظلموا بها " والناظر إلى ظاهر العربية ربما يظن أن المراد الناقة كانت مبصرة، ولم يكن عمياً، والمعنى أية مبصرة أنهم اذا ظلموا غيرهم انتهى.

وفد حاجب بن زرارة على أنوشيروان، فأستأذن عليه، فقال للحاجب: سله من هو؟ فقال: رجل من العرب، فلما مثل بين يديه قال له أنوشيروان: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: أليس زعمت أنك أحدهم؟ فقال: إني كنت كذلك، ولكن لما أكرمني الملك بمكالمته صرت سيدهم، فأمر بحشو فيه دراً.

استماح أعرابي خالد بن عبيد الله، وألح في سؤاله، وأطنب في الإبرام، فقال خالد: أعطوه بدرة يضعها في حرامه، فقال الأعرابي: واخرى لاستها يا سيدي لئلا تبقى فارغة، فضحك وأمر له بأخرى أيضاً.

قال بعض الخلفاء: إني لأبغض فلان له إلي ذنب، فقال بعض الحاضرين: أوله خيراً تحبه، فأنعم عليه، فما لبث أن صار من خواصه.

سئل بعض الجند عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فسمع ذلك أعرابي، فقال: الناس ينتسبون طولاً، وهذا الفتى ينتسب عرضاً.

لبعضهم:

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور

فليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وأني غير مأجور

قال بعض الحكماء: إصنع المعروف إلى من يشكره، واطلبه ممن ينساه. وقال: النعم وحشية فأشكلوها بالشكر. أثنى بعضهم على زاهد، فقال الزاهد: يا هذا لو عرفت مني ما أعرفه من نفسي لأبغضتني.

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٣٤٧/١

شعر:

إذا كان ربي عالماً بسريرتي ... فما الناس في عيني بأعظم من ربي

خطب معاوية خطبة عجيبة فقال: أيها الناس هل من خلل؟ فقال: رجل من عرض الناس: نعم خلل كخلل المنخل، فقال: وما هو؟ فقال: إعجابك بها ومدحك إياها.." (١)

"[ضوابط حروف الزيادة]

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط، ولنذكر الآن بعضها، فنقول: منها " أهوى تلمسانا " ونظمتها فقلت:

قالت حروف زياداتٍ لسائلها ... هل هويت بلدة: أهوى تلمسانا وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو، وهو:

هناء وتسليم، تلا يوم أنسه، ... نهاية مسؤول، أمان وتسهيل ومنها " هويت السمان ". وحكي أن أبا عثمان المازني سئل عنه فأنشد:

هويت السمان فشيّبنني ... وقد كنت قدماً هويت السمانا فقيل له: أجبنا، فقال: أجبتكم مرتين، ويروى أنه قال: سألتمونيها، فأعطيتكم ثلاثة أجوبة، هكذا حكاه بعض المحققين، وهو أرق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه، ومنها: " سألتمونيها "، ومنها: اليوم تنساه، الموت ينساه، أسلمني وتاه، هم يتساءلون، التناهي سمو، تنمي وسائله، أسلمي تهاون، تهاوني أسلم، الtمس هواني، ما سألت يهون، مؤنس التياه، لم يأتنا سهو، يا أويس هل نمت، نويت سؤالهم، نويت مسائله، سألتم هواني، تأملها يونس، أتاني وسهيل، هوني مسألتها، سألت ما يهون، وسليمان أتاه، تسأل من يهوى، استملاني هو، أسلمت وهناي، هو استمالني، سايل وأنت هم، يا هول استنم، أتاه وسليمان.

قلت: وليس هذا تكراراً مع السابق الذي هو " وسليمان أتاه " لأن التقديم والتأخير يصيرهما شيئين.

ومنها: الوسمي هتان، أوليتم سناه، واليتم أنسه، أمسيت وناله، أنله." (٢)

"توسيماً، أملتني سهواً، أتوسل يمنها، سألتهن يوماً، سألت يومنها، سألت ما يوهن، نهوي ما سألت، يهون ما سألت، وقد سبق " سألت ما يهون " وعدهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما مر نظيره، ألا تنس يومه، ليتأس ماؤه، سله موتي أنا، أنسته اليوم، سألم هوينا، آوي من تسأله، وهين ما سألت، وهني ما

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢١٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٤٥٥

سألت، مسألتي نواه.

ومنها: مسألتي هاون، سهوان يتألم، أيلتم سهوان، أو يلتم ناسه، مسألتي أهون، أو ميت تنساه، سموتهن إليها، أمليت سهوان، وسألتم هينا، يهون ما تسأل، أتلو من سهيا، أسلم وانتهى، يتأمل سهوان، يتأمل ناسوه، يتأملن سواه، ايتأمل نسوه، الهوى أتنسم، وليت ماه آسن، تولين أسهما، اتلوا سهمين، أول ساهمتني، أسماؤه تنيل، يتأمله سوا، أولم يتسناه، آمن ويتساهل، أمسيتن لهواً، توسميه لناء، هو ما تسألين، لأيهما نتوسم، أيهما نتوسل، أتاني لسموه، سميتهن أولاً، أولاهن سميت، سلمتني أهوا، أسلمتني هوا، أو نستميلها، أيستمهلونا، هنأت الموسى، سليم انتهوا، وأنت سائلهم، ساءلته ينمو، تهنأ لا يسمو، اسألي مؤنته، سألتي موهناً، التمس هوناً، استملي أهون، التناه موسى، لهواء يتسنم، نهوى ما تسأل، ماؤه ليتأسن، تنسمي لهواء، تلومي إن سها، ألمتني سهواً، ستولينا أمه، يتمهلون أسا، أمهلتني سوا، التناسي وهم، أهويت سلمان، هويت المأنس، المأنس تهوي، هويت أم ناسل، أوليس تم هنا، استوهن أملي، استهون ألمي، استلمنا وهيأ، أتسلمونيها، أيتسلمونها، ألا يتسمونه، أليس توهمنا، ألا يتسنموه.

فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيباً، منها ما هو متين، ومنها ما هو غير متين، وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيباً محكياً وغير محكي، وأحسنها بيت ابن عبدون السابق، ويليه بيت ابن مالك، وقال الطغمي جامعاً لها أربع مرات:." (١)

"إذا قلت: فإذا هو، لأبى أن يكون الضمير للزنبور والعقرب على حد قولك الزنبور العقرب ويجوز أن تقول فإذا هي هو على **التقديم والتأخير على** حد قولك فإذا العقرب الزنبور أي سواء في شدة اللسعة كما تقول خرجت فإذا قائم زيد على تقدير فإذا زيد قائم، ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه، وتكون هي كناية على اللسعة على تقدير: فإذا لسع الزنبور لسعة العقرب، ويجوز فإذا هي هو على إضمار اللسعة واللسع، والتقدير: فإذا لسعة الزنبور لسع العقرب، وهذا كله لا يجوز فيه إلا الرفع عند البصريين، لن الآخر هو الأول، والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال، والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم، وهو غلط بين، وخطأ فاحش، لا تقوله العرب، ولا تعلق له بقياس، فاعلمه.

ويجوز في المسألة فإذا هو هو على تقدير: فإذا اللسع اللسع، ويجوز فإذا هي هي على تقدير: فإذا اللسعة اللسعة، وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

وأما نسب سيبويه ففارسي مولى لبني حارث بن كعب بن علة بن خلدة ابن مالك، وهو مذحج، واسمه

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٥٦/٣

عمرو بن عثمان بن قنبر، وكنيته أبو بشر، ولقبه الذي شهر به سيبويه، ومعناها بالفارسية رائحة التفاح، وكان من أطيب الناس رائحة، وأجملهم وجهاً، وقيل: معنى سي ثلاثون، ومعنى بويه رائحة، فكأن معناها: الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة.

وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو – مع ما كان عليه من الميل إلى التفسير والحديث – فإنه سأل يوماً حماد بن سلمة فقال له: أحدثك هشام ابن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة، بضم العين، فقال له حماد: أخطأت، إنما هو رعف بفتح العين، فانصرف الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد، فقال له الخليل: صدق حماد، ومثل حماد يقول هذا، ورعف بضم العين لغة ضعيفة، وقيل: إنه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس، وكان مولده ومنشؤه بها، ليكتب الحديث ويرويه، فلزم حلقة حماد." (١)

"الرّب، ونعم الشفيع يوم القيامة، والمتوسل فيما يتوج القارىء وأباه تاج الكرامة، وأرشدوا للخير ما استطعتم، واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم، والله ولي التوفيق والإرشاد، والملجىء بالهداية إلى طريق الفوز والسداد.

وهذه أوامرنا إليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها، وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها، وإنّا لما يكون منكم فيها لمستمعون، ولآثاركم فيما يوفيها لمتطلعون، وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمتنا في التذكير، ونهجنا لكم منها التقديم والتأخير، والله تعالى يعلم أنّا إنّما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب، وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الحظر والإيجاب، لنرعى حقّه سبحانه فيمن استرعانا، ونسعى في صلاح الأمّة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا.

اللهم عبدك يضرع إليك، ويخضع بين يديك، في أن تلهمه إلى ما يجمل قصداً ومعتمداً، وتهب له من لدنك رحمة وتهييء له من أمره رشداً، اللهم منك المعونة على ما وليت، ولك الشكر على ما أوليت، فالمهديّ من هديت، والخير كلّه فيما قضيت. اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معيناً، وأورده من توفيقك عذباً معيناً، إنّك الولي النصير، العلي الكبير.

وإذا وصلكم كتابنا هذا فقصّوه (١) على الناس مفصلاً ومجملاً، وأظهروا مضمونه لهم قولاً وعملاً، واسلكوا بهم من مراشده سنناً مستجملاً، إن شاء الله تعالى، والله سبحانه يديم علاكم، ويصل إادتكم في كل محمد وإبداكم، ويجزل حظوظكم من السعادة وأنصباكم، بمنّه وكرمه لا ربّ سواه. والسّلام الأكرم الأزكى يخصّكم،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/٨٤

ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب في الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة؛ انتهى.

---

(١) ق: فنصوه.." (١)

"وَلَك فِي أَن مذهبان فمذهب سِيبَوَيْهٍ والأخفش والكوفيين رفع أَن بالظرف وكل اسْم حدث يتقدمه ظرف يرْتَفع عِنْد سِيبَوَيْهٍ بالظرف ارْتِفَاع الْفَاعِل وَقد مثل ذَلِك بقوله غَدا الرحيل وأحقا أَنَّك ذَاهِب قَالَ حملوه على أَفِي حق أَنَّك ذَاهِب وَالْحق أَنَّك ذَاهِب وَالْمذهب الآخر مَذْهَب الْخَلِيل وَذَلِكَ أَنه يرفع اسْم الْحَدث بِالِابْتِدَاءِ ويخبر عَنهُ بالظرف الْمُتَقَدّم حكى ذَلِك عَنهُ سِيبَوَيْهٍ فِي قَوْله وَزعم الْخَلِيل أَن التهدد هَا هُنَا بِمَنْزِلَة الرحيل بعد غَد وَأَن أَن بِمَنْزِلَتِهِ ا. هـ.

وَقَالَ ابْن هِشَام فِي مُغنِي اللبيب أَن وصلتها مُبْتَدأ والظرف خَبره وَقَالَ الْمبرد حَقًّا مصدر لحق محذوفا وَأَن وصلتها فَاعل ا. هـ.

وَقد استشْكل النّحاس قَول الْخَلِيل أَن التهدد هُنَا بِمَنْزِلَة الرحيل بعد غَد إِلَخ فَقَالَ وَهَذَا مُشكل وسالت عَنهُ أَبَا الْحسن فَقَالَ لِأَنَّك تَقول أحقا أَن تتهددوا وَكَذَا أحقا أَنَّك منطلق قَالَ فحقا عِنْده ظرف كَأَنَّهُ قَالَ أَفِي حق انطلاقك قَالَ وَحَقِيقَته أزمن حق أَنَّك منطلق مثل وأسأل الْقرْيَة قَالَ مُحَمَّد بن يزِيد لم يجز الْخَلِيل كسر إِن هُنَا لِأَنَّهُ يكون التَّقْدِير إِنَّك ذَاهِب حَقًّا ثمَّ تقدم ومحال أَن يعْمل مَا بعد إِن فِيمَا قبلهَا وَلَو كَانَ الْعَامِل فِيهَا جَازَ فِيهِ **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير نَحْو** حَقًّا ضربت زيدا وَلَا يجوز حَقًّا زيد فِي الدَّار فَلذَلِك اضْطر إِلَى تَقْدِير فِي وَإِن قلت أحقا أَنَّك ذَاهِب جَازَ لِأَن الْعَامِل معنى ا. هـ.

قَالَ النّحاس وَسمعت أَبَا الْحسن يَقُول." (٢)

"نظرت فِي أحقا فَلم أجد يَصح فِيهِ إِلَّا قَول سِيبَوَيْهٍ على حذف فِي ا. هـ.

أَرَادَ بِهَذَا الرَّد على الْجرْمِي فَإِنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْبَيْت وَنَحْوه هُوَ على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَلَا** يكون على مَا قَالَه سِيبَوَيْهٍ من أَنه ظرف لِأَن الظّرْف لم يَجِيء مصدرا فِي غير هَذَا وَهَذَا الَّذِي قَالَه قَبِيح من جِهَة أَن مَا ينْتَصب لدلَالَة الْجُمْلَة عَلَيْهِ مُتَقَدم قَالَ أَبُو عَليّ فِي التَّذْكِرَة هَذَا لَيْسَ بالْحسنِ على أَن سِيبَوَيْهٍ قَالَ غير ذِي شكّ أَنه

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤١٤/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٠٢/١

خَارج وَقَوْلهمْ غير ذِي شكّ فِيهِ دلَالَة على جَوَاز نصب حَقًا على الظّرْف أَلا ترى أَنه إِنَّمَا أجَاز تَقْدِيمه حَيْثُ كَانَ غير ذِي شكّ بِمَنْزِلَة حَقًا وَفِي مَعْنَاهُ فلولا أَن حَقًا فِي معنى الظّرْف عِنْدهم لم يستعملوا تَقْدِيم مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ إِذْ الْعَامِل إِذا كَانَ معنى لم يتَقَدَّم عَلَيْهِ معموله فلولا أَن حَقًا بِمَنْزِلَة الظّرْف لما تقدم على الْعَامِل فِيهِ وَهُوَ معنى ويؤكد ذَلِك أَيْضا قَوْلهم أكبر ظَنِّي أَنَّك منطلق فإجراؤهم إِيَّاه مجْرى الظّرْف يدل على أَن حَقًا أَيْضا قد أجْرى مجْرى الظّرْف إِذْ كَانَا متقاربي الْمَعْنى وَقد أجْرى الْجرْمِي هَذِه الأبيات الَّتِي أنشدها سِيبَوَيْهٍ على أَنَّهَا مَحْمُولَة على الْمصدر وَأَن مَا بعد الْمصدر مَحْمُول على الْفِعْل أَو على الْمصدر فإمَّا أَن يعْمل فِيهِ الْمصدر وَإِمَّا أَن يعْمل فِيهِ الْفِعْل الْعَامِل فِي الْمصدر وَهَذَا الَّذِي أجَازه جَائِز غير مُمْتَنع وَهُوَ ظَاهر وَقد كنت سَأَلت أَبَا بكر عَنهُ فَقلت مَا تنكر أَن يكون مَحْمُولا على الْفِعْل فَأجَاز ذَلِك وَلم يمْتَنع مِنْهُ ا. هـ.

وبني منادى مُضَاف لما بعده وسلمى بِفَتْح السِّين وَرُوِيَ وعيدكم بدل تهددكم وسط بِسُكُون السِّين ظرف بِمَعْنى بَين وَهَذَا الْبَيْت للأسود بن يعفر أول أَبْيَات أَرْبَعَة وَهَذَا مَا بعده (الطَّوِيل)

(فَهَلا جعلتم نَحوه من وعيدكم ... على رَهْط قعقاع ورهط ابْن حَابِس)

...." (١)

"وَالتَّأْخِير كَأَنَّهُ ابْتِدَاء على قَوْله: والصابئون بعد مَا يمْضِي الْخَبَر.

وَقَالَ الشَّاعِر: كَأَنَّهُ قَالَ: نَحن بغاة مَا بَقينَا وَأَنْتُم. انْتهى كَلَامه.

قَالَ النّحاس: يَعْنِي أَنه عطف أَنْتُم على الْموضع مثل: إِنِّي منطلق وَزيد. انْتهى.

وَكَذَا نقل الزَّمَخْشَرِيّ فِي الْمفصل.

وَقَالَ الأعلم: الشَّاهِد فِي قَوْله: وَأَنْتُم على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير أَي**: فاعلموا أَنا بغاة وَأَنْتم فَأنْتم: مُبْتَدأ وَالْخَبَر: مَحْذُوف لعلم السَّامع وَالْمعْنَى: وَأَنْتُم بغاة.

وَيجوز أَن يكون الْمَحْذُوف خبر أَن كَمَا تَقول: إِن هنداً وَزيد منطلق. وَالْمعْنَى إِن هنداً منطلقة وَزيد منطلق فحذفت خبر الأول لدلَالَة الآخر عَلَيْهِ.

وَالْآيَة الَّتِي اسْتشْهد بهَا سِيبَوَيْهٍ مَعَ الْبَيْت إِنَّمَا هِيَ آيَة الصائبين كَمَا رَأَيْت.

وَأما آيَة بَرَاءَة فَلم يوردها سِيبَوَيْهٍ مَعَ الْبَيْت وَإِنَّمَا أوردهَا قبله بِثَلَاثَة أَبْوَاب وَهُوَ بَاب الْعَطف على اسْم إِن قَالَ: تَقول: إِن عمرا منطلق وَسَعِيد فسعيد يرْتَفع على وَجْهَيْن: حسن وَضَعِيف.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١/ ٤٠٣

فَأما الْحسن فَأن يكون مَحْمُولا على الِابْتِدَاء لِأَن معنى: إِن زيدا منطلق زيد منطلق وَإِن دخلت توكيداً. وَفِي الْقُرْآن مثله: وأذان من الله وَرَسُوله إِلَى النَّاس يَوْم الْحَج الْأَكْبَر أَن الله بَرِيء)
من الْمُشْركين وَرَسُوله.
وَأما الْوَجْه الآخر الضَّعِيف فَأن يكون مَحْمُولا." (١)
"على الِاسْم الْمُضمر فِي المنطلق. فَإِذا أردْت ذَلِك وَإِن شِئْت جعلت الْكَلَام على الأول فَقلت: إِن زيدا منطلق وعمراً ظريف فَجَعَلته على قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: وَلَو أَن مَا فِي الأَرْض من شَجَرَة أَقْلَام وَالْبَحْر يمده من بعده.
وَقد رَفعه قوم على: لَو ضربت عمرا وَزيد قَائِم مَا ضرك أَي: لَو ضربت عمرا وَزيد فِي هَذِه الْحَال كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَو أَن مَا فِي الأَرْض من شَجَرَة أَقْلَام وَالْبَحْر هَذَا أمره مَا نفذت كَلِمَات الله. انْتهى.
-
قَالَ الشاطبي فِي شرح الألفية: يُمكن أَن يكون رفع الْبَحْر فِي الْآيَة على مثل الرّفْع فِي إِن الْمَكْسُورَة لَا على أَنَّهَا حَالية وَإِن أجَاز ذَلِك سِيبَوَيْهٍ بِدَلِيل الْقِرَاءَة الْأُخْرَى بِالنّصب ليتحد معنى الْقِرَاءَتَيْن. انْتهى.
وَإِنَّمَا فسر الشَّارِح الْمُحَقق أَذَان بإعلام لِأَن شَرط أَن الْمَفْتُوحَة فِي الْعَطف على اسْمهَا عِنْد الْمُصَنّف أَن تقع بعد مَا يُفِيد الْعلم. وَإِلَيْهِ ذهب ابْن مَالك فِي شرح التسهيل قَالَ: وَمثل إِن وَلَكِن فِي رفع الْمَعْطُوف: أَن إِذا تقدمها علم أَو مَعْنَاهُ ثمَّ مثل الْعلم بِالْبَيْتِ وَمَعْنَاهُ بِهَذِهِ الْآيَة.
وَقَالَ السيرافي بعد أَن قرر كَلَام سِيبَوَيْهٍ على التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير: يجوز أَن يكون خبر الَّذين محذوفاً لدلَالَة خبر: والصابئون عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْله: من آمن بِاللَّه فَيكون على حد قَول الشَّاعِر:
(نَحن بِمَا عندنَا وَأَنت بِمَا ... عنْدك رَاض والرأي مُخْتَلف)
أَرَادَ: نَحن بِمَا عندنَا راضون وَأَنت بِمَا عنْدك رَاض. ونظم الْآيَة هُوَ: إِن الَّذين آمنُوا وَالَّذين هادوا والصابئون وَالنَّصَارَى من آمن بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر وَعمل." (٢)
"قَالَ شَارِحه الفالي: يَعْنِي يحْتَمل أَن لَا يكون مَعْطُوفًا عَلَيْهِ عطف الْمُفْرد بِاعْتِبَار تشريكهما فِي عَامل وَاحِد بل بِاعْتِبَار عطف الْجُمْلَة على الْجُمْلَة بِأَن يكون خبر إِنَّا هُوَ فِي شقَاق إِذْ لَيْسَ ينسبون الْبَغي إِلَى أنفسهم بل إِلَى المخاطبين خَاصَّة. فالعطف بِاعْتِبَار الْجمل لَا بِاعْتِبَار التَّشْرِيك. والعطف بِاعْتِبَار الْجمل

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٩٤/١٠
(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٩٥/١٠

جَائِز فِي الْجَمِيع.

وَقد أوضح صَاحب الْكَشَّاف فِي تَفْسِير سُورَة الْمَائِدَة وَتَبعهُ الْبَيْضَاوِيّ كَلَام سِيبَوَيْهٍ فِي **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فَقَالَ**: والصائبون رفع على الِابْتِدَاء وَخَبره مَحْذُوف وَالنِّيَّة بِهِ التَّأْخِير عَمَّا فِي حيّز إِن من اسْمهَا وخبرها كَأَنَّهُ قيل: إِن الَّذين آمنُوا وَالَّذين هادوا وَالنَّصَارَى حكمهم كَذَا)

وَأنْشد سِيبَوَيْهٍ شَاهدا لَهُ:

(وَإِلَّا فاعلموا أَنا وأَنْتُم ... بغاة مَا بَقينَا فِي شقَاق)

أَي: فاعلموا أَنا بغاة وَأَنْتُم كَذَلِك.

فَإِن قلت: هلا زعمت أَن ارتفاعه للْعَطْف على مَحل أَن وَاسْمهَا قلت: لَا يَصح ذَلِك قبل الْفَرَاغ من الْخَبَر لَا تَقول: إِن زيدا وَعَمْرو منطلقان.

فَإِن قلت: لم لَا يَصح وَالنِّيَّة بِهِ التَّأْخِير فكأنك قلت: إِن زيدا منطلق وَعَمْرو قلت: لِأَنِّي إِذا رفعته رفعته عطفا على مَحل إِن وَاسْمهَا وَالْعَامِل فِي محلهَا هُوَ الِابْتِدَاء فَيجب أَن يكون هُوَ الْعَامِل فِي الْخَبَر لِأَن الِابْتِدَاء يَنْتَظِم الجزأين فِي عمله كَمَا تنتظمهما إِن فِي عَملهَا فَلَو رفعت الصابئون الْمَنوِي بِهِ التَّأْخِير بِالِابْتِدَاءِ وَقد رفعت الْخَبَر بإن لأعملت فيهمَا رافعين مُخْتَلفين.." (١)

"فَإِن قلت: فَقَوله: والصابئون مَعْطُوف لَا بُد لَهُ من مَعْطُوف عَلَيْهِ فَمَا هُوَ قلت: هُوَ مَعَ خَبره الْمَحْذُوف جملَة معطوفة على جملَة قَوْله: إِن الَّذين آمنُوا إِلَخ وَلَا مَحل لَهَا كَمَا لَا مَحل للَّتِي عطفت عَلَيْهَا.

فَإِن قلت: مَا **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير إِلَّا** لفائدة فَمَا فَائِدَة هَذَا التَّقْدِيم قلت: فَائِدَته التَّنْبِيه على أَن الصابئين يُتَاب عَلَيْهِم إِن صَحَّ مِنْهُم الْإِيمَان وَالْعَمَل الصَّالح فَمَا الظَّن بغيرهم وَذَلِكَ أَن الصابئين أبين هَؤُلَاءِ الْمَعْدُودين ضلالا وأشدهم غياً وَمَا سموا صابئين إِلَّا لأَنهم صبؤوا عَن الْأَدْيَان كلهَا أَي: خَرجُوا.

كَمَا أَن الشَّاعِر قدم قَوْله: وَأَنْتُم تَنْبِيها على أَن المخاطبين أوغل فِي الْوَصْف بالبغاة من قومه حَيْثُ عَاجل بِهِ قبل الْخَبَر الَّذِي هُوَ بغاة لِئَلَّا يدْخل قومه فِي الْبَغي قبلهم مَعَ كَونهم أوغل فِيهِ مِنْهُم. وَأثبت قدماً. انْتهى.

وَكَون هَذَا عِنْد سِيبَوَيْهٍ من عطف الْجمل لَا من عطف الْمُفْردَات هُوَ صَرِيح كَلَامه.

-

قَالَ الشاطبي: وَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَر أَن الرّفْع فِي الْمَعْطُوف على الِابْتِدَاء هُوَ اسْتِئْنَاف جملَة معطوفة على أُخْرَى وَهُوَ الْأَظْهر من كَلَام سِيبَوَيْهٍ.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/٣٠٠

وَنقل عَن الْأَخْفَش وَالْفراء والمبرد وَابْن السراج والفارسي فِي غير الْإِيضَاح وَابْن أبي الْعَافِيَة والشلوبين فِي آخر قوليه وَجَمَاعَة من أَصْحَابه.

وَمِنْهُم من جعل ذَلِك عطفا حَقِيقَة من بَاب عطف الْمُفْردَات وَأَن قَوْلك: إِن زيداً قَائِم وَعَمْرو) عطف فِيهِ عَمْرو على مَوضِع زيد وَهُوَ الرّفْع كَمَا عطف على مَوضِع خبر لَيْسَ فِي نَحْو: فلسنا بالجبال وَلَا الحديدا." (١)

"(الشَّاهِد الرَّابِع وَالْخَمْسُونَ بعد التسعمائة)

المنسرح

(لَا تهين الْفَقِير علك أَن ... تركع يَوْمًا والدهر قد رَفعه)

على أَن نون التوكيد الْخَفِيفَة تحذف لالتقاء الساكنين وَالْأَصْل: لَا تهينن الْفَقِير فحذفت النُّون وَبقيت الفتحة دَلِيلا عَلَيْهَا لكَونهَا مَعَ الْمُفْرد الْمُذكر. فَإِن لم تلاق النُّون سَاكِنا فَلَا تحذف إِلَّا للضَّرُورَة.

وَرَوَاهُ الجاحظ فِي الْبَيَان: لَا تحقرن الْفَقِير وَرَوَاهُ غَيره: وَلَا تُعَاد الْفَقِير فَلَا شَاهد فِيهِ.

قَالَ ابْن عُصْفُور فِي كتاب الضرائر: وَذَلِكَ نَحْو مَا أنْشدهُ أَبُو زيد فِي نوادره: المنسرح

(اضْرِب عَنْك الهموم طارقها ... ضربك بِالسَّيْفِ قونس الْفرس)

قَالَ ابْن خروف: إِنَّمَا جَازَ ذَلِك على **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فتوهم** اتِّصَال النُّون من اضربن بالساكن بعده. وَالصَّحِيح أَنه حذفهَا تَخْفِيفاً، لما كَانَ حذفهَا لَا يخل بِالْمَعْنَى وَكَانَت الفتحة الَّتِي فِي الْحَرْف قبلهَا دليلةً عَلَيْهَا. وَيدل على صِحَة ذَلِك قَول الشَّاعِر أنْشدهُ الجاحظ فِي الْبَيَان لَهُ:." (٢)

"ضَرُورَة. فَجعل سِيبَوَيْهٍ هَذَا تَقْوِيَة لما يجوز فِي كم من الْفَصْل عوضا لما منعته من التَّصَرُّف فِي الْكَلَام بالتقدير وَالتَّأْخِير لتضمنها معنى الِاسْتِفْهَام والتصدر بهَا لذَلِك. وَالثَّلَاثُونَ وَنَحْوهَا من الْعدَد لَا تمْتَنع من **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير لِأَنَّهَا** لم تَتَضَمَّن معنى يجب لَهَا بِهِ التصدر فَعمِلت فِي الْمُمَيز مُتَّصِلا بهَا على مَا يجب وَقَوله: على أنني مُتَعَلق بِمَا قبله من الأبيات لَا بقوله يذكرنيك كَمَا زَعمه شَارِح شَوَاهِد الْمُغنِي فَإِن يذكرنيك خبر أنني. والحول: العا وَقَالَ صَاحب الْمِصْبَاح: حَال حولا من بَاب قَالَ: إِذا مضى وَمِنْه قيل للعام حول وَإِن لم يمض لِأَنَّهُ سَيكون حولا تَسْمِيَة بِالْمَصْدَرِ وَالْجمع أَحْوَال.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/٣٠١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١١/٤٥٠

والكميل: الْكَامِل. وَثَلَاثُونَ فَاعل مضى. وَالذكر مُتَعَدٍّ لمفعول وَاحِد يُقَال: ذكرته بلسانِي وبقلبي وَالِاسْم ذكر بِالضَّمِّ وَالْكَسْر نَص عَلَيْهِ جمَاعَة مِنْهُم أَبُو عُبَيْدَة وَابْن قُتَيْبَة وَأنكر الْفراء الْكسر فِي الْقلب وَقَالَ: اجْعَلنِي على ذكر مِنْك بِالضَّمِّ لَا غير. وَيَتَعَدَّى إِلَى مفعولين بِالْألف والتضعيف كَمَا هُنَا فَإِن الْيَاء مفعول أول وَالْكَاف مفعول ثَان. وحنين فَاعله. ونوح مَعْطُوف عَلَيْهِ. والحنين: تَرْجِيع النَّاقة صَوتهَا إِثْر وَلَدهَا هَذَا أَصله وَمِنْه معنى الاشتياق. والعجول من الْإِبِل: الواله الَّتِي فقدت وَلَدهَا بِذبح أَو موت أَو هبة وَقيل: النَّاقة الَّتِي أَلْقَت وَلَدهَا قبل أَن يتم بِشَهْر أَو بشهرين.)

ونوح الْحَمَامَة: صَوت تستَقْبل بِهِ صَاحبهَا لِأَن أصل النوح الْمُقَابلَة وَجُمْلَة تَدْعُو حالم ن الْحَمَامَة. زالهديل قَالَ ابْن قُتَيْبَة فِي أدب الْكَاتِب: الْعَرَب تَجْعَلهُ الهديل مرّة فرخاً تزْعم الْأَعْرَاب أَنه كَانَ على عهد نوح." (١)

"الطَّوِيل فَجعل الْقَوْم يَضْحَكُونَ من عجرفته ويعجبون.

وَرُوِيَ أَنّه قَرَأَ إِذا زلزلت الأَرْض حتّى بلغ آخرهَا فقدّم وَمن يعْمل مِثْقَال ذرة شرّاً يره)

على: فَمن يعْمل مِثْقَال ذرّة خيراً يره فَقَالَ لَهُ عمر: إنّ الله تَعَالَى قدّم الْخَيْر وَأَنت قدّمت الشرّ فَأَنْشد الْبَيْت.

وَأوردهُ صَاحب الكشّاف فِي إِذا زلزلت لهَذِهِ الْحِكَايَة. وهرشى بِالْفَتْح وَالْقصر: ثنيّة فِي طَرِيق مكّة حرسهاالله قريبَة من الْجحْفَة يرى مِنْهَا الْبَحْر.

وَهَذَا مثلٌ فِي التَّخْيِير. لاهرشى طَرِيقَانِ من سلك أيّهما شَاءَ أصَاب. وَضمير لهنّ لِلْإِبِلِ.

وَالْمعْنَى يَا صاحبيّ سيرا فِي بطن هَذِه الثنيّة أَو قفاها أَي: أمامها أَو خلفهَا فإنّ كلا جانيها طريقٌ لِلْإِبِلِ.

كَأَنَّهُ ظنّ أَن **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فِي** هَذَا الْمقَام لَا يضرّ وَهُوَ غفلّةٌ عَن المزايا القرآنية.

وقدم عقيلٌ الْمَدِينَة فَدخل الْمَسْجِد وَعَلِيهِ خفّان غليظان فَجعل يضْرب برجلِهِ فضحكوا مِنْهُ فَقَالَ: مَا يُضْحِككُمْ فَقَالَ لَهُ يحيى بن الحكم وَكَانَت

ابْنة عقيل عِنْده وَكَانَ أَمِيرا على الْمَدِينَة إِنَّهُم يَضْحَكُونَ من خفيّك وضربك بِرِجْلَيْك وجفائك. فَقَالَ: لَا ولكنّهم يَضْحَكُونَ من إمارتك فإنّها أعجب من خفيّ.." (٢)

"قَالَهَا على النصب وَلم يأبه للقافية. قَالَ: لَا كَانَ ينشدها على الرّفْع وأنشدنيها رؤبة على الرّفْع. انْتهى.

وَهَذَا الْبَيْت صَعب الْإِعْرَاب. قَالَ الزَّمَخْشَرِيّ: هَذَا بَيت لَا تزَال الركب تصطك فِي تَسْوِيَة إعرابه.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣/٣٠٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤/٤٨٣

وَقَالَ ابْن قُتَيْبَة فِي كتاب الشُّعَرَاء: رفع الفرزدق آخر الْبَيْت ضَرُورَة وأتعب أهل الْإِعْرَاب فِي طلب الْحِيلَة فَقَالُوا وَأَكْثرُوا وَلم يَأْتُوا فِيهِ بِشَيْء يُرْضِي.

وَمن ذَا يخفى عَلَيْهِ من أهل النّظر أَن كل مَا أَتَوا بِهِ من الْعِلَل احتيال وتمويه وَقد سَأَلَ بَعضهم الفرزدق عَن رَفعه هَذَا الْبَيْت فشتمه وَقَالَ: عَليّ أَن أَقُول وَعَلَيْكُم أَن تحتجوا. انْتهى.

وَقَالَ الْفراء فِي تَفْسِيره: حَدثنِي أَبُو جَعْفَر الرُّؤَاسِي عَن أبي عَمْرو بن الْعَلَاء قَالَ: مر الفرزدق عزفت بأعشاشٍ وَمَا كدت تعزف

حَتَّى انْتهى إِلَى هَذَا الْبَيْت فَقَالَ عبد الله: علام رفعت مجلف فَقَالَ لَهُ الفرزدق: على مَا) يسوءك.

وَفِي تذكرة أبي حَيَّان من النِّهَايَة قَالَ عبد الله بن أبي إِسْحَاق للفرزدق: بِمَ رفعت أَو مجلف فَقَالَ: بِمَا يسوءك وينوءك علينا أَن نقُول وَعَلَيْكُم أَن تتأولوا. ثمَّ قَالَ الفرزدق: الطَّوِيل

(فَلَو كَانَ عبد الله مولى هجوته ... ولكنّ عبد الله مولى مواليا)

فَقَالَ لَهُ عبد الله: أردْت أَن تهجوني فلحنت أَيْضا. والفرزدق مشغوف فِي شعره بالإعراب الْمُشكل المحوج إِلَى التقديرات الْعسرَة بالتقديم وَالتَّأْخِير." (١)

"المخل بالمعاني. وَسمعت شَيخنَا يَقُول: إِنِّي لأعجب من إِبْرَاهِيم بن هِشَام المَخْزُومِي حِين فهم قَول الفرزدق: الطَّوِيل

(وَمَا مثله فِي النّاس إلاّ مملّكاً ... أَبُو أمّه حيٌّ أَبوهُ يُقَارِبه)

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّد بن الخشاب فِي كِتَابه الْمَوْضُوع لجوابه الْمسَائِل السِّت الْإِسْكَنْدَرِيَّة: إِن أَبَا حَاتِم السجسْتانِي قَالَ: لَيْسَ الفرزدق أَهلا لِأَن يستشهد بِشعرِهِ على كتاب الله لما فِيهِ من التعجرف.

وَقَالَ ابْن الخشاب أَيْضا: لم يجر فِي سنَن الفرزدق من تعجرفه فِي شعره **بالتقديم وَالتَّأْخِير المخل** بمعانيه وَالتَّقْدِير الْمُشكل إِلَّا المتنبي وَلذَلِك مَال إِلَيْهِ أَبُو عَليّ وَابْن جني لِأَنَّهُ مِمَّا يُوَافق صناعتهما.

وَلَا ينفع المتنبي شَهَادَة أبي عَليّ لَهُ بالشعر لِأَن أَبَا عَليّ مُعرب لَا نقاد وَإِنَّمَا تَنْفَعهُ شَهَادَة مثل العسكريين وَأبي الْقَاسِم الْآمِدِيّ فَإِنَّهُم أَئِمَّة يقْتَدى بهم فِي نقد الْإِعْرَاب. انْتهى مَا أوردهُ أَبُو حَيَّان.

وَقد تكلّف لَهُ الْعلمَاء عدَّة توجيهات ذكر الشَّارِح الْمُحَقق مِنْهَا ثَلَاثَة أوجه وَالثَّلَاثَة مَبْنِيَّة على رِوَايَة لم يدع بِفَتْح الدَّال وعَلى رِوَايَة نصب مسحت.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٤٥/٥

أما الأول فَهُوَ للخليل بن أَحْمد وَقَالَ: هُوَ على الْمَعْنى كَأَنَّهُ قَالَ: لم يبْق من المَال إِلَّا مسحت لِأَن معنى لم يبْق وَلم يدع وَاحِد وَاحْتَاجَ إِلَى الرّفْع فَحَمله على شَيْء فِي مَعْنَاهُ.

قَالَ أَبُو عَليّ فِي إِيضَاح الشّعْر: نصب مسحت بيدع بِمَعْنى التّرْك وَحمل مجلف بعده على الْمَعْنى لِأَن معنى لم يدع من المَال إِلَّا مسحتاً تَقْدِيره: وَلم يبْق من المَال إِلَّا مسحت فَحمل مجلف بعده على ذَلِك.

وَمثل ذَلِك فِي الْحمل على الْمَعْنى من أَبْيَات الْكتاب قَوْله:." (١)

"وعجزه يُنَافِيهِ فَإِنَّهُ قَالَ: وَبَات اللَّيْل لم ينم فَلَا يُمكن أَن يُوصف بِأَنَّهُ قَالَ فِي بعض أَوْقَات اللَّيْل وَقَالَ عمل وَهُوَ يدل على كَثْرَة الْعَمَل.

وَقَالَ ابْن مَالك: إِنَّمَا أنْشد سيبويه هَذَا الْبَيْت ليعلم جَوَاز الْعُدُول من فَاعل إِلَى فعيل لِأَن أَصله كال. وَلم يتَعَرَّض للإعمال.

وَهَذَا أَيْضا ضعيفٌ بِمَا نقل السيرافي أَنه قَالَ سِيبَوَيْهٍ: كليل فِي معنى مكل مثل أَلِيم ووداءٌ وَقَالَ ابْن هِشَام فِي الْمُغنِي: رد على سِيبَوَيْهٍ فِي استدلاله على إِعْمَال فعيل بِهَذَا الْبَيْت.

وَذَلِكَ أَن موهناً ظرف زمَان والظرف يعْمل فِيهِ رَوَائِح الْفِعْل بِخِلَاف الْمَفْعُول بِهِ.

ويوضح كَون الموهن لَيْسَ مَفْعُولا بِهِ أَن كليلاً من كل وَفعله لَا يتَعَدَّى. وَاعْتذر عَن سِيبَوَيْهٍ بِأَن كليلاً بِمَعْنى مكل وَكَأن الْبَرْق يكل الْوَقْت بدوامه فِيهِ كَمَا يُقَال: أَتعبت يَوْمك. أَو بِأَنَّهُ إِنَّمَا)

اسْتشْهد بِهِ على أَن فَاعِلا يعدل عَنهُ إِلَى فعيل لِلْمُبَالَغَة وَلم يسْتَدلّ بِهِ على الإعمال. وَهَذَا أقرب فَإِن فِي الأول حمل الْكَلَام على الْمجَاز مَعَ إِمْكَان حمله على الْحَقِيقَة. اهـ.

وَنحن ننقل لَك كَلَام سِيبَوَيْهٍ هُنَا ليظْهر لَك حَقِيقَة الْحَال قَالَ فِي بَاب مَا جرى فِي الِاسْتِفْهَام من أَسمَاء الفاعلين من أَوَائِل الْكتاب: وأجروا اسْم الْفَاعِل إِذا أَرَادوا أَن يبالغوا فِي الْأَمر مجْرَاه إِذا كَانَ على بِنَاء فَاعل لِأَنَّهُ لَا يُرِيد بِهِ مَا أُرِيد بفاعل من إِيقَاع الْفِعْل إِلَّا أَنه يُرِيد أَن يحدث عَن الْمُبَالغَة.

فمما هُوَ الأَصْل الَّذِي عَلَيْهِ أَكثر هَذَا الْمَعْنى: فعول وفعال ومفعال وَفعل. وَقد جَاءَ فعيل كرحيم وقدير وَسمِيع وبصير يجوز فِيهِنَّ مَا جَازَ فِي فَاعل من التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير." (٢)

"(أقل بِهِ ركبٌ أَتَوْهُ تئية ... وأخوف إِلَّا مَا وقى الله ساريا)

على أَن أفعل فِيهِ من قبيل: مَا رَأَيْت كعين زيدٍ أحسن فِيهَا الْكحل.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٤٦/٥

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٥٦/٨

قَالَ سِيبَوَيْهٍ: إِنَّمَا أَرَادَ أقل بِهِ الركب تئية مِنْهُم. وَلكنه حذف اسْتِخْفَافًا كَمَا تَقول: أَنْت أفضل وَلَا تَقول من أحد. وَتقول: الله أكبر وَمَعْنَاهُ الله أكبر من كل شَيْء. انْتهى.

قَالَ ابْن خلف: حذف مِنْهُم وَبِه اختصاراً لعلم السَّامع. وَالْهَاء فِي بِهِ الأولى ضمير وَاديا وَالْهَاء فِي بِهِ الَّتِي بعد مِنْهُم ضمير وَادي السبَاع.

وَقَالَ الجاربردي فِي رِسَالَة ألفها لمسألة الْكحل على عبارَة الكافية: ولوقوع التَّغْيِير الْكثير فِي الْعبارَة الثَّالِثَة من الْحَذف **والتقديم وَالتَّأْخِير رُبمَا** يتَوَهَّم أَنَّهَا غير جَائِزَة فَلذَلِك احْتَاجَ إِلَى إِيرَاد نظيرٍ لَهَا جَاءَ فِي كَلَام الْعَرَب وَقد أنْشدهُ سِيبَوَيْهٍ وَهُوَ قَوْله: مَرَرْت على وَادي السبَاع ... ... الْبَيْت والاستشهاد إِنَّمَا يحصل من الْبَيْتَيْنِ بقوله: وَلَا أرى كوادي السبَاع أقل بِهِ ركب أَتَوْهُ تئية فِي وَادي) السبَاع. فأفعل هَا هُنَا وَهُوَ أقل جرى لشيءٍ وَهُوَ فِي الْمَعْنى لمسببٍ هُوَ الركب مفضل بِاعْتِبَار من هُوَ لَهُ وَهُوَ قَوْله بِهِ على نَفسه بِاعْتِبَار وَادي السبَاع. انْتهى.

وَقد شرح الشَّارِح الْمُحَقق الْبَيْتَيْنِ بِمَا لم يسْبق بِهِ.

وَقَوله: الْوَاو فِي وَلَا أرى اعتراضية هَذَا بِالنّظرِ إِلَى مَا يَأْتِي بعد الْبَيْت الثَّانِي.." (١)

"نَحْو: ضرب غُلَامه زيد لِأَن حد الْغُلَام أَن يكون بعد زيد. وَهَذَا قد وَقع فِي مَوْضِعه من الْجَزَاء فَلَو جَازَ أَن تَعْنِي بِهِ التَّقْدِيم لجَاز أَن تَقول: ضرب وَأما مَا ذكره من: من وَمَتى وَسَائِر الْحُرُوف فَإِنَّهُ يَسْتَحِيل فِي الْأَسْمَاء مِنْهَا والظروف من وُجُوه فِي **التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير لِأَنَّك** إِذا قلت: آتِي من أَتَانِي وَجب أَن تكون من مَنْصُوبَة بِقَوْلِك: أُتِي وَنَحْوه وحروف الْجَزَاء لَا يعْمل فِيهَا مَا قبلهَا فَلَيْسَ يجوز هَذَا إِلَّا أَن تُرِيدُ بهَا معنى الَّذِي وَمَتى إِذا قلت: آتِيك مَتى أتيتني فَمَتَى للجزاء وَهُوَ ظرف لأتيتني لِأَن حرف الْجَزَاء لَا يعْمل فِيهِ مَا قبله وَلَكِن الْفِعْل الَّذِي قبل مَتى أغْنى عَن الْجَواب كَمَا قلت فِي إِن فِي قَوْلك: أَنْت ظَالِم إِن فعلت. فَأَنت ظَالِم مُنْقَطع من إِن وَقد سد مسد الْجَواب.

وَكَذَلِكَ آتِيك قد سدت مسد الْجَواب فِي مَتى وَإِن لم يكن مِنْهَا فِي شَيْء لِأَن مَتى مَنْصُوبَة بأتيتني لِأَن حُرُوف الْجَزَاء من الظروف والأسماء إِنَّمَا يعْمل فيهمَا مَا بعدهمَا وَهُوَ الْجَزَاء الَّذِي يعْمل فِيهِ الْجَزْم. وَالْبَاب كُله على هَذَا لَا يجوز غَيره.

وَلَو وضع الْكَلَام فِي مَوْضِعه لَكَانَ تَقْدِيره: مَتى أتيتني فأتيتك أَي: فَأَنا آتِيك.

وَأما قَوْله: ... من يأتها لَا يضيرها إِنَّمَا هُوَ من يضيرها لَا يأتها فمحال أَن تَرْتَفع من بِقَوْلِك لَا يضيرها وَمن

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/٣٢٨

مُبْتَدأ كَمَا لَا تَقول زيد يقوم فترفعه بيقوم. وَكل مَا كَانَ مثله فَهَذَا قِيَاسه.
وَهَذِه الأبيات الَّتِي أنشدها كلهَا لَا تصلح إِلَّا على إِرَادَة الْفَاء فِي الْجَواب كَقَوْلِه: الله يشكرها لَا يجوز إِلَّا ذَلِك. اه.." (١)

"وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي، الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين، فلا أتحقق أيضاً أن الشيخ صفي الدين، هو أول من نظم عليه، فإنه كان معاصراً للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري، المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسي الأعمى، صاحب البديعة المعروفة ببديعية العميان، ولا أعلم من السابق منهما إلى نظم بديعته على هذا الأسلوب. وإن كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب. فإن ابن جابر، لم يستوف الأنواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخل بنحو سبعين نوعاً من الأنواع. وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي.
وأول من التزم ذلك: الشيخ عز الدين الموصلي. ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، المعروف بابن حجة. والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين، وزاد عليه في أكثر الأبيات بحسن النظم والانسجام. إلا أن لذلك فضل المتقدم على المتأخر، والمبتدع على المتبع، وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام، وما ذلك إلا لصعوبة هذا المرام.
وقد علمت أن عدة أبيات بديعية الصفي: مائة وخمسة وأربعون بيتاً. وأما بديعية ابن حجة فعدتها: مائة وواحد وأربعون بيتاً وبديعتي هذه عدتها: مائة وسبعة وأربعون بيتاً، بزيادة نوعين من البديع لم يذكرهما الصفي.
وقد يسر الله سبحانه نظمها في مدة يسيرة، وهي اثنتا عشرة ليلة وذلك من ذي القعدة الحرام، أحد شهور سنة سبع وسبعين وألف. والحمد لله سبحانه على فضله الجليل، وإحسانه الجزيل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، ما لمع موردٌ بمائه، وبلقع بآله. وهذا حين أنصّ عروس البديعية في أريكة شرحها، وأسكنها من مشيدات المباني في علية صرحها، ليجتني ناظر الناظر، من ثمرات روضها الناضر، فما هي إلا روضة تفجرت من خلالها الأنهار، وخميلة تفتقت في مروجها الأزهار. وقد احتوى هذا الشرح، من فرائد الفوائد، وصلات العوائد، على ما يروق السمع والبصر، ويفوق كل مطول ومختصر. فمن نظر إليه بعين العدل والإنصاف وتنكب طريق التعصب والاعتساف، علم أن معدن الجوهر ليس كمعدن الزجاج.
(وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاجٌ)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧١/9

فإن يك أصناف القلائد جمة ... فما يتساوى درها وعقيقها

على أني لا أبريء نفسي، ولا أدعي العصمة لفهمي وحدسي فإن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، والإنسان محل النسيان.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء فخراً أن تعد معائبه

والله سبحانه أسأل أن يلبسه حلل الثناء الفاخرة، ويثيبني به جميل الذكر في الأولى وجزيل الأجر في الآخرة.

حسن الابتداء وبراعة الاستهلال

حسن ابتدائي بذكري جيرة الحرم ... له براعة شوق يستهل دمي

قال أهل البيان، من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع. وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحتها مبنيٌ، وأوضحها معنىً وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، **والتقديم والتأخير الملبس** والذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك. ويعتبر في مطلع القصيدة زيادة على ما ذكر أن لا يكون متعلقاً بما بعده من الأبيات، وأن يناسب بين قسميه أتم المناسبة، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنبياً عن الآخر لفظاَ ومعنىً. فإذا اجتمعت هذه الشروط في مطلع القصيدة، كان غاية في بابه. وقد نبه مشايخ هذا الفن، على أن ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيما يورده من كلامه في أربعة مواضع، أولها: المطلع، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإن كان حسناً جامعاً للشروط التي ذكروها في حسن الابتداء، أقبل السامع على الكلام فوعي جميعه، وإن كانت حالة عن الضد من ذلك، مجّه السمع، وزجّه القلب ونبت عنه النفس، وإن كان الباقي في غاية الحسن. والموضع الثاني: المخلص. والثالث: حسن الطلب. والرابع: الختام وسيأتي الكلام عليها في مواضعها، إذا أفضت النوبة إليها، إنشاء الله تعالى.

وكثيراً ما يستشهد أرباب هذا الفن في هذا الباب بقول امرئ القيس:

قفا نبك على ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل." (١)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣

"واعلم أن أرباب البديع اختلفوا في أقسام الجناس، وأسمائها اختلافاً كثيراً، واستيفاء ذلك هنا يقضي إلى الإطناب والإسهاب. وقد أفرده بالتأليف جماعة منهم الشيخ صفي الدين الحلي، ألف فيه كتاباً سماه الدر النفيس في أجناس التجنيس، والشيخ صلاح الدين الصفدي ألف فيه كتابه المسمى بجنان الجناس. فمن أراد بسط القول فيه فعليه بهما.

تنبيه – قال أبو المكارم ناصر الدين المطرزي في شرح المقامات: اعلم أن أنواع الجناس لا تستحسن حتى يساعد اللفظ المعنى، ولا تستلذ حتى تكون عذبة الإصدار والإيراد، سهلة سلسلة المقاد، ولا تبرع حتى يساوي مطلعها مقطعها، ولا تملح حتى يوازي مصنوعها مطبوعها، مع مراعاة النظائر، وتمكن القرائن، وإلا فما قلق في أماكنه، ونبا عن مواقعه، فبمعزل عن الرضا عند علماء البيان، وبمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم. فإذا أردت أن تستوفي أقسام المحاسن، وتجتنب أنواع المشائن، فأرسل المعاني على سجيتها ودعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد، لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها. فأما أن تصنع في نفسك أنه لا بد لك من تجنيس أو تسجيع بلفظين مخصوصين، فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه على خطر من الخطأ.

فإن ساعدك الجد كما ساعد طاهراً البصري في قوله:

ناظراه بما جنى ناظراه ... أو دعاني أمت بما أودعاني

وأبا تمام في قوله:

وأنجدتم من بعد اتهام داركم ... فيا دمع أنجدني على ساكني نجدِ

فذاك وإلا أطلقت لسان العتب، وأرخيت عنان الذم، وأفضي بك طلب الإحسان من حيث لم تحسنه إلى أشنع القبح، وأوقعك الولوع بالثناء عليك في ورطة القدح، وانقلب إحسانك إساءة، وتحول سرورك مساءة. انتهى.

وقال الشيخ الأديب صلاح الدين الصفدي، في شرحه لامية العجم: الجناس وإن كان من أنواع البديع، ولكن بعض صوره مستثقل، كقول ابن الفارض:

أما لك من صد أمالك عن صد ... لظلمك ظلماً منك ميل لعطفةِ

فرُحن بحزن جازعات بعيدما ... فرحن بحزن الجزع بي لشبيبتي

فانظر إلى استثقال هذا البيت الأول لما فيه من جناس التحريف في (صد وصدٍ) والأول من الصدود، والثاني من الصدي، أي عطشان، وفي (ظلم وظُلم) الأول بالفتح، وهو الريف؛ والثاني بالضم وهو الجور مع **التقديم**

والتأخير الذي يحتاج إقليدس، حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم، والتقدير فيه: أمالك ميل لعطفة عن صد، أمالك ظلماً منك عن صد لظلمك. فأمالك الأولى، مركبة من همزة الاستفهام، وما النافية، ولام الجر؛ وكاف الخطاب، وأما البيت الثاني، ففي (فرحن) مرتين، الأولى (الفاء) فاء العطف و (رحن) فعل ماض من الرواح لجماعة الإناث. والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الإناث. وفيه (الحزن) مرتين، الأولى بضم الحاء ضد الفرح، والثانية بفتح الحاء، من حزن الأرض، ضد السهل. ولهذه الألفاظ التي عقدها عقد الميزان لأجل الجناس، صار كلامه وحشياً من العوام، بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا في الأدب، وقل أن تجد من ديوانه نسخة صحيحة. وأكثر ما يساعد الأفاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر، كما في قوله (صد وصد) الأولى مشددة، والثانية مخففة، وكما في قوله أيضاً:

وإذا أذى ألمٍ المّ بخاطري ... فشذا أعيشاب الحجاز دوائي

فانظر إلى هذا، لا يستقيم الكلام إلا بمراعاة الوزن، فإنه يضطر الواقف إلى أن يجعل الأول من الألم، والثاني من الإلمام، ولهذا جاء جناس العماد الكاتب في الشعر أخف منه في النثر، لأن الوزن يضع كل كلمة في مكانها.

ومن الجناس المستثقل: جناس التصحيف، كقول ابن الفارض أيضاً:

وما اخترت حتى اخترت حبك مذهباً ... فواحيرتي إن لم يكن فيك خيرتي

وجذ بسيف العزم سوف فإن تجد ... تجد نفساً فالنفس إن جدت جدت." (١)

"الثامن إطلاق اسم المحل على الحال، وهو عكس ما قبله، كقوله تعالى: (فليدع ناديه) أي أهل نادية، أي مجلسه.

التاسع تسميته الشيء باسم آلته نحو (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء، لأن اللسان آلته (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أي بلغة قومه.

العاشر إطلاق الفعل، والمراد مشارفته وقارنته وإرادته، كقوله تعالى: (فإذا بلغن أجلهن فامسكهن) أي قارين بلوغ الأجل، أي انقضاء العدة، لأن الإمساك لا يكون بعده. وقوله تعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي فإذا قري مجيئه وبه يندفع السؤال المشهور وهو أن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير، وقوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) أي أردتم القيام.

الحادي عشر إطلاق اسم اللازم على الملزوم، كقوله عليه السلام العباس بن مرداس: (اقطعوا عني لسانه)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٠

وأمر له بمائة ناقة، أراد عليه السلام: أسكتوه عني، لأن قطع اللسان ملزوم للسكوت.
الثاني عشر إطلاق اسم الملزوم على اللازم، وهو عكس ما قبله، كما ورد أنه عليه السلام كان إذا دخل العشر الأخير من شهر رمضان شد المئزر، والمراد الاعتزال عن النساء، لأن شد المئزر لازم لاعتزالهن، قال:
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار.
وغير ذلك مما يتعذر حمل اللفظ فيه على معناه الحقيقي.
الثاني: أنكر بعضهم وقوع المجاز في القرآن. وشبهته أن المجاز أخو الكذب، إن القرآن منزه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعين بالمجاز، وذلك محال على الله تعالى، وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها.
الثالث: اختلف في أنواع، هل هي من المجاز أم لا؟ أحدها الحذف، والمشهور أنه من المجاز، وأنكره بعضهم، لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه، والحذف ليس كذلك، وقال الخطيب في الإيضاح: متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز، نحو اسأل القرية، ليس كمثله الشيء. فإن كان الحذف والزيادة مما لا يوجب تغير الإعراب نحو: أو كصيب من السماء، أي مثل ذو صيب، فبما رحمة، أي فبرحمة. فالكلمة لا توصف بالمجاز.
الثاني التشبيه، زعم قول انه كجاز وتبعهم ابن حجة في شرح بديعيته، والصحيح انه حقيقة. قال الزنجاني في المعيار: لأنه معنى من المعاني، وله ألفاظ تدل عليه وضعا، فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه. وقال الشيخ عز الدين: إن كان بحرف فهو حقيقة، أو بحذفه فمجاز، بناء على أن الحذف من باب المجاز.
الثالث الكناية وفيها أربعة مذاهب: احدها: أنها حقيقة، قال ابن عبد السلام: وهو الظاهر، لأنها استعملت فيما وضعت له وأريد به الدلالة على غيره. الثاني: أنها مجاز. والثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز. والرابع: أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز. فإن استعمل اللفظ في معناه مرادا منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة، وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز، لاستعماله في غير ما وضع له، ليفيد غير ما وضع له.
الرابع: التقديم والتأخير. عده قوم من المجاز. قال في البرهان: والصحيح أنه ليس منه، فإن المجاز نقل إلى ما وضع له إلى ما لم يوضع له.
الخامس: قيل بالواسطة بين الحقيقة والمجاز في ثلاثة أشياء: احدها اللفظ قبل الاستعمال. ثانيها الإعلام. ثالثها اللفظ المستعمل في المشاكلة، نحو: ومكروا ومكر الله، لأنه لا يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة،

ولا علاقة معتبرة فليس مجازا، كذا عن بعضهم في شرح بديعية ابن جابر لرفيقه، قال السيوطي: والذي يظهر انه مجاز، والعلاقة المصاحبة.

وبيت بديعية الصفي الحلي قوله:

صالوا فنالوا الأماني من مرادهم ... ببارق في سوى الهيجاء لم يشم.

قال في شرحه: لفظة بارق مجاز في السيف.

ولم ينظم ابن جابر الأندلسي هذا النوع في بديعيته.

وبيت بديعية العز الموصلي قوله:

أحيا فؤادي مجازي نحو حجرته ... وقد دهشت لجمع فيه مزدحم.

وبيت بديعية ابن حجة قوله:

هو المجاز إلى الجنات إن عمرت ... أبياته بقبول سابغ النعم.

وبيت بديعية المقري قوله:." (١)

"الناضجة التي تراها بين يديك ولم أترك من ورائي في جميع ما تصفحته من دواوين الشعر ومجاميع الأدب وكتب المختارات إلا ما كان رديئا، أو مشوبا بشيء من هجر القول ومعيبه، أو بالغا من الشهرة والسيرورة منزلة لا يخطئها نظر الناظر، أو واقعا في منزلة بين الجودة والرداءة، وقد جعلت قاعدتي في الاختيار جمال الأسلوب أولا وجمال المعنى ثانيا، فربما أختار ما حسن لفظه وتوسط معناه، وقد أختار ما توسط لفظه وسما معناه كما صنعت في بعض مختارات قسم المنثور من الباب الأول وهو باب الفصاحة والبيان، ولكنني لا أختار بحال ما كان معناه ساميا ونظمه فاسدا، أما الجيد فقاعدته عندي ما يأتي: "كل كلام صحيح النظم والنسق إذا قرأه القارئ وجد في نفسه الأثر الذي أراده الكاتب منه، من حيث لا يجد فيه مسحة تدل على أن صاحبه يحاول أن يكون فيه بليغا، فهو بليغ" ولا أكتمك أني قد استجزت لنفسي ما استجازه لأنفسهم المختارون من قبلي فتصرفت في قليل من المختارات بعض التصرف **بالتقديم والتأخير والاختصار** والتلخيص والحذف، وقد لقيت في هذا السبيل وفي كل سبيل سلكته إلى جمع هذه المختارات عناء كثيرا لا أسألك يا بني عليه أجرا سوى أن تنتصح بما أنصحك به في كلمتي هذه، وهي أنك لن تستطيع." (٢)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٦١

(٢) النظرات المنفلوطي ١٥٥/٢

"هكذا أنشده أبو الطيب اللغوي في الأضداد وقال: ((يريد إذا ضن الوحش بمقايله)) والأران على هذه الرواية إما الكناس، وإما موضع تنسب إليه البقر. وورد في اللسان على أن الأران الثور الوحشي برواية:

وكم من إران قد سلبت مقيله ... إذا ضن بالوحش العتاق معاقله

(ومن القلب) قول بعضهم:

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من مستكنّ نماه النحل في نيق

أو طعم غادية في جوف ذي حدب ... من ساكب المزن يجري في الغرانيق

النيق (بكسر الأول) : أرفع موضع في الجبل، وأراد بذي حدب: ماء استنقع في موضع منخفض تحت جبل فبرد وصفا، كذا في الإقتضاب.

قال أبو الطيب في الأضداد: ((أي تجري الغرانيق فيه. والغرانيق: جمع غرنيق وهو طير الماء)) فجعله من المقلوب، والذي في اللسان: أنه أقام (في) مقام (مع) أي أنه أراد يجري مع الغرانيق. ومثله في أدب الكتاب لابن قتيبة وشرحه المسمى بالاقتضاب لابن السيد، وذكر أن الشعر لخراشة بن عمرو العبسي، وأن بعضهم رواه لعنترة بن شداد.

(ومن القلب) قول الراجز يشكو أذى البرغوث:

قد حكّني الأسيود الأسكُّ ... بالليل حكًّا ليس فيه شكّ

أحكّ حتّى منكبي منفك

كذا رواه أبو الطيب في الأضداد وقال: ((يريد بالأسيود البرغوث ويريد حككته حكني)) .

ورواية اللسان:

ليلة حكّ ليس فيها شكّ ... أحكّ حتّى ساعدي منفكّ

أسهرني الأسيود الأسكّ

(ومنه) قول الآخر:

وقد أراني في زمان ألعبه ... في رونق من الشباب أعجبهْ

قال أبو الطيب: ((أي يعجبني، وقوله: ألعبه، أي في زمان ألعبه فيه)) .

قال أبو الطيب: ((أي يعجبني، وقوله: ألعبه، أي في زمان ألعب فيه)) .

(ومنه) قول الآخر:

قد صبّحت صبّحها السلامُ ... بكبد خالطها السَّنام

في ساعة يحبّها الطعام

قال أبو الطيب: ((أي يحب فيها الطعام)) ومثله في اللسان.

(ومنه) قول الآخر:

وإذا تعاورت الأكفُّ زجاجها ... نفحت فنال رياحها الزكومُ

قال أبو الطيب: ((يريد: فنالت رياحها الذكوم. والمذكوم نصب والرياح رفع)) (ومنه) قول الآخر:

من كنت في الحرب (العوان) مغمّراً ... إذا شبّ حرُّ وقودها أجزالها

قال أبو الطيب: ((وإنما الأجزال هي التي شبت حر وقودها)) (ومن القلب) الواقع في كلام المولدين قول أبي تمام يصف قلم ممدوحه:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ... وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أورده القزويني في الإيضاح شاهداً على القلب المتضمن الاعتبار اللطيف، ولم يتكلم عليه. والمراد أن الوجه فيه: (لعابه كلعاب الأفاعي) فعكس التشبيه للمبالغة، ولكن لا يخفى أنه يرد عليه ما ورد على قول رؤبة: (كأن لون أرضه سماؤه) المتقدم ذكره، فيعد من التشبيه المقلوب لا من القلب المراد هنا.

وزعم بعضهم: أن من المقلوب قول المتنبي:

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأنه عنده على تقدير: كيف لا يموت من يعشق، وخلاصة ما في شروح الديوان والوساطة والمغنى وعروس الأفراح أن لا قلب، لأن المراد أنه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق، أي أن الأمر المتقرر في النفوس أن الموت أعلى مراتب الشدة، وإني لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر

الصعب المتفق على شدته غير العشق وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولي على الناس حتى تكون مناياهم منه.

(ومن المقلوب) في رأي ابن جنى قول المتنبي أيضاً:

نحن ركب ملجنّ في زي ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال

لأن تقديره عنده: نحن ركب من الإنس في زي الجن فوق جمال لها شخوص الطير. قال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة: ((وهذا عندي تعسف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة، ومراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء فيقول: نحن من الجن لجوبنا الفلاة والمهامه والقفار التي لا تسلك، وقلة فرقنا فيه إلا أننا في زي الإنس، وهم بلا شك كذلك. ونحن فوق طير من سرعة إبلنا إلا أن شخوصها شخوص الجمال، ولا خلاف أيضاً في هذا)) انتهى.

القسم السادس

ومن هذه الأوهام تغيير الأسماء، وهو ثلاثة أنواع: الأول: لفظي، وهو ما كان التغيير فيه في أحرف الاسم بالتقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان.." (١)

"معنى اختلاف اللغات:

رأينا محصل ما يروي من كلام العلماء في معنى اختلاف اللغات يرجع في كل وجوهه إلى ثلاث معان:

١- ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق؛ وهذا رأس الأنواع؛ لأنه يشمل اختلافهم في إبدال الحروف وحركات البناء والإعراب واختلاف بناء الكلمة في اللغتين **والتقديم والتأخير والحذف** والزيادة ونحوها مما يرجع في جملته إلى صيغة الكلمة أو كيفية النطق بها. والعرب أنفسهم يعدون مثل ذلك في اللغات الأصلية التي تمثل نوعًا من أنواع الاختلاف الطبيعي فيهم؛ وقد رووا أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب: ما ترى برجل ظحى بظبي؟ فعجب عمر ومن حضر، وقال: ما عليك لو قلت: ضحى بظبي؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إنها لغة! فكان عجبهم من هذه أشد.

٢- ما يكون من اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات التي تنطق به؛ ومن هذا النوع المترادف والأضداد وغيرهما مما سيأتي في محله. ورووا أن أبا هريرة لما قدم من دَوْس عام خيبر، لقي النبي صلى

---

(١) أوهام شعراء العرب في المعاني أحمد تيمور باشا ص/٢٣

الله عليه وسلم وقد وقعت من يده السكين، فقال له: "ناولني السكين"! فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ، فكرر له القول ثانية وثالثة، وهو يفعل كذلك، ثم قال: آلمدية تريد؟ وأشار إليها، فقيل له: "نعم"! فقال: أوتسمى عندكم سكينًا؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ، ودَوْس بطن من الأزد.

٣- ما يكون قد انفرد به عربي مع إطباق العرب على النطق بخلافه؛ وهذا أقل الأنواع. وإنما يعد من اختلاف اللغات، لجواز أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة طال عهدها وعفا رسمها؛ وقد رووا عن أبي حاتم أنه سأل أم الهيثم الأعرابية عن نوع من الحب يسمى "اسفيوش": ما اسمه بالعربية؟ فقالت: أرني منه حبات! فأراها، فأفكرت ساعة ثم قالت: هذا البحدق! ولم يسمع ذلك من غيرها.

وعندنا أن لغات القبائل في اختلافها إنما هي درجات تاريخية في سلم النشوء والارتقاء يستقرى فيها سير التاريخ اللغوي من طبقة إلى طبقة؛ لأن هذه اللغات جرت من أول عهدها على اندماج النوع الأدنى منها في النوع الأرقى، واستمر ذلك بين العرب، فكلما انتشرت لغة أو لغات لقوم دون قوم تعاورها كل، وبهذا جعلت القبائل تدرج في سبيل الوحدة اللغوية العامة التي تقضي بها سنة الحياة، واعتبر هذا بما حصل آخرًا، فإنه لم يبق بين اللغات كلها إلا فروق جنسية، ثم لما ذهب عصر العرب وفسدت السلائق واختبل الكلام وأصبح اللسان تعليمًا، لم يبق من اللغة إلا اللغة، وأودعت تلك الفروق الجنسية في معرض التاريخ؛ على أن العلماء أنفسهم قد أضرحوا لهذه الفروق قبل أن تموت؛ وذلك لمكان القرآن من الوحدة اللغوية، فلم يكونوا يسمونها لغات إلا للدلالة على أنها مخالفة لما أطبق عليه أكثر العرب، وهو المعنى الاصطلاحي القديم منذ دونت اللغة.

روى أبو بكر الزبيري الأندلسي في "طبقات النحويين": قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي." (١)

"وخَضِمَ: أكل بأقصى الأضراس، أو أكل رطبًا؛ وقطم أي: عض، أو تناول الشيء بأطراف أسنانه فذاقه؛ وكزم الشيء: كسره بمقدم فمه واستخرج ما فيه ليأكله؛ وكدمه: عضه بأدنى فمه؛ وقشم: إذا نقى من الطعام رديه وأكل طيبه؛ ونحو ذلك من الأمثلة الكثيرة في اللغة؛ فكل أولئك إنما يقع فيه الإبدال لتجزئة المعاني، فترى الألفاظ متقاربة ترجع إلى مقطع واحد، وهي بعد متباينة في الدلالة؛ وكذلك ترى معاني كل طائفة منها ترجع إلى جنس واحد ثم تتباين متقاربة؛ وبهذا يتحقق الارتباط المتسلسل الذي هو برهان التاريخ على النشء اللغوي. وقد تجد للمعنى الواحد ألفاظًا متعددة في اللغة، ثم تجد كل لفظ قد صار أصلًا في

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١/ ٩٠

الدلالة وتفرعت عنه ألفاظ أخرى عن طريق الإبدال، ثم يدل بكل لفظ على جزء من أجزاء المعنى، كما تجد من ألفاظ القطع مثلًا: قَطّ وقَصّ، وجَدّ، وغيرها، فإن هذه الألفاظ وضعت في الأصل حكاية لأنواع من أصوات القطع، إما حقيقية أو متوهمة، فقد تسمع أنت صوت الشيء المقطوع كأنه "قط" ولكن غيرك يتوهمه كأنه "قَت" وقد يكون لبعض الأشياء المقطوعة أصوات أخرى تحكي "جدّ" أو "كسّ" أو "قصّ" وغيرها. فنرى لفظ "قط" قد صار أصلًا وتفرع عنه: قطع، وقطف، وقطب، وقطم، وقطل، ونحوها. وترى لفظ "قص" قد تفرع عنه: قصم، وقصل، وقصب: وقصر، وقصف. ومن لفظ "جذ": جذب، وجذر، وجذف، وجذم، وهكذا، وكلها معان متقاربة تتقلب معها الألفاظ المتفرعة عن مقطع واحد، وهذا هو أكثر أنواع النمو في اللغة؛ لأنه أصل نشأتها، وللنحويين وأهل الصرف كلام في الإبدال وحروفه مَقِيسه ومسموعه لا يتعلق بغرضنا، ولهذا ضربنا عنه صفحًا.

القلب:

وهو تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة، فتنطبق على صورتين بمعنى واحد، كقولهم: جذب، وجبذ، وما أطيبه، وما أيطبه. وأهل اللغة يقولون إن كل ما جاء في هذا القبيل فهو مقلوب وبذلك لا يعتبر إلا لغة و ا حدة من وضع واحد، وكأن هذا **التقديم والتأخير إنما** هو عارض في المنطق لسبب من الأسباب اللسانية كالخفة والثقل؛ وتابعهم على ذلك النحويين من الكوفيين؛ أما البصريون فلا يعتبرون القلب إلا متى رأوا أنه لا يمكن أن يكون اللفظان جميعًا أصلين في المعنى اللغوي بحيث يقصر أحدهما عن تصرف صاحبه ولا يساويه فيه، كقولهم: فلان شاكي السلاح وشائك، وجرف هار، وهاير، وحينئذ يعتبرون أوسع اللفظين في التصرف أصلًا للثاني ويعدون اللفظ الثاني مقلوبًا عنه، ويكون ذلك عندهم من قبيل الوضع الواحد.

وكل ما عدا ذلك مما يتصرف فيه اللفظان تصرفًا واحدًا، كجذب يجذب جذبًا١ وجبذ يجبذ جبذًا، فليس بقلب عندهم، وإنما هما لغتان من وضعين مختلفين، وبذا يعد كلا اللفظين أصلًا مستقلا.

وقد صنف علماء اللغة ما جاء مقلوبًا من الألفاظ وعقد له السيوطي في "المزهر" النوع الثالث

---

١ هذا هو معنى التصرف.." (١)

---

(١) تاريخ آد ا ب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٢٣/١

"المبحث الثاني عشر

في تقديم المسند إليه (١)

مرتبة المُسند إليه: «التقديم» وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فاستحق التقديم وضعاً، ولتقديمه دواع شتَّى

---

(١) معلوم: أن الالفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي، ومن البين أن (رتبة المسند إليه التقديم) لانه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به – وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن اذاً تغيير هذا الاصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه، ومترجما عما يريد.

ولا يخلو (التقديم) من أحوال أربع =

الأول – ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى، واليه المرجع في فنون البلاغة – والكتاب الكريم هو العمدة في هذا، انظر إلى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) تجد ان لتقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني – ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة، وأنه ينبغي ألا تكون لغيره، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث – ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة كقوله

... ... وكانت يدى ملأى به ثم اصبحت ... «بحمد إلهي» وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع – ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي – أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك من الانواع التي خرجت عن الفصاحة – ومنه قول الفرزدق.

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق، حتى يفهم المراد منه.." (١)

"المبحث الثالث عشر في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه: إن اقتضى المقامُ تقديم المسند –كما سيجيء ولا نلتمس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا – جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال، المسند إليه أمير المؤمنين، ذكر للتعظيم، وقدم لذلك والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند اليه) «أحوال» والذكر **والتقديم والتأخير** «مقتضيات» – والاتيان بهذه الجملة على هذا الوجه «مطابقة لمقتضى الحال»

أنت الذي أعانني – وانت الذي سرني – ذكر (أنت) ثانيا لزيادة التقرير والايضاح فزيادة الtقرير والايضاح (حال) – والتكرير (مقتضى) – والاتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال)

سعيد يقتحم الاخطار، بعد مدحه، ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال – والذكر مقتضى، والاتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحال.

حضر الكريم سعد «بعد: أحضر سعد» ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال، والذكر مقتضى والاتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحال علي كتب الدرس «جواب – ما الذي عمل علي، – ذكر علي للتعريض بغباوة السامع، وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلا، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان، والاتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحالين." (٢)

"الباب الرابع في المسند وأحواله (١)

المُسند: هو الخبر، والفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النَّواسخ، والمصدر النائب عن الفعل وأحواله: هي – الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتقديم والتأخير، وغيرها – وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٢٣

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٢٦

(١) وانما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به – والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا – فاستحق ذلك الترتيب وضعا.

ومبحث الذكر: لم يتعرض له كثير كأبي هلال العسكري، والامام عبد القاهر ولعله يتعلق كثيرا بالنحو: لا بالبلاغة.." (١)

"وينقسم المسند من حيث الأفراد وعدمه إلى قسمين – مفرد وجملة.

فالمسند (المفرد) قسمان – فعل: نحو قدم سعدٌ – واسم: نحو سعدٌ قادم.

والمسند (الجملة) ثلاثة أنواع:

(١) أن يكون سببيا نحو خليل أبوه مُنتصر – أو أبوه انتصر – أو انتصر أبوه.

(٢) وان يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه – نحو أنا سَعيت في حاجتك (أي السّاعي فيها أنا لا غيري)

(٣) وأن يُقصد تأكيد الحكم – نحو: سعد حضر.

وذلك: لما في الجملة: من تكرار الاسناد مرّتين.

ويؤتى بالمسند: ظرفا للاختصار – نحو خليل عندك.

وجاراً ومجروراً – نحو: محمود في المدرسة

تمرين

بين أسباب **التقديم والتأخير فيما** يأتي:

(١) ما كل ما فوق البسطية كافياً فاذا قنعت فبعض شيء كافي (١)

(٢) وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّه ولكن شعري فيه من نفسه شعر (٢)

(٣) إذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحلم سُد لا بالتَّسرع والشتَّم (٣)

(٤) ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر (٤)

---

(١) قدم حرف النفي وهو «ما» على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب – والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعا.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٣١

(٢) إذا كان المسند فعلا منفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص، والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي، بل شاركني فيه غيري. ولذلك يعد من الخطأ الذي لا يستقيم معه معنى، أن تقول ما أنا فعلت هذا، ولا غيري، لأن معنى ما أنا فعلت – يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك – فقولك ولا غيري، يكون تناقضاً كما سبق بيانه.

(٣) قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص – أي أنك تسود بالحلم لا بغيره، وكذا إذا تقدم الظرف، وما أشبههما، مما رتبته التأخير: كما سلف.

(٤) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوق إليه، لان الانسان إذا سمع العدد مجموعا يشتاق إلى تفصيل آحاده.." (١)

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/١٣٧